

سورة فصلت : دراسة لغوية بيانية

Surat Fussilat

A linguistic & rhetorical study

إعداد :

كمال سلمي شحادة الكوز

إشراف الدكتور :

عودة خليل أبو عودة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

تخصص اللغة العربية وآدابها

جامعة الشرق الأوسط

كلية الآداب / قسم اللغة العربية وآدابها

آب ————— 2010 م

تفويض

أنا كمال سلمي شهادة الكوز أفوض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات ، أو المنظمات ، أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها .

الاسم : كمال سلمي شهادة الكوز

التاريخ : 2010 / 10 / 12



التوقيع :

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها : " سورة فصلت دراسة لغوية بيانية " .

وأجيزت بتاريخ : 2010 / 10 / 12

أعضاء لجنة المناقشة :

جهة العمل التوقيع

- 1 - الدكتور : عودة خليل أبو عودة : مشرفاً الجامعة العالمية لإسلامية
- 2 - الأستاذ الدكتور : عبدالمصطفى البشير رئيساً جامعة لشرق الأوسط
- 3 - الأستاذ الدكتور : وليد العناتي عضواً خارجياً

شكر وتقدير

شكر وتقدير

إنَّ واجب الوفاء والعرفان بالجميل يَدْفَعُنِي إلى أن أتقدّم بشكري الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور عودة خليل أبو عودة الذي أولاني عناية خاصة ، وتفضّل بالإشراف عليّ في مراحل إنجاز هذا البحث ، فكان المثل الأعلى والقُدوة المثلى ، والمنهل الذي لا ينضب من العلم والمعرفة ، حتى خرجت هذه الرسالة بشكلها الذي بين أيديكم ، الذي أرجو الله عز وجل أن يكتبه لي ولأستاذي في ميزان حسناتنا ، أطال الله عمراً صاحب الأيادي البيضاء المعلم والعالم .

وأتوجه بالتقدير والاحترام إلى أستاذتي الأجلاء ————— في قسم اللغة العربية ————— الذين كان لملاحظاتهم ونصحهم عظيم الأثر في نفسي وتشجيعي في إتمام هذا البحث . فهم الذين قَطَفْتُ من رَوْض علمهم ، وتَنَسَّمْتُ من عبق سيرتهم .

ثم إنني أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الذين أخذت رسالتي شيئاً من وقتهم في قراءتها حتى تخرج في أحسن صورة .

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل مني ، وأن يجعل منه عملاً علمياً يفيد منه كل من يطلّع عليه .

والحمد لله رب العالمين .

كمال سلمي شهادة الكوز

الإهداء

إلى الذين منحوني الثقة بالنفس ، وحضّوني على المضي قدماً إلى طلب العلم

إلى أبي ————— رحمه الله وأسكنه فسيح جناته —————

وإلى أُمي ————— أدامها الله ورعاها —————

وإلى التي لم تتوان عن مد يد العون والمساعدة

إلى الزوجة الغالية

أهدي هذه الرسالة

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
العنوان	أ
التفويض	ب
قرار لجنة المناقشة	ج
الشكر والتقدير	د
الإهداء	هـ
قائمة المحتويات	و
الملخص باللغة العربية	ي
الملخص باللغة الإنجليزية	ك
* الفصل الأول : ويشتمل على :	1
تمهيد	2
أسئلة الدراسة	3
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	3
أهداف الدراسة	4
منهجية الدراسة	4

5 الدراسات السابقة
6 مفهوم الدراسة اللغوية وأهميتها
12 مفهوم الدراسة البيانية وأهميتها
15 فصول الدراسة
18 * الفصل الثاني : تعريف عام بسورة فصلت
21 سبب اختيار سورة فصلت
22 التعرف بسورة فصلت
22 تسميتها
23 سبب نزولها
25 موضوعات سورة فصلت
26 التناسق بين فواتح السورة وما قبلها (غافر)
27 التناسق بين خواتيم السورة وما بعدها (الشورى)
28 الصفات المشتركة بين الحواميم وفضائلها
30 قول في الحروف المقطعة
37 * الفصل الثالث : قضايا لغوية في سورة فصلت
38 المبحث الأول : بعض القضايا الصوتية ودلالاتها في سورة فصلت
40 أحكام الترتيل ودلالاتها في سورة فصلت
42 فنّ التجويد القرآني — الدلالة والأداء
43 الوقف والابتداء في سورة فصلت
44 الفاصلة القرآنية بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى

48	التناسب بين إحياء الصوت ومعنى الكلمة
49	المد ودلالاته في سورة فصلت
55	الإخفاء ودلالاته في سورة فصلت
58	الإظهار ودلالاته في سورة فصلت
60	الإدغام ودلالاته في سورة فصلت
62	القلقلة ودلالاتها في سورة فصلت
66	الإقلاب ودلالاته في سورة فصلت
68	المبحث الثاني : بعض القضايا الصرفية ودلالاتها في سورة فصلت
70	صيغ المبالغة وطرائقها في سورة فصلت
70	_____ مفهوم المبالغة لغة واصطلاحاً
72	_____ نسبة صيغة المبالغة لله سبحانه وتعالى
73	_____ صيغ المبالغة في سورة فصلت
88	الفرق بين إنزال القرآن وتنزيله
92	المبحث الثالث : بعض القضايا المعجمية ودلالاتها في سورة فصلت
94	كلمتا (الله والرب) ودلالاتهما في سورة فصلت
97	الترادف في سورة فصلت
103	الفرق بين الإرادة والمشية
107	الفرق بين خلق وجعل
109	الفرق في استخدام الريح والرياح في القرآن الكريم وفي سورة فصلت
112	المبحث الرابع : بعض القضايا النحوية في سورة فصلت
114	إعراب الحروف المقطعة ودلالاتها
116	البناء للمجهول في سورة فصلت
118	القول في (غير).....
121	أسلوب الحصر في سورة فصلت
126	* الفصل الرابع : سورة فصلت دراسة بيانية
127	المبحث الأول : بعض الصور الأسلوبية ودلالاتها في سورة فصلت

129	براعة الاستهلال
130	الالتفات
134	الاستفهام
139	التصوير والتشخيص
140	التفصيل بعد الإجمال
142	التقديم والتأخير
144	التعريف والتكثير
147	الحذف
156	نظرات دلالية في استخدام بعض الحروف
156	_____ حرفا : (إلى) و (اللام)
157	_____ حرف (الفاء)
159	_____ حرف (ثم)
161	_____ حرفا (السين) و (سوف)
168	المبحث الثاني : بعض الحقائق العلمية في سورة فصلت
169	مكونات الجلد ووظائفه
172	حقيقة نطق الجلد
181	لماذا قدم السمع على البصر؟
183	لماذا جاء السمع مفرداً والأبصار جمعاً؟
184	لماذا لم ترد كلمة (الجلود) إلا بالجمع؟
187	الخاتمة : النتائج والتوصيات
189	المصادر والمراجع

المخلص

سورة فصلت دراسة لغوية بيانية

إعداد :

كمال سلمي شحادة الكوز

إشراف الدكتور :

عودة خليل أبو عودة

تقوم هذه الدراسة على النظر والتدبر في سورة فصلت ، وذلك بتقديم تعريف عام بالسورة ثم بيان بعض مظاهر الإعجاز اللغوي والبياني فيها ، ودراسة هذه المظاهر دراسة تطبيقية ؛ للكشف عن صور التعبير البياني والإعجاز القرآني فيها، الذي كان المعجزة الأساسية لرسول الله ——— صلى الله عليه وسلم ——— التي بها تحدى العرب أن يأتوا بمثله ، وستناقش هذه الرسالة محورين أساسيين هما :

———— الوقوف على بعض القضايا اللغوية في سورة فصلت مثل : بعض القضايا الصوتية والصرفية ، والمعجمية ، وبعض الصور الأسلوبية .

———— الوقوف على بعض القضايا البيانية في سورة فصلت مثل : الالتفات ، والتقديم والتأخير ، والتعريف والتكثير ، إضافة إلى الكشف عن بعض الحقائق العلمية .

اعتمدت هذه الدراسة على معاجم اللغة مثل لسان العرب لابن منظور وغيره ، وكذلك على مصادر اللغة الكبرى مثل الخصائص لابن جني ، وعلى كتب التفسير المختلفة مثل : جامع البيان للطبري ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي وغيرها ، كذلك اهتم البحث بكتب الدراسات القرآنية القديمة مثل : الإتيان في علوم القرآن ، والبرهان ، وكتب الدراسات القرآنية الحديثة مثل : التفسير البلاغي للاستفهام لعبد العظيم المطعني ، وأسلوب الالتفات لحسن طبل ، وعدد من الدراسات والبحوث القرآنية الحديثة .

Abstract

Fussilat Sura alinguistic & rhetorical study

Prepared by

Kamal Selmi Shehada Al Kouz

Supervised by

Prof. Dr. Odeh Khalil Abu Odeh

This study deals with explanation and exploration of Fussilat sura which was explained in details, through introduction of a general definition of this sura, then to explain some of its linguistic and rhetorical miracles and also to make applied study to such phenomena to detect its rhetorical and Quranic miracles which was the basic miracle for the prophet, peace be upon him, as he challenged the Arabs to bring something like it. This thesis will discuss two basic axes.

- To explain some linguistic cases in an explained sura such as phonetic, morphological and dictionary cases as well as some style matters.
- To explain some rhetorical cases in an explained sura, such a consideration, advance and delay, definition and denial in addition to detection of some scientific facts by miraculous Quranic style.

This study depend upon the dictionaries such as Lisan AL Arab "The Arab Tongue" by Ibn Manthour and others. Also there were big language sources such as "the characteristics" by Ibn Jeni and the other different explanation books such as "Jami AL Bayan" for Al Tabri, the "Big Explanation" by Alfakhr Al Razi, the collector of Quran rules by Al Qortobi & other.

The research also took care of old Quranic study books such as "Perfection in Quran Sciences" "The Evidence" and modern Quranic studies such as "The Rhetoric Explanation of Enquiry" by Abdil Adhim Al Mtani. "The Turn Style" by Hasan Tabel & some other modern Quranic research papers.

الفصل الأول

الفصل الأول

تمهيد :

الحمد لله خالق الألسن واللغات ، واضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته حكمه البالغات .
والصلاة والسلام على أفصح الخلق لساناً ، وأعذبهم بياناً ، وعلى آله وصحبه أكرم بهم أنصاراً
وأعواناً .

وبعد ، فإنَّ خيرَ العلوم وأشرفَها العلمُ بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ من
بين يديه ولا من خلفه ، وخيرُ اللُّغات اللُّغةُ العربيَّة التي جعلها الله لغةً كتابه المبين ؛ فهي خادمةٌ
لمقاصده الشرعية الصالحة لكلِّ زمان ومكان ، مما كتب لها الخلود على مرِّ الزمان .
وقد أكرمني الله تعالى بتناول سورة فصلت التي حَوَتْ كثيراً من القضايا اللغوية والبيانية
المشتملة على الشواهد الدالة على إعجاز القرآن الكريم .

وهذه الدِّراسة بعنوان " سورة فصلت دراسة لغويَّة بيانيَّة " أسعى بها إلى تلمّس مظاهر الإعجاز
اللغوي والبياني في سورة فصلت ، ودراسة هذه المظاهر دراسة تطبيقية ؛ لاستجلاء أبعادها ،
والكشف عن قيمها التعبيرية .

وقد استطلت هذه الدِّراسة بفيء سورة فصلت ، فاستبان لها ألوان من إعجاز القرآن الكريم ،
التي لم يكشف النقاب عنها ضمن دراسات مستقلة وشاملة مختصة بالسورة من قبل . وهذا يتمثل في
الإعجاز اللغوي والبياني في سورة فصلت بأنماطهما المختلفة .

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي ، الذي يتصف بالتمثيل والتطبيق من آيات السورة
على كل فكرة ترد في أثناء البحث ، وهذا ما منح الدِّراسة جدّة وطرافة وغنى . وهذا الأسلوب
_____ وإن كان له آثار في بعض كتب اللغة والتفسير وإعجاز القرآن وغيرها _____ جديد
في مباحثه ، طريف في موضوعاته ، غنيّ بتنوّع فصوله ومباحثه .

وكان عليّ أن أجمع شوارد هذا الموضوع المتناثرة في كتب التفسير وكتب اللغة وكتب
الإعجاز والدِّراسات القرآنية ، وأن أضيف إليها ما يقتضيه البحث العلميّ من تحليل وتعليل وموازنة
، وأن أضيف عليها ما يفتح الله به عليّ من معانٍ ودلالات وأفكار .

أسئلة الدراسة :

اجتهدت في هذه الدراسة أن أجيب عن ثلاثة أسئلة هي :

1 — هل ثمة علاقة بين الأصوات ودلالاتها في سورة فصلت ؟

وقد وجدت بعد الانتهاء من هذه الدراسة — أن العلاقة بين الأصوات ودلالاتها في سورة فصلت تشكل ظاهرة لا يمكن إنكارها ، وهي تمتد لتشمل كافة ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه . وقد وجدت أيضاً أنه يمكن توظيف هذه العلاقة بين الأصوات والدلالات في تفسير سورة فصلت بل في القرآن الكريم كله . وقد وقفت على جوانب دلالية ونفسية مهمة ، ربما لا تؤدّيها الدلالات المعجمية ، وسوف يتبين لنا أن الأداء القرآني المتقن ، وفق أحكام الترتيل القرآني ، يظهر لنا الدلالات الحقيقية للنصّ القرآني بأفاقها الواسعة .

2 — هل ثمة أثر لتتوع صيغ المبالغة في الدلالة على الأفكار ، وما أثر تتوع الصيغ

الصرفية في التعبير عن المعاني ؟

وقد أجبت عن هذا السؤال — خاصة — عند تناول أسماء الله الحسنى التي وردت في سورة فصلت ؛ إذ درستها دراسة صرفية دلالية .

3 — هل يوجد في سورة فصلت أنماط لغوية وظواهر بيانية تختص بها ، حيث يبدو

للسورة مظهر

خاص يميزها عن غيرها ؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها دراسة قرآنية في سورة واحدة من كتاب الله — عز وجل — ، وسورة فصلت لم تدرس من قبل دراسة لغوية بيانية مستقلة — فيما أعلم — ، وهذه الدراسة ستتخصص في هذه السورة مبينة تاريخ نزولها وإبراز الوحدة الموضوعية فيها ، وتحليلها تحليلاً لغوياً وبيانياً ، بحيث تستخرج الدراسة كل الدلالات والمعاني الكبيرة في السورة ، وتبين ارتباط السورة بمعطيات العلم الحديث ، وتكشف عن بعض مظاهر الإعجاز العلمي المستمر عبر الأزمان .

ويمكن القول إنَّ أهميَّة الدراسة تكمن كذلك في حاجة المكتبة اللغويَّة إلى مثل هذا اللون من ألوان الدِّراسة ، ليعين الدارسين والقراء من أبناء الجيل على التعرف على القرآن الكريم ، ولعل في الدراسات المختصة بسور بعينها من القرآن الكريم مجالاً مريحاً لبعض القراء الذين ينوء بهم أن يقرأوا كتب التفسير الضخمة ذات المجلدات والأجزاء العديدة ، أو الدراسات الكبيرة التي تحتاج إلى تفرغ كبير وجهد وفير .

وثمة أسباب متعدّدة دعت إلى اختيار هذا الموضوع ؛ لعلَّ أهمّها :

أولاً: عدم وجود دراسة مستوفاة في هذا الميدان ، تقدّم تطبيقات عمليّة كافية مستوحاة من سورة فصلّت .

ثانياً: أملي بأنّ هذه الدراسة ستعمل على إبراز الإعجاز اللغوي في سورة فصلّت بمستوياته المختلفة .

أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ، أبرزها :

أولاً: تلمّس مظاهر العلاقة بين الصّوت والدّلالة في سورة فصلّت ، ودراسة بعض هذه المظاهر دراسة تطبيقيّة ؛ لاستجلاء أبعادها ، والكشف عن قيمها التعبيريّة .

ثانياً: توضيح طرائق التعبير بصيغ المبالغة في سورة فصلّت ، وتوضيح الفرق بين صيغ المبالغة التي جاءت لله — سبحانه وتعالى — ، وصيغ المبالغة التي جاءت للبشر .

ثالثاً: إثبات حقيقة أن لا ترادف في القرآن الكريم ، وذلك من خلال تناول بعض الفاظ سورة فصلّت ومقابلتها بألفاظ بعض سور القرآن الكريم .

رابعاً: الإشارة إلى ما جاء في سورة فصلّت من بعض مظاهر الإعجاز العلمي المستمر عبر الأزمان .

منهجيّة الدراسة :

انسجماً مع طبيعة الموضوع وأهدافه ، كان من المهمّ عقد فصل نظريّ للتعريف بسورة فصلّت ، وبحث العلاقة بينها وبين سور القرآن الكريم المبدوءة بالحروف المقطّعة ، ومن ثمّ الاتّجاه نحو الجانب التطبيقيّ ، والتركيز عليه ؛ لأنّ من شأن هذا الأمر أن يعزّز الدراسة ، ويمنحها عمقاً ،

ويكسبها أهمية ، وقد حرصت على توظيف هذا الجانب في كشف دلالة الأبعاد الصوتية والصرفية والنحوية والتراكيب اللغوية في سورة فصلت .

وقد حاولت الاستفادة من جهود المتقدمين والمحدثين في تجلية جوانب الدراسة وأبعادها ، وعملت على جمع الإشارات المتناثرة في بطون كتب التفسير وكتب اللغة والإعجاز والتجويد وعلوم القرآن وغيرها ، وتوظيفها في الدراسة .

وكنت أينما وجدت مجالاً للاجتهاد اجتهدت ، ولا أدعي أنني أحطت بجميع القضايا التي تتعلق بسورة فصلت ، ولو عاودت دراسة هذه السورة بعد عام ، لنظرت إليها من زوايا تختلف كلياً عما جاء في هذه الرسالة ؛ ذلك أن النصّ القرآني لا تنتهي عجائبه ، فهو حمّال أوجه كما وصفه سيدنا علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — وهو ما انفكّ يستوعب آراء الباحثين والدّارسين والمهتمين بالدراسات القرآنية .

وقد استعنت في هذه الدراسة بالمنهج الوصفي والمنهج التحليلي ، فكنت أتدبر الآيات الكريمة وأحاول تحليل الأنماط اللغوية فيها وبيان ما يكمن فيها من مظاهر البيان وشواهد الإعجاز القرآني .

الدراسات السابقة :

يمكن القول إنه يوجد لبعض ما توصلت إليه هذه الدراسة إشارات عند المفسرين والمهتمين بإعجاز القرآن الكريم . ولا شك أن هذه الإشارات قد أكسبت الدراسة غنى وتنوعاً ، ومنحتني حرية عرضها ، والموازنة بينها في بعض الأحيان .

ويمكن القول أيضاً إنه يوجد بعض الدراسات المتخصصة التي تناولت بعض مباحث هذه الدراسة ، لكنّها استوحت أمثلتها من القرآن الكريم بشكل عام ، في حين إنّ هذه الدراسة استوحت أمثلتها من سورة فصلت .

غير أنّ الدراسة عانت في بعض مباحثها ، قلّة المراجع ، فلم يكن للفكر بدّ من الاعتماد على سجيته في الاستنباط . والباحث قد يخطئ ويصيب ، وهو أحياناً بإزاء مقارنات صعبة ، وخيارات عسيرة .

فليس ثمة كتاب — في حدود ما قرأت — استوفى جوانب الموضوع في مستوياته المختلفة ، ولا هذه الدراسة تزعم ذلك . ولكنّ الحقّ يقال إنّ عدداً من الدراسات قد تناولت

بعض هذه الجوانب . وقد أفدت منها ، وفيما يلي إشارة إلى بعض المصادر والدراسات التي ألّمت بالموضوع بشكل عام :

_____ كل كتب التفسير القرآني ، من تفسير الطبري (310 هـ) إلى كتب التفسير الحديث ، فسورة فصلت كأحدى سور القرآن الكريم ، لم تخرج عن الأسلوب العام المتبع في كل كتاب من كتب التفسير ، وفق المنهجية العامة لذلك .

_____ وضعت في العصر الحديث عدة دراسات تعلقت بسور متعددة في القرآن الكريم ، منها مثلاً : النظم في سورة البقرة ، والنظم في سورة الرعد ، وكتب أيضاً عن سورة يوسف عليه السلام ، وسورة الكهف ،

_____ ولكني لم أف على دراسة مختصة بسورة فصلت من قبل .

_____ كنت أجد أحياناً في الدراسات البيانية التي تهتم بالإعجاز القرآني إشارات إلى بعض آيات سورة فصلت ، مثل كتب (فاضل السامرائي) و (عودة أبو عودة) .

مفهوم الدراسة اللغوية وأهميتها :

لم ينل كتاب في الدنيا من الدراسات مثلما نال القرآن الكريم ، ورغم وفرة الدراسات القرآنية ، فإن كتاب الله لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تقف عند نهايته كما قال تعالى : " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٦﴾ " (الكهف : 109) . وكل باحث يكشف الله له جانباً من أسرار الكتاب ومع ذلك لا تنفذ الأسرار .

والدراسة اللغوية تعنى بدراسة مستويات اللغة الأربعة ، وهي : المستوى الصوتي والمستوى الصرفي ، والمستوى الدلالي ، والمستوى النحوي ، . والمستوى الصوتي يدرس العلاقة بين أصوات اللغة ومضمون الكلام ، والدراسات الحديثة بدأت تكتشف حقائق مذهلة عن طبيعة الأصوات ودلالاتها وصلتها بمعانيها ، بل إنها بدأت تحلل الأصوات تحليلاً شاملاً .

ولكن الدراسات السابقة اهتمت كثيراً بعلم التجويد والترتيل القرآني ، فقد كان هذا هو الأصل في الدراسات الصوتية عندما يتعلق الأمر بالقرآن الكريم .

وعلم الترتيل يُعنى بتحقيق اللفظ وتجويده ، حيث إنه يعتمد على مقدرة العالم في ملاحظة أصوات اللغة وتحليلها ووصفها ، فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها .

ودراسة المستوى الصوتي — علم التجويد — ترتبط بشكل أساسي بمعالجة ما سموه باللحن الخفي ، وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات أو ما يطرأ عليها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق ، وهذا يستلزم دراسة ثلاثة أمور : مخارج الحروف ، وصفاتها ، وأحكامها التركيبية .¹

ومن الظواهر الصوتية التي تلفت الانتباه في القرآن الكريم ، ويظهر فيها وجه من وجوه الإعجاز ، استقرار اللغة العربية ، فقد كان التلقي الشفاهي هو الأساس في نقل القرآن الكريم ، بداية من سيدنا جبريل — عليه السلام — إلى سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — وصولاً إلى زماننا المعاصر ، وهكذا إلى أن تقوم الساعة .

فلهذه الخاصية (المشافهة) آثار تصل إلى حد الإعجاز ، لكن إلف العادة هو الذي يمنعنا أو يحجب عنا ملاحظة نواحي الإعجاز ، ولكن إذا ما قورنت العربية بغيرها من اللغات وما حدث لها يظهر أثر القرآن الكريم ، فالمتمأمل للتاريخ يرى بوضوح لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها أو ضعفت بضعفهم² .

ومن المظاهر أيضاً التناسق الصوتي على مستوى اللفظ المفرد والتركيب اللغوي في القرآن الكريم ، فإن أول ما يلفت الانتباه هو أن القرآن الكريم قد خلا من التنافر في بنية الكلمة ، فأصواته كلها قامت على الائتلاف ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد سجلت كلماته قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها كقوله تعالى : " فَكَبَّكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوِرَنَ ﴿٩٤﴾ " (الشعراء : 94) ، وهذا من باب التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة .

ومن المظاهر الصوتية القرآنية كذلك التناسب بين إحياء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة ، كما في قوله تعالى : " عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ " (الإنسان : 18) حيث يوحي لفظ السلسبيل

¹ الحمد ، غانم قدوري ، (2007) . الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، (ط 2) ، عمان ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ص 21 .
² الحمد ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 22 .

بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة ، وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل) و (سلاسة) من تشابه في بعض الحروف .¹

أمّا المستوى الدلالي فهو ما يعرف الآن عند تفصيل القول فيه بعلم الدلالة – فالدلالة مصدر الفعل دل يدل ، قال ابن فارس : " الدال واللام أصلان : أحدهما : إيانة الشيء بأمانة تتعلمها نحو قولهم: دللت فلاناً على الطريق ، والدليل : الإمارة في الشيء ، وهو بين الدلالة والدلالة..."² ، وفي اللسان : "الدليل ما يستدل به ، وقد دله على الطريق يدلّه دلالة ودلالة ، والفتح أعلى"³ فالدلالة في اللغة : الهداية والتبيين .

والصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل المرجعية الأولى لهذا اللفظ في القاموس الخطابي ، باعتبار دلالاته الأولى ، فالحالة المعجمية للألفاظ تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي⁴ قال الفيروز أبادي : "... والدالة ما تدل به على حميمك ، ودله عليه دلالة ودلولة فاندل : سد إليه ، والدال كالهدي"⁵

وموضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى ، إذ بدأ البحث في دلالة الألفاظ مبكراً عند العرب ، وذلك منذ أن بدأ البحث في مشكل الآيات القرآنية وإعجازها ، وتفسير غريبها واستخراج الأحكام الشرعية منها .

" ومن ميادين علم الدلالة الاتجاه إلى العوامل الخارجية ذات الأثر في الألفاظ من أبعاد إنسانية واجتماعية ، بل نفسية وعاطفية ، وما لهذه العوامل من أثر في انكماش بعض الألفاظ في دلالتها أو انحدار في سموها " .⁶

ومن المفاهيم الحديثة لعلم الدلالة هو دراسة تحليلية للتعبير المفتاحية في لغة من اللغات ابتغاء الوصول أخيراً إلى إدراك مفهومي للنظرة إلى العالم ، لدى الناس الذين يستخدمون تلك اللغة أداة ليس فقط للتحدث والتفكير ، بل لتقديم مفهومات وتفسير للعالم الذي يحيط بهم .⁷

¹ هنداوي ، عبد الحميد ، (2005) . الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، (د.ط) ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر ، ص 21 - 22 .
² ابن فارس ، أحمد ، (1979) . معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (د.ط) ، بيروت ، دار الفكر ، مادة : (دل)
³ ابن منظور ، محمد بن مكرم الأنصاري ، (د.ت) . معجم لسان العرب ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ، نديم مرعشلي ، (د.ط) ، بيروت ، دار لسان العرب ، مادة : (دل)

⁴ الداية ، فايز ، (1985) . علم الدلالة العربي — النظرية والتطبيق ، (ط 1) ، دمشق ، دار الفكر ، ص 41
⁵ الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (د.ت) . القاموس المحيط ، (د.ط) ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، 3 / 377 .
⁶ مطهري ، صفية ، (2003) . الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ، (د.ط) ، دمشق ، اتحاد الكتاب العربي ، ص 43 .
⁷ انظر : مطهري ، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ، ص 45 .

أما الإعراب فهو في جوهره فرع للمعنى ، والغرض الأساسي من دراسة النحو منذ فجر الإسلام ، كان هدفه قراءة القرآن قراءة صحيحة ، بعيدة عن اللحن والخطأ ، وقد تحدث أحد العلماء عن أغراض النحو ، فقال : للنحو غرضان : أدنى وأعلى .

فالأدنى أن نعرف صواب اللفظ من خطئه، ونقف عند الصواب وحسنه ، ونرجع عن الخطأ

والغرض الأعلى هو : أن نفهم كلام الله تعالى ومراده ، وكلام رسول الله ——— صلى الله عليه وسلم ——— ، ونطلع على شرف هذه اللغة ومعالم بلاغتها ومحاسن فصاحتها¹

أما أبو علي الفارسي فقد أدخل علم التصريف والنحو في مسمى واحد في تعريفه للنحو ، إذ قال : " النحو علم بالمقاييس المستتبطة من استقراء كلام العرب ، وهو ينقسم قسمين : أحدهما : تغيير يلحق أواخر الكلم ، والآخر يلحق ذوات الكلم وأنفسها " .²

وتحدث بعض العلماء عن الإعراب وعلاقته بالمعنى قال : ولا تنظر إلى ظاهر الإعراب وتغفل عن المعنى الذي يقع عليه الأمر لتكون قد ميزت فيما تجيزه أو تمتع عنه ، صواب الكلام من خطئه، فإن صناعة النحو مبنية على تمييز صواب الكلام من خطئه على مذاهب العرب بطريق القياس الصحيح .³

وهذا يعني أن الإعراب فرع للمعنى ، ولذلك يجب على المعرب أن يراعي المعنى في إعرابه

روي أن أعرابياً في عهد عمر ——— رضي الله عنه ——— أقرىء سورة التوبة ،

فقرأ القارئ : " وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ

وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ^ط وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ " (التوبة : 3) بكسر (رسوله) ، فقال الأعرابي : " إن يكن الله بريئاً

من رسوله فأنا أبرأ منه " فبلغ عمر مقالته ، فدعاه ، وقص عليه القصة ، فقال عمر : (ليس هكذا) ،

¹ الدجني ، فتحي عبد الفتاح ، (1984) . الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ، (ط 1) ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ص 230 .

² الفارسي ، (1419 هـ) . التكملة ، تحقيق : كاظم بحر المرجان ، (ط 2) ، بيروت ، عالم الكتب ، ص 181 .

³ انظر السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1418 هـ) . الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (د.ط) ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ج 1 ص 238 .

قال : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : " إن الله بريء من المشركين ورسوله " فقال الأعرابي : " وأنا أبرأ ممن برئ رسولهم منهم " ¹.

أما المستوى الصرفي ، علم الصرف ، فلا يقل أهمية عن علم النحو ، فهما علما متلازمان مترابطان ، فالصرف في اللغة : التحويل والتغيير ² ، ومنه قوله تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ " ، (البقرة: 164) ، فهو " صرفها من حال إلى حال " ³.

أما التصريف في الاصطلاح ، فقد تباينت آراء العلماء فيه ، فمن هذه الآراء : " هو العلم الذي يعالج الكلمة المفردة ، فيعالج تغيراتها وتحولاتها الذاتية " ⁴ ، ومنها : " الصرف تغيير في بنية الكلمة ، لغرض معنوي أو لفظي " ⁵ ، كذلك " التصريف هو ذات التغيير الذي يحدث في الكلمات ، وهذا التغيير لا بد أن يكون بـ " أصول " ، أي بقوانين ، فمعرفة ذات التغيير ملازمة لمعرفة أصوله وقوانينه ، أما كون التصريف خاصاً بالتغيير الذي يكون لغرض معنوي فهذا ليس دقيقاً ، إذ إنه يخرج مسائل التغيير اللفظي التي لا يبنى عليها اختلاف في المعنى ، كمسائل الإبدال والإمالة والوقف والإدغام وغيرها ⁶.

قال ابن عصفور : " والتصريف ينقسم إلى قسمين : أحدهما : جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني ... والآخر من قسمي التصريف : تغيير الكلمة عن أصلها ، من غير أن يكون ذلك التغيير دالاً على معنى طارئ على الكلمة " ⁷.

¹ أبو الطيب اللغوي ، (د.ت) . مراتب النحويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (د.ط) ، (د.م) ، دار الفكر العربي ، ص26 .

² ابن منظور ، لسان العرب : مادة (صرف) .

³ الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، (2008) . المفردات في غريب القرآن ، ضَبَطَ : هيثم طعيمة ، (ط 1) ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، مادة (صرف) .

⁴ الشمان ، إبراهيم ، (1418 هـ) . دروس في علم الصرف ، (ط 1) ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ج 1 ص 8 .

⁵ عتيق ، عبد العزيز ، (د.ت) . المدخل إلى علم النحو والصرف ، (د.ط) ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ص 7 .

⁶ السليم ، فريد بن عبد العزيز الزامل ، (1427 هـ) . الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن ، (ط 1) ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ص 23 .

⁷ ابن عصفور ، (1407 هـ) . الممتع في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، (ط 1) ، بيروت ، دار المعرفة ، 31 / 1 .

ومن هنا جعل بعض الباحثين للتصريف في الاصطلاح معنيين : علمياً وعملياً ، فالعلمي هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة ، وهو القسم الأول عند ابن عصفور ، أما المعنى العلمي ، فهو : علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء¹.

ولقد اتفق علماء التصريف على أن موضوع علم التصريف هو الكلمة حال أفرادها ، دون النظر إلى تركيبها وموقعها من الجملة ، ولكن هذا لا يعني عدم وجود أي ارتباط بين موقع الكلمة في الجملة ووضعها التصريفي ، فقد يؤثر الموقع في الحكم التصريفي للكلمة ، فما كان من الصفات على وزن (فاعيل) بمعنى مفعول ، فإنه يستوي فيه المذكر والمؤنث ، فلا تدخل التاء هذا الوصف ، بشرط أن يذكر الموصوف في الجملة ، فإن لم يذكر الموصوف ، وجب دخول التاء الفارقة على هذا الوصف ، تقول : مررت بامرأةٍ جريح ، ومررت بجريحةٍ. لكن الحكم للعموم ، وهو أن البحث التصريفي خاص بالكلمة حال أفرادها، دون النظر إلى موقعها من التركيب².

أما الدلالة التصريفية هي : الأثر المعنوي المستفاد من بنية الكلمة ، ومن التغييرات التي تحولها إلى أبنية مختلفة³ ، بالإضافة إلى دلالة المادة المعجمية ، فإن الذي يحدد دلالة البنية هو المادة المعجمية ، وبعبارة أخرى يمكننا أن نعرفها بأنها : الأثر المعنوي المستفاد من تقاطع الدلالة المعجمية مع دلالة البنية وتحويلها إلى أبنية مختلفة ، وذلك قبل دخولها في السياق ، فإذا دخلت في السياق فإنه قد يؤثر في تلك الدلالة حسب معطياته⁴.

هذا يعني أن لكل بنية دلالة معينة ، ومن خلال البنية نحدد نوع الكلمة ، هل هي من باب الأسماء ، أم الأفعال ، أم المشتقات ، أم المصادر ، وكل من هذه الأنواع له بنى فرعية ، ذات دلالات معينة، فكل من : سامع ، وسماع ، ومسموع ، وأوصاف ، إلا أن سامعاً يدل على الحدث ومن قام به ، وسماعاً يدل على كثرة الحدث ، ومسموعاً يدل على من وقع عليه⁵.

قال صبحي الصالح : " الدلالة التصريفية مظهر من مظاهر الغنى والثراء في اللغة وسبيل إلى النماء اللغوي " ⁶ ، وهذا يعني أن تعدد الأبنية والصيغ وكثرتها في العربية يولد تعدد المعاني وكثرتها ، إذ إن كل بنية تحمل معنى خاصاً أو مشتركاً .

¹ المعيني ، محمد سعود ، (1982) . الصيغ الإفرادية العربية نشأتها وتطورها ، (د.ط.) ، البصرة ، جامعة البصرة ، ص 47 .
² السليم ، الخلاف التصريفي ص 23 .

³ انظر أنيس ، إبراهيم ، (1976) . دلالة الألفاظ ، (ط 3) ، (د.م.) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 47 .

⁴ عبد الغني ، أحمد عبد العظيم ، (د.ب.) . الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية ، (د.ط.) ، القاهرة ، دار النصر ، ص 60 .

⁵ السليم ، الخلاف التصريفي ، ص 62

⁶ الصالح ، صبحي ، (1982) . دراسات في فقه اللغة ، (ط 2) ، بيروت ، المكتبة الأهلية ، ص 328 .

لذا اعتنى علماء اللغة والمفسرون ببيان الدلالات التصريفية في كتاب الله تعالى ، لأن العناية بها تتدرج في منظومة الاعتناء بتفسير كتاب الله تعالى ، قال الزركشي : "وفائدة التصريف : حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد ، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة ، لأن التصريف نظر في ذات الكلمة ، والنحو نظر في عوارضها ، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر"¹

قد استنبط المفسرون مما توحى به الصيغة الصرفية كثيراً من المعاني اللطيفة ، والأحكام الفقهية والعقدية ، ومن تلك الاستنباطات : قال تعالى : " يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ " ، (الحج : 2) .

الصفات الخاصة بالمؤنث ، التي لا يشاركها فيها المذكر ، لا تدخل عليها التاء ؛ لأن الأصل في تاء التأنيث أن يفرق فيها بين المذكر والمؤنث ، فيقال : قائم وقائمة ، وكاتب وكاتبة ، ولا يقال : حائضة ومرضعة ، إلا أن يراد معنى زائد عن مجرد التأنيث ، وهو معنى الفعل ، أي في حال كذا² فـ " مرضعة " في الآية الكريمة ، تدل على معنى الفعل ، أي يوم تذهل كل مرضعة ملتبسة بالإرضاع ، في حال كونها ملقمة نديها صبيها ، وهذا المعنى أبلغ ، فإن المرأة والحالة هذه ، تكون أشد شفقة ، وذ هولها وهي في هذه الحال ، لا بد أن يكون لأمر عظيم³ ، ولو عبر بـ " مرضع " لما استفيد هذا المعنى ، إذ يدل الوصف على مجرد كونها مهياًة للإرضاع ، وإن لم تكن مباشرة له في تلك الساعة ، ومثله " الحائض " ، فقد روت عائشة — رضي الله عنها — أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : " لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار"⁴ . ومعلوم أن الحائض لا تصلي ، ولا تقبل منها الصلاة ، وإنما المراد : التي تحيض ، أي البالغة⁵ .

¹ الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، (د.ت) . البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (د.ط) ، القاهرة ، مكتبة دار التراث ، 373/1
² ابن مالك ، (1402 هـ) . شرح الكافية الشافية ، تحقيق : عبد المنعم هريدي ، (ط 1) ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، 172/4 .
³ الفراء ، يحيى بن زياد ، معاني القرآن ، تحقيق : عبد الفتاح شلبي ، وعلي النجدي ناصف ، (د.ط) ، (د.م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 635/2 .
⁴ أبو داود ، (د.ت) . سنن أبي داود (مع أحكام الألباني) ، تحقيق : ناصر الدين الألباني ، (د.ط) ، (د.م) ، المكتبة الوقفية ، باب (84) 213/1 .
⁵ العابد ، صالح بن حسين ، (1417 هـ) . نظرات لغوية في القرآن الكريم ، (ط 1) ، الرياض ، دار إشبيلية ، ص 98 .

مفهوم الدراسة البيانية وأهميتها :

قال ابن الأثير : " موضوع كل علم هو الشيء الذي يسأل فيه عن أحواله التي تعرض لذاته ، لذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة" ¹.

لذا لا بدّ من الحديث عن الفصاحة والبلاغة قبل الحديث عن علم البيان وتفرعاته .

الفصاحة : الظهور والبيان ، ومنها أفصح اللين إذا انجلت رغوته ، ويقال أفصح اللين إذا بدا ضوءه ² ، والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني ، لذا فإن كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً ³.

قال ابن الأثير : " الكلام الفصيح هو الظاهر البين ... والفصيح من الألفاظ هو الحسن " ⁴.

أمّا البلاغة ، فيظهر أنّها وُضِعَتْ أول ما وضعت لتدل على الوصول إلى المكان ، والنهاية إلى الغاية التي يقصدها العرب في بداوتهم ورحيلهم من مكان إلى مكان .
ثمّ تطور هذا اللفظ ليشمل مع هذا المدلول الحسيّ أموراً معنوية ينتهي بها إلى ما يريد أن يصل إليه من غايات متعددة ⁵.

فالفرق بين الفصاحة والبلاغة : أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني ، وأنّ الفصاحة تكون وصفاً للكلمة والكلام ، والبلاغة لا تكون وصفاً للكلمة ، بل تكون للكلام ، وأنّ فصاحة الكلام شرط في بلاغته ⁶.

قال عبد القاهر الجرجاني : " ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً ، وأبسق فرعاً وأعلى جنى ، وأعذب ورداً ، وأكرم نتاجاً ، وأنور سراجاً ، من علم البيان " ¹.

¹ ابن الأثير ، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم ، (دب). المثل السائر ، تقديم وتعليق : أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، (د.ط) ، مصر ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص26.

² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فصح).

³ الخفاجي ، ابن سنان ، (1932) . سر الفصاحة ، تحقيق : علي فودة ، (ط 1) ، (د.م) ، مكتبة الخانجي ، ص 59 .

⁴ ابن الأثير ، المثل السائر ص 80 .

⁵ عباس ، فضل حسن ، (2000) . البلاغة فنونها وأفانها ، (ط 7) ، عمان ، دار الفرقان ، ص 17 .

⁶ الهاشمي ، السيد أحمد ، (1999) . جواهر البلاغة ، ضبطه وعلق عليه : محمد رضوان مهني ، (ط 1) ، المنصورة ، مكتبة الإيمان ، ص 27 .

وقد تحدث الزركشي في هذا الباب حديثاً يشدّ الأسماع ، ويأسر القلوب ، مما دفعنا لذكر غالبية ما تحدث به ، ومنه قوله : " اعلم أن هذا علم شريف المحل ، عظيم المكان ، قليل الطلاب ، ضعيف الأصحاب ، ليست له عشيرة تحميه ، ولا ذوو بصيرة تستقصيه ، وهو أرق من الشعر ، وأهول من البحر ، وأعجب من السحر ، وكيف لا يكون ! وهو المطلع على أسرار القرآن العظيم ، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين ما أودع من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما تضمنه في الحلاوة ، وجلاله في رونق الطلاوة ، مع سهولة الكلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ، ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى .

وها أنا ألقى إليك منه ما يقضي له البليغ عجباً ، ويهتز به الكاتب طرباً ، فمنه التوكيد بأقسامه ، والحذف بأقسامه ، والإيجاز والتقديم والتأخير ، والتغليب والالتفات والتضمين ، ووضع الخبر موضع الطلب ، ووضع الطلب موضع الخبر ، ووضع النداء موضع التعجب ، ووضع جملة القلة موضع الكثرة ، وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر ، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه ، ومشاكله اللفظ للمعنى ، والنحت والإبدال والمحاذاة ، وقواعد في النفي والصفات ، وإخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة"².

لذا قال فضل عباس : " البلاغة هي التي تمكن المتكلم أن يأسر المخاطبين حينما يخترق ببيانه وأسلوبه ألبابهم وقلوبهم ، وإذا كان الناس يشترون العبيد بأموالهم ، فإنهم يشترون الأحرار بإحسانهم"³.

أمّا ميادين الدراسة البيانية فتتناول علم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، وهذه الميادين الثلاثة يوجد بينها صلة وطيدة تكاد لا تنفك .

علم المعاني : هو أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له .

وفائدة علم المعاني : معرفة إعجاز القرآن الكريم ، من جهة ما خصّه الله به من جودة السبك ، وحسن الوصف ، وبراعة التراكيب ، ولطف الإيجاز ، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب ، وجزالة

¹ الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، (1992) . دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، (ط 3) ، القاهرة ، مطبعة المدني ،

ص 5 .

² الزركشي ، البرهان في علوم القرآن 2 / 307 .

³ عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ص 13 .

كلماته ، وعذوبة ألفاظه وسلامتها ، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته ، وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته¹ .

قال ابن خلدون : " ومعرفتها — يقصد علوم العربية — ضرورة على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي بلغة العرب ، ونَقَلَتْهَا من الصحابة والتابعين عرب ، فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة " . ثم تابع قوله فقال : " اعلم أنّ ثمرة هذا الفن إنّما هي في فهم الإعجاز من القرآن ... " ² .

وذكر العلوي في تعريفه لعلمي البيان والمعاني : " هو العلم الذي يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز ، لأنّ الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنّه لا سبيل إلى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلاّ بإدراك هذا العلم وإحكام أسسه " ³ .

أمّا الميادين المتخصصة التي يبحث فيها علم المعاني ، فهي كثيرة مبنوثة في كتب علوم القرآن وكتب البلاغة ، منها أقسام الخبر ، وأقسام الإنشاء ، والمسند والمسند إليه ، والإيجاز والإطناب والمساواة ... ، وسيتم الحديث في أثناء الدراسة بشيء من التفصيل عن كلّ ميدان يبرز بين طيّات الآيات ، وواضع علم المعاني الإمام عبد القاهر الجرجاني .

علم البيان :

البيان لغة : الكشف ، والإيضاح ، والظهور ⁴ .

و اصطلاحاً : أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد ، بطرق يختلف بعضها عن بعض ، في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى .

وموضوع هذا العلم : الألفاظ العربية ، من حيث : التشبيه ، والمجاز ، والكناية .

وواضعه أبو عبيدة (ت 210 هـ) الذي دوّن مسائل هذا العلم في كتابه المسمّى : (مجاز القرآن) ، حتى وصل إلى الجاحظ (ت 255 هـ) ، وابن المعتز (ت 296 هـ) ، وقدامة ابن جعفر (ت 337 هـ) ، وأبي هلال العسكري (ت 395 هـ) ، وما زال ينمو شيئاً فشيئاً ، حتى وصل إلى الإمام عبد القاهر (ت 471 هـ) فأحكم أساسه ، وشيّد بناءه ، ورتب قواعده .

¹ الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 31 .

² ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (2004) . مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الإسكندراني ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ص 552 .

³ عن السامرائي ، مهدي صالح ، (2008) . تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ، (ط 1) ، عمان ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ص 13 .

⁴ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بين) .

وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب منثوره ومنظومه ، ومعرفة ما فيه من تفاوتٍ في فنون الفصاحة ، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم ، الذي حار الجنّ والإنس في محاكاته وعجزوا عن الإتيان بمثله¹.

علم البديع :

البديع : لغة : المُحَدَّثُ العَجِيبُ ، والبديع : المُبْدِعُ ، وأبَدَعْتُ الشيءَ : اخْتَرَعْتُهُ لا على مِثَالٍ². واصطلاحاً : هو : علم يُعْرَفُ به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوةً ، وتكسوه بهاءً ورونقاً ، بعد مطابقته لمقتضى الحال .

وواضعه عبدالله بن المعتز العبّاسي المتوفى في سنة 274 هجرية .

ومن ميادينه : التورية ، والطباق ، والمقابلة ، وحسن التعليل ، والطي والنشر ، ...³.

¹ انظر : الهاشمي ، جواهر البلاغة ص ص 202 - 203 .
² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بلغ) .
³ الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 282 .

فصول الدراسة :

وقعت هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمة ، على النحو الآتي:

الفصل الأول : يشتمل على المقدمة ، التي جاءت موضحة للإطار العام الذي تجري فيه فصول الدراسة من حيث المنهجية والمضمون ، وموضحة لمفهوم الدراسة اللغوية والدراسة البيانية .
الفصل الثاني ، " تعريف عام بسورة فصلت " وكان بحثاً نظرياً تناول التعريف بسورة فصلت من خلال التقسيم الآتي :

• **سبب اختيار سورة فصلت .**

• **تسميتها وسبب نزولها .**

• **معاني سورة فصلت .**

• **التناسق بين فواتح السورة وما قبلها (غافر) .**

• **التناسق بين خواتيم السورة وما بعدها (الشورى) .**

• **الصفات المشتركة بين الحواميم وفضائلها .**

• **قول في الحروف المقطعة .**

الفصل الثالث ، " سورة فصلت دراسة لغوية " ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول :

بعض القضايا الصوتية ودلالاتها في سورة فصلت ، تناولت فيه أحكام الترتيل ودلالاتها في سورة فصلت . ومنها : فنّ التجويد القرآني الوقف والابتداء التناسب بين إحياء الصوت ومعنى الكلمة ، المد والإخفاء والإظهار ودلالة كل منها في سورة فصلت .

المبحث الثاني :

بعض القضايا الصرفية ودلالاتها في سورة فصلت ، عرضت فيه طرق صيغ المبالغة في سورة فصلت ، والفرق بين إنزال القرآن الكريم وتنزيله .

المبحث الثالث :

بعض القضايا المعجمية ودلالاتها في سورة فصلت ، درست فيه القضايا الآتية :
القضية الأولى : كلمتا (الله والرب) ودلالاتهما في سورة فصلت . القضية الثانية : الترادف في
سورة فصلت . القضية الثالثة : الفرق بين الإرادة والمشية . القضية الرابعة : الفرق بين (خلق
وجعل) . القضية الخامسة : الفرق في استخدام الريح والرياح في القرآن الكريم وفي سورة فصلت

المبحث الرابع :

بعض القضايا النحوية ودلالاتها في سورة فصلت . تناولت فيه بعض القضايا ، منها :
إعراب الحروف المقطعة ودلالاتها ، والبناء للمجهول في سورة فصلت ، والقول في غير ، وأسلوب
الحصر في سورة فصلت .

الفصل الرابع " سورة فصلت دراسة بيانية " ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول :

بعض الأساليب اللغوية ودلالاتها في سورة فصلت ، درست فيه الأساليب الآتية : براعة
الاستهلال، والالتفات ، و الاستفهام ، والتصوير والتشخيص ،
والتفصيل بعد الإجمال ، والتقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير ، والحذف في سورة
فصلت ، ونظرت في دلالة استخدام بعض الحروف في سورة فصلت ، مثل : (إلى) و (اللام) و (
الفاء) و (ثم) و (السين) و (سوف) .

المبحث الثاني :

بعض الحقائق العلمية في سورة فصلت ، تعرضت فيه إلى الحقائق العلمية التي يكتنزها
قوله تعالى : " وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۗ قَالَُوا نَطَقْنَا
اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ
سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ " (فصلت : 19
_____ 22) .

وفي الخاتمة لخصت أهم النتائج التي توصلت إليها بعد رحلة طويلة من القراءة والبحث
واستقصاء المادة ، في كتب التفسير والنحو والصرف والبلاغة .

ولا أدعي أنني أخطت بكل صغيرة وكبيرة في هذه الدراسة ، إذ الكمال لله وحده ، غير أنني بذلت جهداً فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ، ولي أجر المجتهد إن شاء الله .
" وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً " .
وإنني إذ أردت هذا الدعاء ، لأدعو الله عزّ وجلّ أن يمنحنا صدق هذه الرحلة كلّها ، بدئها وختامها، أولها وآخرها ؛ آملاً في ذلك القرب من الله تعالى ، والفوز برضاه ، واللجوء إلى حماه .

والحمد لله ربّ العالمين

الفصل الثاني

الفصل الثاني

تعريف عام بسورة فصلت

- سبب اختيار سورة فصلت
- تسميتها وسبب نزولها
- معاني سورة فصلت
- التناسق بين فواتح السورة وما قبلها (غافر)
- التناسق بين خواتيم السورة وما بعدها (الشورى)
- الصفات المشتركة بين الحواميم وفضائلها
- قول في الحروف المقطعة

سبب اختيار سورة فصلت :

تتساوى سور القرآن الكريم من حيث النظم البلاغي المعجز ، فكل جملة ، وكلمة ، وحرف في القرآن الكريم يكمن وراءه الكثير من الإعجاز البياني ؛ لذا لا يستطيع أحد القول إن سورة تتميز عن سورة أخرى ، فكلها تتساوى في أنها كلام الله عزّ وجلّ .

ولمّا بدأ الباحث بالبحث عن الدراسات السابقة ، وجد العديد من السور الكريمة قد دُرِسَتْ من قبلُ ومنها :

سورة الإسراء دراسة نحوية دلالية لـ (مجدي معزوز أحمد حسين)
سورة النور دراسة وتحليل لـ (إسماعيل إبراهيم علي السامرائي)
لغة القرآن الكريم في سورة النور لـ (صبري إبراهيم السيد)
تفسير سورة القصص لـ (أحمد نوفل)
سورة يوسف دراسة تحليلية لـ (أحمد نوفل)
تفسير سورة الأنفال لـ (أحمد نوفل)
تحليل سورة السجدة لـ (الشيخ فضل عباس)
سورة مريم دراسة لغوية لـ (سيد إبراهيم سيد ناصر)
أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم " سورة الكهف نموذجاً " لـ (حورية عبيب)
النظم القرآني في سورة البقرة لـ (حسين أحمد علي الدراويش)
سور العلق ، والقلم ، والعصر ، والليل ، والفجر ، والهمزة ، والماعون لـ (عائشة عبد الرحمن)
سور المائدة ، والحجر ، والذاريات ، والنمل ، والمؤمنون ، والزمر ، والمعارج ، والطور ،
والقلم ، والجمعة ، والمنافقون ، والمعارج ، وعبس ، والقيامة ، والبلد لـ (فاضل السامرائي) .
وبعد هذا الاستقصاء ، اختار الباحث سورة فصلت ؛ لأنه وجد فيها من تنوع الموضوعات ،
وتعدد أساليب التعبير ، وكثرة الإشارات العلمية المتوافقة مع معطيات طرائق البحث العلمي
المتطورة، ما أكد له أنه سيقدم بحثاً مفيداً ، شافياً ، في دلالات هذه السورة ومعانيها .

التعريف بسورة فصلت :

أ - تسميتها : ترتبط سور القرآن الكريم بأسماء خاصة بها ، وقد يكون لبعضها اسمان ؛
فسورة البقرة يقال لها : فسباط القرآن لعظمتها وبهائها ، والمائدة تعرف باسم سورة المُنْقَذة .¹
"سورة فَصَّلَتْ مكية حروفها ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون ، كلمها سبعمائة وأربع وتسعون ،
آياتها أربع وخمسون"¹ .

¹ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن 269/1 .

" تسمى حم السجدة ؛ لأنها تميزت عن السور المفتحة بحروف حم بأن فيها سجدة القرآن ، وسميت في معظم مصاحف المشرق والتفاسير سورة السجدة ، وسميت هذه السورة في كثير من التفاسير سورة فصلت ، اشتهرت تسميتها في تونس والمغرب " سورة فصلت " لوقوع كلمة " فصلت آياته " في أولها فعرفت بها تمييزاً لها من السور المفتحة بحروف حم " ².

قال الزركشي : " لا بدّ من النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ؛ لأن العرب كانت تراعي في كثير من المسميات العلاقة بين الاسم والمسمى ، وعلى ذلك جرت أسماء سُور الكتاب العزيز " ³.

قال ابن عاشور : " أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن خليل بن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم _____ كان لا ينام حتى يقرأ : تبارك ، وحم السجدة " ⁴.
" وهي مكية بالاتفاق ، نزلت بعد " سورة غافر " وقبل " سورة الزخرف " وعدت الحادية والستين في ترتيب نزول السور .

عدت أيها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاثاً وخمسين ، وعند أهل الشام والبصرة اثنتين وخمسين ، وعند أهل الكوفة أربعاً وخمسين " ⁵.
قال البيضاوي : " سورة فصلت مكية وآياتها ثلاث أو أربع وخمسون " ⁶.

ذكر الشوكاني في تفسيره أنها تسمى سورة حم السجدة وهي أربع وخمسون آية ، وقيل ثلاث وخمسون ⁷.

يعود سبب الاختلاف في عدّ الآي إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم _____ كان يقف على رؤوس الآي تعليماً لأصحابه أنها رؤوس آي ، حتى إذا علموا ذلك وصل الرسول الكريم الآية بما بعدها طلباً لتمام المعنى ، فيظن بعض المستمعين أن ما وقف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم _____ ليس فاصلة بما بعدها معتبراً أنّ جميع ما قرئ آية

¹ النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد ، (1996) . غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، (ط 1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 6 /

49 .

² ابن عاشور ، محمد الطاهر ، (د.ب.ت) . تفسير التحرير والتنوير ، (د.ط) ، تونس ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، 25 / 226 .

³ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن 1 / 207 .

⁴ المصدر السابق 25 / 226 .

⁵ المصدر السابق 26 / 227 .

⁶ البيضاوي ، عبدالله بن عمر بن محمد ، (1410هـ) . تفسير البيضاوي ، (ط 1) ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ص348 .

⁷ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، (1305هـ) . فتح القدير ، (د.ط) ، مصر ، مصطفى البالي الحلبي وأولاده ، 4 / 717 .

واحدة ، وبعضهم يعتبرها آية مستقلةً فلا يصلها بما بعدها فمثل هذه المواضع كانت محطّ اختلافهم وسبب اجتهادهم¹.

مما سبق نلمح أنها سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى فَصَّلَ فيها الآيات ووضح فيها الدلائل على قدرته ووحدانيته ، وأقام البراهين القاطعة على وجوده وعظمته وخلق له هذا الكون البديع الذي ينطق بجلال الله وعظيم سلطانه .

ب - سبب نزول السورة : قبل الشروع في معرفة أسباب نزول السورة لا بد من الوقوف على الفوائد المرجوة من هذه المعرفة .

قال ابن تيمية : " معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب²

وقد توسع السيوطي في هذا الباب ، إذ ذكر عدة فوائد لهذا الفن ، منها : " معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها : تخصيص الحكم به ، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .

ومنها : أن اللفظ قد يكون عاماً ، ويقوم الدليل على تخصيصه ، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته ، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع .

ومنها: دفع توهم الحصر . قال الشافعي ما معناه في قوله تعالى : " قُلْ لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ

مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ³ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ " (الأنعام : 145) ،

إن الكفار لما حرموا ما أحل الله ، وأحلوا ما حرم الله ، وكانوا على المضادة والمحاداة ، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم ، فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرمتموه ، ولا حرام إلا ما أحللتموه ، نازلاً منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ، فتقول : لا أكل اليوم إلا الحلاوة ، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ، فكأنه تعالى قال : لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ولم يقصد حل ما وراءه ، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل .

¹ الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، (1996) . مناهل العرفان في علوم القرآن ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : أحمد شمس الدين ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 343/1 - 344 .

² ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم ، (د.ت) . مقدمة في أصول التفسير ، (د.ط) ، بيروت ، لبنان ، دار مكتبة الحياة ، ص 60 .

ومنها: معرفة اسم النازل فيه الآية ، وتعيين المبهم فيها" ¹.

وبالعودة إلى الجو العام لمكة المكرمة ، وما يدور فيها من أحداث ، نجد أن هذه الأحداث تتوافق ونزول هذه الآيات . فقد كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — يعمل جاهداً على نشر الدعوة الإسلامية ، واستقطاب أكبر عدد ممكن من الناس ، ليدوقوا بعد ذلك حلاوة الإيمان ، ويتلمسوا نور الإسلام ، فالرسول — صلى الله عليه وسلم — أراد تقرير أن الله أنزل هذا الكتاب قرآناً عربياً ، ليواجه المشركين في مكة ؛ إذ كانوا يدعون أن شخصاً أعجمياً يعلمه لشخصه الكريم ، وليقرر لهم أنه وحي من الله . وهذا الأمر لا يتماشى وعناد سادة قريش ، فحاولوا إفشال الدعوة إلى الله بشتى الطرق ، ومن هذه الطرق محاولتهم إقناع رسول الله التحي ، مقابل إعطائه ما يتمنى من مال ونساء ، ولذا جاء الرد من الله على لسان نبيه الكريم بهذه الآيات .

وقد أجمعت كتب المفسرين على أسباب نزول هذه السورة ، إلا أن الخلاف في بعض التفاصيل الثانوية في متن الرواية ، ومن هذه الروايات ما جاء في الدر المنثور "... عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : اجتمع رجال قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر ، والكهانة ، والشعر ، فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة قالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاه فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله . أنت خير أم عبد المطلب . فسكت رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع لك ، أما والله ما رأينا سلحة قط أشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيف .

يا أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً ، وإن إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فرغت قال : نعم . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

_____ : " حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ _____ حتى بلغ " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ " فقال عتبة :

¹ السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن . 1 / 190 .

حسبك ..! ما عندك غير هذا ؟ قال : لا . فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته قالوا : فهل أجابك ؟ قال : والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال ، غير أنه قال : " أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ " قالوا : ويلك . . ! يكلمك الرجل بالعربية وما تدري ما قال ؟ قال : لا . والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة " .¹

موضوعات سورة فصلت :

قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة منها : وحدة الألوهية ، والحياة الآخرة ، والوحي بالرسالة ، وطريقة الدعوة إلى الله وخلق الداعية . وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق ، واستدلال عليها ، وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق ، وتحذير من التكذيب بها ، وتذكير بمصارع المكذبين في الأجيال السابقة ، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة ، وبيان أن المكذبين من الجن والإنس هم وحدهم الذين لا يسلمون بهذه الحقائق ولا يستسلمون لله وحده ، بينما السماء والأرض والشمس والقمر والملائكة كلهم يسجدون لله ويخشعون ويسلمون ويستسلمون .

تحدث ابن عاشور بشيء من التفصيل عن موضوعات سورة فصلت ، ومما قاله :

" التنويه بالقرآن والإشارة إلى عجزهم عن معارضته .

ذكر هديه ، وأنه معصوم من أن يتطرقه الباطل ، وتأييده بما أنزل إلى الرسل من قبل الإسلام .

تلقي المشركين له بالإعراض وصم الأذان .

إبطال مطاعن المشركين فيه وتذكيرهم بأن القرآن نزل بلغتهم فلا عذر لهم أصلاً في عدم

انتفاعهم بهديه .

زجر المشركين وتوبيخهم على كفرهم بخالق السماوات والأرض ، مع بيان ما في خلقها من

الدلائل على تفرده بالإلهية² .

إنذارهم بما حل بالأمم المكذبة من عذاب الدنيا .

وعيدهم بعذاب الآخرة وشهادة سمعهم وأبصارهم وأجسادهم عليهم .

¹ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (2001) . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، صححها وخرّج أحاديثها : الشيخ نجدة نجيب ، (د.ط) ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 267/7 .

² ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 256 .

تحذيرهم من القرناء المزينين لهم الكفر من الشياطين والناس ، وأنهم سيندمون يوم القيامة على اتباعهم في الدنيا .

مقابلة ذلك بما للموحدين من الكرامة عند الله .

أمر النبي _____ صلى الله عليه وسلم _____ بدفعهم بالتالي هي أحسن والصبر على جفوتهم ، وأن يستعيز بالله من الشيطان .

ذكرت دلائل تفرد الله بخلق المخلوقات العظيمة كالشمس والقمر .

ذكرت إمكان البعث ، وأنه واقع لا محالة ، ولا يعلم وقته إلا الله تعالى .

تثبيت النبي _____ صلى الله عليه وسلم _____ والمؤمنين بتأييد الله إياهم بتنزل الملائكة بالوحي ، وبالبشارة للمؤمنين .

التنويه بإيتاء الزكاة " ¹ .

"هذه القضايا تعرض في حشد من المؤثرات الشعورية العميقة ، تعرض في المجال الكوني الحافل بالآيات العظام ، وتعرض في عالم النفس البشرية العجيبة التكوين ، وتعرض في مجال بشري من مصارع الغابرين ، وأخيراً تعرض في جو من مشاهد القيامة وتأثيرها العميق ، وبعض هذه المشاهد فريد في صورته ومواقفه يثير الدهش الشديد" ² .

والواقع أن القلب يجد أنه منذ مطلع السورة إلى ختامها أمام مؤثرات وإيقاعات تجول به في **ملكوت** السماوات والأرض ، وفي أغوار النفس ، وفي مصارع البشر ، وفي عالم القيامة ، وتوقع على أوتاره إيقاعات شتى كلها مؤثر عميق ³ .

التتناسق بين فواتح السورة وما قبلها (غافر) :

اهتم علماء التفسير ، وعلماء الدراسات القرآنية بإبراز العلاقة أو المناسبة بين سور القرآن ، "فالمناسبة : هي المشاكلة أو المقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول ، والضدين والنظيرين ، ونحوه ، وفائدة إبراز المناسبة بين سور القرآن

¹ ابن عاشور ، التحرير والتنوير 25 / 256 .

² قطب ، سيد ، (1971) . في ظلال القرآن ، (ط7) ، (د.م) ، دار إحياء التراث العربي ، 6 / 243 .

³ المرجع السابق 6 / 243 .

الكريم : هي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلازم الأجزاء ¹.

قال الله تعالى في أواخر سورة غافر: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ " (غافر : 82) إلى أن قال : " فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ " (غافر : 85) .

في هذه الآيات ذَكَرَ اللهُ عز وجل عاقبة الذين كفروا في الدنيا ، كذلك ضمن الله فيها وعيداً وتهديداً وتقريعاً لقريش ، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر ، فذكر أنه أنزل كتاباً مفصلاً آياته ، بشيراً لمن اتبعه ، ونذيراً لمن أعرض عنه ، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه . ثم ذكر قدرته على إيجاد العالم العلوي والسفلي . فقد قال الله عز وجل في أوائل سورة فصلت : " بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ " ² (فصلت : 4) .

التناسق بين خواتيم السورة وما بعدها (الشورى) :

قال الله تعالى في أواخر سورة فصلت : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ " (فصلت : 52) ، إلى أن قال : " أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَنْهَوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ " (فصلت : 54) .

قال أبو حيان : " إن الله حكم عليهم بالكفر لما كفروا به " ³ فالمقطع الأخير في سورة فصلت يدور حول الحديث عن وصف المشركين بالكفر وما يترتب على هذا الكفر من ضلال . وقال الله تعالى في أوائل سورة الشورى : " كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ " (الشورى : 3) ، فالرابط بين هذه الآية وأواخر سورة فصلت هو أن (كذلك) تعود بالمعنى إلى

¹ السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن 2 / 108

² الأندلسي ، محمد بن يوسف ، (2001) . تفسير البحر المحيط ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 7 / 462 .

³ المصدر السابق ، 7 / 462 .

الإيحاء السابق الموجود في سورة فصلت ، أي مثل الإيحاء السابق في القرآن الذي كفر به هؤلاء (يُوحى إِلَيْكَ) أي إن وحيه تعالى إليك متصل غير منقطع ، يتعهدك وقتاً بعد وقت .¹

الصفات المشتركة بين الحواميم وفضائلها :

أخرج ابن حبان² في " الثواب " عن أنس _____ رضي الله عنه _____ عن الرسول _____ صلى الله عليه وسلم _____ أنه قال : " الحواميم ديباج³ القرآن "⁴ وأخرج البيهقي⁵ في " الشعب " عن الخليل بن مرة مرسلاً : " الحواميم سبعة ، وأبواب جهنم سبعة ، تجيء كل (حم) منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول : اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني "⁶ وقد اشتركت الحواميم بعدة صفات منها :
_____ كلها سور مكية .

_____ كلها تحدثت عن القرآن الكريم كتاب الله .

قال الله تعالى في سورة فصلت : " تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ " (فصلت : 2) ، وفي سورة الشورى : " كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ " (الشورى : 3) ، وفي سورة الزخرف : " وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ " (الزخرف : 2) ، وفي سورة الجاثية : " تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ " (الجاثية : 2) .

_____ كلها ذكرت موسى — عليه السلام — ودوره في دعوة قومه من بني اسرائيل إلى الله .

قال الله تعالى في سورة فصلت : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ " (فصلت : 45) ، وفي سورة الشورى : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

¹ الأندلسي ، تفسير البحر المحيط 462 / 7 .

² هو عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان ، الإمام الحافظ الصادق ، محدث أصبهان ، المعروف بـ (ابن حبان) .

³ الديباج : النقش والتزيين ، فارسي معرب ، ودبج الأرض المطرُ يدبجها دبجاً : روضها ، والديباجُ : ضربٌ من الثياب مشتق من ذلك ، بالكسر والفتح ، مؤنثٌ والجمع ديباجٌ ودبابيج . لسان العرب ، مادة (دبج) .

⁴ انظر : الشوكاني ، فتح القدير : 4 / 479 ، الدر المنثور 5 / 344 .

⁵ هو أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري البيهقي (ت 458 هـ) ، كتب الحديث وحفظه من صباه إلى أن نشأ وتفقّه وبرع فيه وسرع في الأصول .

⁶ البيهقي ، أحمد بن الحسين ، (2003) . الجامع لشعب الإيمان ، تحقيق : مختار أحمد الندوي ، عبد العلي عبد الحميد حامد ، (ط1) ، (دم) ، مكتبة الرشيد ، 76/3 .

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (الشورى : 13) ، وفي سورة الزخرف : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ " (الزخرف : 46) .

_____ كلها ركزت على الوحدة وحذرت من خطورة الفرقة .

قال الله تعالى في سورة الشورى : " وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١﴾ " (الشورى : 10) ، وفي سورة الزخرف : " وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣﴾ " (الزخرف : 63) .

_____ كلها تحدثت عن انتقال الرسالة من بني إسرائيل إلى أمة محمد _____ صلى الله عليه وسلم _____

قال الله تعالى في سورة الأحقاف : " وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُذْشِرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ " (الأحقاف : 12) ، وفي سورة الجاثية : " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ " (الجاثية : 18) .

_____ كلها ركزت على أهمية الصبر والصفح .

قال الله تعالى في سورة الأحقاف : " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أَوْلُوا أَلْعَزَمَ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَبَلَغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ " (الأحقاف : 35) ، وفي سورة الجاثية : " قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤﴾ " (الجاثية : 14) .

مما سبق نجد أن الهدف الرئيسي للحواميم هو : تحمل مسؤولية الرسالة ، ولكن هناك واجبات ومحاذير ، فكل سورة من السور تأتي لتعرض جانباً من توصيات المنهج ، وهي كلها تحذيرات

وواجبات يجب أن يراعيها من سيتولى المسؤولية في الأرض على الرسالة والمنهج الذي شرعه الله تعالى للاستخلاف في الأرض .

قول في الحروف المقطعة :

الحروف في اللغة نوعان : حروف مبانٍ ، وحروف معانٍ . وحروف المباني ليس لها معنى في ذاتها إلا الصوت والأداء . وكما هو معلوم فإن لكل حرف اسماً ومسمى ، والطفل عند اكتسابه اللغة ينطق مسمى الحرف ويشترك معه الأمي ، أما اسم الحرف فلا ينطق به إلا المتعلم .
والحروف المقطعة تعني التي يذكر الله فيها اسم الحرف لا مسماه ؛ لأن لكل شيء اسماً ومسمى . وقد جاء القرآن الكريم بتسع وعشرين سورة من سورته مبدوءة بهذه الحروف بصور مختلفة من حيث التركيب ، منها سور تبدأ بحرف واحد ، وسور تبدأ بحرفين ، وسور تبدأ بثلاثة أحرف ، وسور تبدأ بأربعة أحرف ، وسور تبدأ بخمسة أحرف .

وقد ذكر السيوطي أن موقف علماء التفسير من فواتح السور القرآنية الكريمة جاء على قسمين : الأول يرى أنها سر من أسرار الله عز وجل ، والثاني يرى أن لها معاني يجب أن يشار إليها¹ . أما الذين قالوا إن هذه الفواتح سر من أسرار الله عز وجل ومعجزة من عنده ، منهم نظام الدين النيسابوري حيث يقول : " إن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به ، والتخاطب بالحروف المفردة سنة الأحاباب في سنن المحاب فهي من الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليها الرقيب " ² .
" عن أبي بكر ——— رضي الله عنه ——— في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور ، وعن علي كرم الله وجهه ، إن لكل كتاب صفوة ، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي " ³
وقال القرطبي : " هب سر الله في القرآن والله في كل كتاب سر ، فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ولا يجب أن يتكلم فيها ولكن نؤمن به ، ونقرأ كما جاءت . ⁴
وتابع القرطبي روايته قال ، وقال أبو حاتم : " لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور ، ولا ندري ما أراد الله عز وجل بها " ⁵

¹ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1988) . معترك الأقران في إعجاز القرآن ، (ط1) ، دار الكتب العلمية ، 1 / 156 .

² النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان 1 / 134 .

³ المصدر السابق 134/1

⁴ القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد ، (1988) . تفسير القرطبي ، المسمى " الجامع لأحكام القرآن " ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 154/1 .

⁵ المصدر السابق 155/1

لكن هذا الرأي يظل عاجزاً أمام ما يزخر به القرآن الكريم من آيات تدعو إلى ضرورة التدبر وإعمال العقل فيه دون استثناء . قال تعالى : " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ " (محمد : 24) ، وقال : " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ " (النساء : 82) ، وقال : " كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ " (ص : 29) .

وفي هذا المقام قال أحمد نوفل : " إن الله تعالى لم ينزل الكتاب ليكون شيء منه أحاجي وأسراراً ومغلفات لا يعلمها إلا الله ، والله وصف كتابه بالمبين ¹ لذا لا يمكن أن تكون هناك آية نازلة في القرآن الكريم دون أن يكون لفهم الناس وتدبرهم سبيل إليها ، وهذا لا ينفي أن يكون في القرآن بعض الأسرار والرموز بين الله عز وجل ونبيه الأكرم صلى الله عليه وسلم ————— ولكن ليس على مستوى يستوجب غموض الحرف والكلمة ، بحيث يستحيل فك المعنى بالنسبة للمتدبر والمتأمل ، وإنما الأسرار والرموز ————— إن وجدت ————— فقد تكون بين طيات الكلام ووراء معانيه أو ما شابه ذلك . كذلك لو كان في العهد الإسلامي الأول ما يشير إلى عدم فهم الحروف المقطعة ، لكان في ذلك فرصة وذريعة لليهود وغيرهم ، للطعن في القرآن ، فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول : " هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ " (آل عمران : 138) .

وفي هذا المقام قال ابن عقيلة المكي : " لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولاً لكانوا أول من أنكر على النبي صلى الله عليه وسلم ————— ، بل تلى عليهم : (حم ، فصلت) ، (ص) ، وغيرها فلم ينكروا ذلك ، بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة ، وحرصهم على زلة ، فدل على أنه كان أمراً معروفاً بينهم لا إنكار فيه ² وهذا الرأي يبطل دور العقل الإنساني ، ويجعله يقف متلقياً لا متديراً ، في حين إن العقل يتوقف عن التفكير فقط في الأمور الغيبية والمتعلقة بالذات الإلهية ، والقرآن الكريم بعد نزوله لم يعد كذلك

¹ نوفل ، أحمد ، (2005) . تفسير سورة القصص ، (ط1) ، عمان ، مركز حراء القرآني ، ص 18 .
² ابن عقيلة المكي ، (2006) . الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، (ط1) ، الشارقة ، جامعة الشارقة ، مركز البحوث والدراسات ، 462/ 1 .

من حيث الوجود ، إضافة إلى أن هذا الرأي يصرف عن القرآن وجه الإعجاز البياني ، بل يتوافق مع أهل المعتزلة في أن القرآن معجز بالصرفة .

أما الذين قالوا إن لهذه الحروف معاني ، فقد اختلفوا في تفسيرها ، ومن هذه المعاني :
أنها أسماء للسور التي افتتحت بها ، قال الزمخشري : " والقول بأنها أسماء السور حقيقة ، يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ، ويؤدي أيضاً إلى صيرورة الاسم والمسمى واحداً " ¹ .
وقالت بنت الشاطي : " ولا يعني هذا عندها أسماء السور حقيقة ، بل هي التسمية بما افتتحت واستهلت " ² .

ولكن ألا يعني ذلك وجود مجموعة سور تحمل الاسم نفسه ، مما يعني وجود سورتين باسم (طسم) وخمس سور باسم (الر) وست سور باسم (الم) ... ، كذلك بعض السور سميت بأسماء غير هذه الحروف مثل سورة البقرة ، وآل عمران ، ومريم ، فكيف نعلل ذلك ؟
ومنهم من قال إنها أسماء للقرآن ، والمقصود بأسماء القرآن مثل : الفرقان . والسؤال هنا هل توجد رواية واحدة تشير إلى أن الرسول الأكرم — صلى الله عليه وسلم — أو أحداً من أهل بيته ، دعا إلى قراءة (حم) أو (طس) أو غيرها ، وهو يقصد من ذلك الإشارة إلى القرآن بأكمله ؟ بل على العكس تماماً فإنه ترد أسماء مثل (حم السجدة) للدلالة على سورة معينة لا أكثر .
وهناك آراء أخرى نذكرها مختصرة للعلم بها فقط ، ومن هذه الآراء : أن كل حرف من هذه الحروف يشير إلى اسم من أسماء الله الحسنى ، كذلك إنها حروف لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم ³ ، ومنها أنها أقسام أقسم الله بها على أنها من أسمائه ، قاله الأخفش ⁴ وكل هذه الآراء لو أعملنا العقل فيها لوجدنا أنها غير مقنعة ، لا بل لا تلامس شغاف قلب المؤمن المتدبر لآيات الله وكتابه المبين .

ونصل إلى القول الذي يتقبله العقل والقلب معاً ، ذلك القول الذي يتوافق وسر سبب نزول القرآن الكريم ، والذي يثبت للقرآن إعجازه البياني ، وينفي عن سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — كل التهم التي وجهت إليه ، وخصوصاً قولهم إن هذا القرآن من عنده عليه السلام .

¹ الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر بن محمد ، (2006) . تفسير الكشاف ، رثبه وضبطه : محمد عبد السلام شاهين ، (ط 4) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 139/1

² بنت الشاطي ، عائشة عبد الرحمن ، (2004) . الإعجاز البياني للقرآن ، (ط3) ، القاهرة ، دار المعارف ، ص 143 .

³ انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 1 / 131 .

⁴ انظر : المرجع السابق ، 1 / 134 .

ولتبيان ذلك لا بدّ من ذكر بعض المقدمات التي لها ارتباط مباشر بالرأي الذي سيذكر لاحقاً والذي نؤيده كلّ التأييد .

عدد السور التي ابتدئت بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة ، وبالتأمل في عدد الحروف المقطعة بعد حذف المكرر منها ، نحصل على أربعة عشر حرفاً ، وهي تمثل نصف عدد الحروف الهجائية العربية ، وإنما أطلق النصف للدلالة على الكل من باب الإعجاز البلاغي .

ومنهم من جمع هذه الحروف المقطعة في قوله : " نص حكيم قاطع له سر " .

قال الزمخشري : " إذا نظرت في هذه الأربعة عشر حرفاً وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ، بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها ، ومن المجهورة نصفها ، ومن الشديدة نصفها ، ومن الرخوة نصفها ، ومن المطبقة نصفها ، ومن المنفتحة نصفها ، ومن المستعلية نصفها ، ومن المنخفضة نصفها ، ومن حروف القلقة نصفها ¹ .

كلُّ سورة افتتحت بالحروف المقطعة ، لا بدّ أن يذكر فيها الانتصار للقرآن ، وبيان إعجازه وعظمته ، قال تعالى :

" الْم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ " (البقرة : 1 - 2) .

" الْمَص ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ " (الأعراف : 1 - 2) ، " .

" الْم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ " (لقمان : 1 - 2) .

" حَم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ " (الدخان : 1 - 2) .

لكن هنا لا بدّ من الإشارة إلى ملاحظة دقيقة وهي أن الآيات السابقة ورد بعدها (الكتاب) ، وهناك آيات أخرى ورد بعدها (القرآن) ، مثل قوله تعالى :

¹ الزمخشري ، تفسير الكشاف / 1 / 139 .

" طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ " (طه : 1 - 2) .

" ص ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿٢﴾ " (ص : 1) .

وهذه الحقيقة تحتاج من الباحثين التحري عن السبب .

كل السور التي ابتدئت بالحروف المقطعة مكية ، إلا ثلاث سور ، وهذا له دلالة عظيمة ، حيث إن موضوع السور المكية يختلف عن السور المدنية .
حروف المباني التي ابتدئت بها هذه السور ، لا معنى لها ، وإنما لها وظائف وغايات يجب أن نفهم .

تقرأ هذه الحروف باسمها لا بمسماها ، وكلها تقرأ بمد فيه ست حركات . وقد تحدث علماء اللغة والتفسير عن وظائف وغايات هذه الحروف ، ومنهم أحمد نوفل حيث قال : " إنها لإثارة الاهتمام وجلب الانتباه والتشويق ، مثلها في ذلك مثل أدوات الاستفتاح في العربية ، ألا ، هلا ... ولكنها أي الحروف جاءت على غير مألوف العرب ، لأن المعاني وسمو البيان ليس ضمن النمط المألوف ، فجدد له في أدوات الاستفتاح " ¹ .

بعد كل ما ذكر ، نصل إلى الرأي الذي عليه الجمهور ، حيث اختصره محمد الصابوني في تفسيره إذ قال : " ابتداء السور بالحروف المقطعة وتصديرها بهذه الحروف الهجائية يجذب أنظار المعرضين عن هذا القرآن ، إذ يطرق أسماعهم لأول وهلة ألفاظ غير مألوفة في تخاطبهم ، فينتبهوا إلى ما يلقي إليهم من آيات بينات ، وفي هذه الحروف تنبيه على إعجاز القرآن ، فإن هذا الكتاب منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثله فذلك أعظم برهان على إعجاز القرآن . يقول ابن كثير : إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، وهو قول جمع من المحققين ، وقد قرره الزمخشري في تفسيره الكشاف ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الإمام ابن تيمية " ² .

¹ نوفل ، تفسير سورة القصص ص 14
² الصابوني ، محمد علي ، (د.ت) . صفوة التفاسير ، (د.ط) ، بيروت ، دار الجيل ، 23/1 .

إذا الحقيقة التي لا بد من التسليم بها هي أن الله عزّ وجلّ ، عندما أنزل قرآنه العظيم ، أنزله على النبيّ الأميّ _____ صلى الله عليه وسلم _____ بالأصوات والحروف والحركات واللغة التي تعرفها أمته ، وهي أمة تمتاز وتتباهى بنظمها ، ونثرها ، وفصاحتها ، وبيانها ، ومع ذلك فقد عجزوا عن أن يأتوا بمثله

الفصل الثالث

الفصل الثالث :

قضايا لغوية في سورة فصلت :

المبحث الأول : بعض القضايا الصوتية ودلالاتها.

المبحث الثاني : بعض القضايا الصرفية ودلالاتها.

المبحث الثالث : بعض القضايا المعجمية ودلالاتها.

المبحث الرابع : بعض القضايا النحوية ودلالاتها.

المبحث الأول

بعض القضايا الصوتية ودلالاتها

- القضية الأولى : أحكام الترتيل ودلالاتها في سورة فصلت .
وتشتمل على :
أولاً : فنّ التجويد القرآني ————— الدلالة والأداء ————— .
- ثانياً : الوقف والابتداء في سورة فصلت .
- ثالثاً : الفاصلة القرآنية بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى .
- رابعاً : التناسب بين إحياء الصوت ومعنى الكلمة .
- خامساً : المد و دلالاته في سورة فصلت —
- سادساً : الإخفاء و دلالاته في سورة فصلت .
- سابعاً : الإظهار و دلالاته في سورة فصلت .
- ثامناً : الإدغام و دلالاته في سورة فصلت .
- تاسعاً : القلقة ودلالاتها في سورة فصلت .

عاشراً : الإقلاب ودلالته في سورة فصلت .

أحكام الترتيل ودلالاتها في سورة فصلت :

شغل البحث في أصل الترتيل القرآني ودلالة أصواته جانباً واسعاً من النشاط اللغوي على امتداد عصور متتالية . ولم يخرج علماء اللغة المحدثون هذا البحث من مباحث علم اللغة أو اللسانيات ، لذا يبقى النظر في دلالة الأصوات على معانيها ، ونوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله ذا فائدة ، ولا سيما إذا اتخذ سبيلاً إلى التطبيق .

ويسعى الباحث في هذا الفصل إلى تلمس مظاهر العلاقة بين أحكام الترتيل القرآني في سورة فصلت ، ودراسة هذه المظاهر دراسة تطبيقية ؛ لاستجلاء أبعادها ، والكشف عن قيمها التعبيرية . وأود قبل أن أمضي مع بعض الظواهر الصوتية في سورة فصلت ، أن أرجح أن هذه التعليلات إنما هي من واقع ما أثبتته علماء اللغة ، وعلماء التجويد ، وبعض الدارسين في مجال البلاغة القرآنية والإعجاز القرآني .

ولا بدّ هنا من التذكير أن الدراسات اللغوية الحديثة ، وبخاصة الدراسات اللسانية التي تربط بين الصوت والمعنى ، انفرجت عن علم جديد يهتم بالأصوات من حيث طبيعة كل صوت ، وكثافته ، ومدته ، وحجمه ، وطاقته ، وشدته ، وسعته ، وأثر كل ذلك في دلالاته ، فعندما نقرأ مثلاً قوله تعالى : " وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ " (العصر : 1-2) ثم نحلل حروف الخاء والسين والراء وفق نظريات العلم الجديد الذي يكاد يتشقق عن علم اللسانيات بوجه عام ، نرى أن في سعة هذه الأصوات وطاقتها تدرجاً نحو الأسفل ؛ فالحاء أوسعها ثم تأتي السين بعدها ثم الراء بعد ذلك ، فكأن هذا الانحدار في دلالة هذه الأصوات يدل على الانحدار في السلوك الإنساني ما لم يتحلل ويتمسك بالايمان وطاعة شرع الله .

وعسى أن يأتي الباحثون القادمون لتناول آيات القرآن الكريم من خلال معطيات هذا العلم ، ودائماً نردد قوله تعالى : " وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ " (يوسف : 76) .

تناولت الدراسة بالبحث التحليلي العلاقة بين الدلالة والأداء ضمن فن الترتيل القرآني ، حيث بيّنت فيه أثر أحكام الترتيل القرآني في إبراز الدلالات المقصودة في النصّ القرآني ، وذلك من خلال دراسته في عدة ظواهر كالمد ، والإظهار ، والإخفاء ، والإقلاب ، والقلقلة .

أطلق علماء علوم القرآن على هذا العلم علم التجويد ؛ فهو يعنى بتحقيق اللفظ وتجويده ، حيث إنه يعتمد على مقدرة العالم في ملاحظة أصوات اللغة وتحليلها ووصفها ، فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها ، وأثر ذلك في تشكيل اللغة وتداولها بين الناس .

وقد تنبّه عودة أبو عودة إلى أنّ هذا المصطلح — علم التجويد — لم يرد في القرآن الكريم ، إنما كان المصطلح العلمي الذي يبحث في هذا العلم هو علم الترتيل ، مستنداً إلى قوله تعالى : " ورتّل القرآن ترتيلاً " وقوله تعالى : " وإذا قرأناه فاتَّبِع قرآنه " ، وقد وضّح أنّ الترتيل نظام إلهي أنزله الله مع القرآن الكريم لكي يكون المنهاج الذي يحفظ به القرآن .¹ وهذه النظرية من وجهة نظر الباحث في غاية الدقّة ، فالقرآن الكريم نزل مرتلاً على لسان سيّدنا جبريل عليه السلام ، إلى سمع أشرف الخلق سيّدنا محمد ، ولو أنعمنا النظر في قيمة الترتيل القرآني وأهميته ، لتبيّن لنا مدى صحّة هذه النظرية ، فقراءة القرآن الكريم وفق أحكام الترتيل تحقق منهاجاً صوتياً موحداً يقرأ به كل من يتعلم القرآن الكريم ويستمتع إليه في كل مكان وزمان وبذلك تتوحد قراءته ، ويستمر بقاؤه ، إضافة إلى أن الترتيل يضيف معاني جديدة للنصّ القرآني تتماشى والمعنى الأصلي ، كما أن القراءة الصحيحة للقرآن الكريم وفق أحكام الترتيل ، تجعل المستمع خاشعاً بكل جوارحه ، لا يرغب أن ينقطع هذا الصوت ، على عكس من يقرأ القرآن الكريم غير مبالٍ بأحكام الترتيل ، فالمستمع لهذا الصوّت تجده في حالة عدم خشوع ، وإن كان في موضع غير الصلّاة فلا بدّ أن يقطع هذا الصوت أو يتجاهله على الأقل .

ومن المظاهر الدّالة على صحّة هذه النظرية ، هي حفظ القرآن الكريم في صدور غير العرب من الأعاجم ، في شتّى بقاع الأرض مع عدم قدرتهم قراءة فقرة واحدة من اللغة العربية غير القرآن الكريم .

ودراسة المستوى الصوتي ترتبط بشكل أساسي بمعالجة ما سموه باللحن الخفي ، وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق ، وهذا يستلزم دراسة ثلاثة أمور : مخارج الحروف ، وصفاتها ، وأحكامها التركيبية .²

¹ هذه المعلومة سمعتها من الدكتور عودة أثناء إعطائه لنا مادة اللسانيات في جامعة الشرق الأوسط ، تاريخ 16 / 11 / 2009 م .
² الحمد ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص 21 .

وفي هذه الدراسة محاولة لإبراز العلاقة بين الدلالة والأداء في سياق آيات من سورة فصلت .
وبالنظر الدقيق ، والتأمل العميق في سورة فصلت ، وجدت أنّ فكرة العلاقة بين الدلالة والأداء تنتظم
الظواهر الصوتية القرآنية كلّها ؛ من مدّ وقصر ، ووقف وابتداء ، وسكت وقطع ، ونبر وتغيم ،
وإعلال وإبدال ، وإظهار وإخفاء ، وإدغام وقلب وغيرها .

ورغبة في إعطاء صورة واضحة عن فكرة العلاقة بين الدلالة والأداء في سورة فصلت ، رأينا
أن يقصر البحث على دراسة فنّ الترتيل القرآنيّ — الدلالة والأداء — . وسيقف فيه عند
الظواهر الآتية :

فنّ التجويد القرآني ، الوقف والابتداء ، الفاصلة القرآنية بين التتاسق الصوتي ورعاية المعنى ،
التناسب بين إحياء الصوت ومعنى الكلمة والمد والإخفاء والإظهار والإدغام والقلقلة والإقلاب .
أخيراً ما توصل إليه الباحث في مجال الدراسة الصوتية يبقى مجرد اجتهاد ؛ ذلك أنّ مثل هذه
الدراسة جديدة بأفكارها وهي تحتاج إلى مزيد من النظر والتدبر من قبل أصحاب العلم ، فقد يؤيدون
بعض ما توصل إليه الباحث ، وقد يخالفون ويبقى للباحث اجتهاده ، فالدراسة الصوتية التي تتعلق
بأحكام الترتيل ما زالت بكرة ، ولا يوجد أحكام ثابتة من قبل العلماء ما تؤيد أو تخالف ما توصل إليه
الباحث ، والله أسأل أن يكون لبعض ما توصلت إليه شيئاً من القبول والصواب .

أولاً : فنّ التجويد القرآني — الدلالة والأداء :

التجويد في الاصطلاح كما عرفه الداني (ت 444 هـ) : إعطاء الحروف حقوقها ، وترتيبها
مراتبها ، وردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله ، وإحاقه بنظيره وشكله ، وإشباع
لفظه ، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف¹.

والذي يفهم من ذلك أن القرآن الكريم يجب أن يقرأ بالوجه المخصوص الذي أنزله الله عزّ
وجلّ به قال تعالى : " فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ إِنَّهُ ﴿١٨﴾ (القيامة : 18) ، وقال أيضاً : " أَوْ

¹ ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ، (1998) . النشر في القراءات العشر ، قدم له الأستاذ : علي محمد الصباغ ، (ط 1) ، بيروت
، لبنان ، دار الكتب العلمية ، 212 / 1 .

زَدَّ عَلَيْهِ وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ (المزمّل : 4) . فهل يوجد فرق بين التجويد والقراءة العادية ، وهل الترتيل ضرورة ، وما قيمته ؟

جاء في لسان العرب : " كلامٌ رَتَّلَ ورَتَّلُ أي : مُرَتَّلٌ حسنٌ على تَوَدَّةٍ ، ورَتَّلَ الكلامَ أحسن تَأْلِيفِهِ وَأَبَانَهُ وتمَهَّلَ فيه : والترتيلُ في القراءة : التَّرْسُلُ فيها والتبيين من غير بَغْيٍ ، وفي التنزيل العزيز : " ورَتَّلَ القرآنَ ترتيلاً " قال أبو العباس : ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين والتمكين أراه في قراءة القرآن وقال مجاهد : الترتيل : الترسُّل قال ورَتَّلْتَهُ ترتيلاً بعضه على إثر بعض ، وقال ابن عباس في قوله : " ورتل القرآن ترتيلاً " قال بيَّنه تبييناً . وقال أبو إسحق : " ورتل القرآن ترتيلاً " بينه تبييناً والتبيين لا يتم بأن يعَجَلَ في القراءة ، وإنما يتم التبيين بأن يُبيِّن جميع الحروف ويُوفِّيهَا حقها من الإشباع ¹ .

ولعلَّ أقدم إشارة تدعو إلى التأمل في أصول الأداء القرآني ما روي عن عليٍّ — كرم الله وجهه — في قوله تعالى : " وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً " أنه قال : " الترتيل : تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف " ² .

ويمكن التعبير عن التجويد بحسن الأداء ، وهذا يتطلب قراءة القرآن بتطبيق الأحكام ، وإشباع الحركات ، وتبيين الحروف ؛ بإعطائها حقها من المخارج والصفات ، ومستحقها من المدِّ والإظهار والإدغام وغيرها . فإنَّ هذه الظواهر تنهض لتحقيق غاية عظيمة تتمثَّل في استظهار دلالات النصِّ القرآني ، وهذا وجه عظيم من أوجه معجزات القرآن الكريم الذي لا تتقضي عجائبه ³ .

لم ينزل القرآن الكريم مكتوباً في صحيفة على سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — وإنما نزل مرتلاً من قبل سيدنا جبريل — عليه السلام — ، حيث قام الرسول الكريم بدوره بتعليمه لصحابته الكرام بلسانه الطاهر الشريف ، وعليه فإنَّ أحكام التجويد التي نعرفها من مدِّ وإظهار وإخفاء وإقلاب ، ووقف وابتداء وغيرها ، هي من نص القرآن الكريم ، وهذه الأحكام نجدها مبنوثة في كامل القرآن الكريم ، وسورة فصلت جزء من القرآن الكريم ، لذا ساقف عند بعض هذه الأحكام اللافتة للنظر مسلطاً الضوء عليها لنتبين أهمَّ الملاحظات التي تستدعي إبراز دلالاتها . ويظهر فيها وجه من أوجه الإعجاز البياني ، وهو أيضاً مثل أو شاهد على بعض الملاحظات الصوتية في هذه السورة .

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (رتل)

² السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، 1 / 166 .

³ بني دومي ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص 87 .

ثانياً : الوقف والابتداء في سورة فصلت :

سأقف الآن عند ظاهرة الوقف والابتداء في محاولة للكشف عن أثر هذه الظاهرة في إبراز دلالات جديدة ، مكتفياً في التمثيل عليها بالمثل الذي وقفت عليه في سورة فصلت ، وهو يمكن أن يقاس عليه غيره بكل تأكيد.

قال تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ " (فصلت : 6) .

الوقف والابتداء علم من علوم البلاغة ، إذ يضيفي على المعنى الأصلي معنى جديداً قد يكون هو المطلوب ابتداءً .

قال الزركشي (ت 794هـ) : "... فن جليل ، وبه تعرف كيفية أداء القرآن ؛ إذ يترتب عليه فوائد كثيرة ، واستنباطات غزيرة ، وبه تتبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات¹ .

وقال السيوطي : " الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يُتَنَفَّسُ فِيهِ عَادَةً ، بِنِيَّةِ اسْتِنَافِ الْقِرَاءَةِ لَا بِنِيَّةِ الْإِعْرَاضِ ، وَيَكُونُ فِي رُؤُوسِ الْآيِ وَأَوْسَاطِهَا ، وَلَا يَأْتِي فِي وَسْطِ الْكَلِمَةِ ، وَلَا فِيمَا اتَّصَلَ رَسْمًا² .

وعلق خالد بنى دومي على الوقف فقال : " من تمام آلة المَجُودِّ أن يعرف مادة الوقف ، وأن يحسن كيف ينتهي ، ثم كيف يبتي بعد ذلك³ .

ولذا فإنَّ القارئ عندما يقرأ قوله تعالى " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ " ويقف هنا ثم يستأنف قراءته بقوله تعالى " وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ " موصلاً إليها بالآية اللاحقة " الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ " (فصلت : 7) مثل هذه القراءة تبرز السبب الذي من أجله وعد الحق المشركين بالويل ، فلا يشترط قراءة الآية من أولها حتى نهايتها على وتيرة صوتية واحدة ، دون النظر لبداية الآية التي تليها ، فقد تكون الآية مرتبطة

¹ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن 1 / 342 .

² السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن 1 / 175 .

³ بنى دومي ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ص 89

ارتباطاً دلاليًا وثيقاً بما قبلها أو بعدها ، وهذا من شأنه أن يوضح المعنى، ويضفي معنى جديداً ،
يجعل المستمع يستشعر عظمة القرآن .

ومن الجدير بالذكر أن هذه العلامة من علامات الوقف (قلى) هي من علامات الوقف الجائز
مع كون الوقف أولى ، وهذا يدل على أن الوقف في هذه الآية أكثر دلالة على المعنى ، أما إذا
استطاع القارئ أن يواصل القراءة حتى يصل إلى نهاية الآية ، أو يربطها بالآية التي تليها فإن ذلك
جائز إذا استطاع القارئ أن يوضح المعنى المراد في الآية الكريمة .

ثالثاً : الفاصلة القرآنية بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى :

عرّف العلماء الفاصلة تعريفات عديدة ومن هذه التعريفات قول الرماني (ت 386 هـ) : "
الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني " ¹، وقول أبي بكر الباقلاني (ت
403 هـ) : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني
" ²، وقول ابن منظور (ت 711 هـ) : " وأخر الآيات في كتاب الله فواصل ،
بمنزلة قوافي الشعر ، جلّ كتاب الله عزّ وجلّ ، واحدها فاصلة " ³، وقول الزركشي (ت 794
هـ) : " الفاصلة هي آخر كلمة في الآية ، كقافية الشعر وقريئة السجع " ⁴، وقول أحمد بدوي : "
نعني بها تلك الكلمة التي تختتم بها الآية من القرآن " ⁵، وقد توسع محمد الحسناوي في هذا الباب
وفصّل القول في كتابه (الفاصلة في القرآن) وقد خلص إلى أن الفاصلة القرآنية هي كلمة آخر الآية
كقافية الشعر وسجعة النثر . والتفصيل ——— توافق أواخر الآي في حروف الروي ، أو في
الوزن ، مما يقتضيه المعنى ، وتستريح إليه النفوس . ⁶

وقد أطلق السلف الصالح على نهايات الآيات القرآنية تسمية (رؤوس الآيات) ، تمييزاً لها عن
مصطلحات الشعر والنثر ، ففي الشعر نقول : صدر البيت وعجزه ، وفي النثر نقول بداية الجملة
ونهايتها ، وبداية الآية عند السلف كنهايتها : رأس ، أي مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهي ولا

¹ الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، (1968) . ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغول ، (ط 2) ، مصر ، دار المعارف ،
ص 72 .

² الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 270 .

³ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فصل) .

⁴ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 1 / 229 .

⁵ بدوي ، أحمد ، (دبت) . من بلاغة القرآن ، (دط) ، مصر ، دار نهضة مصر ، ص 75 .

⁶ الحسناوي ، محمد ، (2000) . الفاصلة في القرآن ، (ط 2) ، عمان ، دار عمار ، ص 29 .

يهبط أبداً ، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن قمم يرقى القارئ إليها ، وكلما مضى في القراءة ازداد رقياً ، فهو صاعد أبداً¹ .

ومعلوم أن رؤوس الآيات توقيفية ، أي كما جاءت بالتلقي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والملاحظ في رؤوس الآيات التناسب الصوتي الذي يلفت الانتباه وتستريح له الأذان إلى حد يأخذ بالنفس ، ولعله كان أحد الأسباب التي جعلت الوليد يقول بعد سماعه القرآن : " إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة"² وهما من حس اللسان وحسن الاستماع .

وبتتبع أصوات الحروف والحركات التي تكون فواصل سورة فصلت ، بهذا التناسق الصوتي المبدع، نلاحظ الآتي :

1 — كثرة ورود (الواو ، والنون) في نهاية الفاصلة القرآنية ، ومن أمثلتها : (يعلمون ، لا يسمعون ، عاملون ، كافرون ، ممنون ، يجحدون ، لا ينصرون ، يتقون ، يوزعون ، يعملون ، ترجعون ، تعملون ، تغلبون ، توعدون ، تدعون ، تعبدون ، لا يسأمون) . وكثير من السور القرآنية تنتهي آياتها أو معظم آياتها بمثل هذه الفاصلة ومنها سور البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام والأعراف والمؤمنون وغيرها .

2 — كثرة ورود (الياء ، والنون) في نهاية الفاصلة القرآنية ، ومن أمثلتها : (للمشركين ، العالمين ، للسائلين ، طائعين ، الخاسرين ، المعتبين ، الأسفلين ، المسلمين) .

3 — كثرة ورود (الياء ، مع صامت آخر) في نهاية الفاصلة القرآنية ، ومن أمثلتها : (محيط ، شهيد ، بعيد ، عريض ، غليظ ، محيص ، للعبيد ، مريب ، أليم ، حميد ، عزيز ، بصير ، قدير ، العليم ، عظيم ، حميم ، رحيم) .

هل هذا التناسب الصوتي هو من قبيل السجع ، حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد ، ليكتسب النثر ضرباً من الموسيقى والنغم ؟ وهل هو من قبيل القافية في الشعر ؟

لا هذا ولا ذلك ، فالفاصلة في القرآن ليست على وتيرة واحدة ، كما هو الحال في كل من السجع والتقفية ، فهي لا تلتزم شيئاً من ذلك ، حيث تجري في عدد من آيات السورة على نمط ، ثم

¹ شملول ، محمد ، (2009/5/17) . تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان ، (ط 2) ، موقع منتديات الشيخ محمد صديق المنشاوي ، ص 89 .
<http://www.alminshawy.com/vb/archive/index.php/t->

6411.htm

² ابن هشام ، عبد الملك بن أيوب الحميري ، (د.ت) . السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها : مصطفى السقا ، و إبراهيم الإبياري ، (د.ط) ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ، 1 / 270 .

يتحول عنه إلى نمط آخر ، ومن خلال جريها على نمط واحد ، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد كما هو ظاهر في الأمثلة السابقة .

قال سيبويه : أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت . وإذا أنشدوا ولم يترنموا فأهل الحجاز يدعون القوافي على حالها في الترتم ، وناس من بنى تميم يبدلون مكان المدة النون .¹

جاء في البرهان : قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك .²

قال أحمد نوفل : إن حرف النون هو أكثر الحروف دوراناً في فواصل الآيات في القرآن ، وهو بلا شك أغنى الحروف العربية بالإيقاع والموسيقى ، ولو تأملت أحكام التجويد لوجدت لحرف النون نصيباً بارزاً ، وحظاً ظاهراً وقسطاً وافراً .³

كذلك لو تأملنا هذه الفواصل كلاً على حدة ثم أنعمنا النظر في الآية كاملة لوجدنا استحالة مجيء آية كلمة أخرى غيرها ؛ لأنّ المعنى المطلوب لا يتأتى من دونها فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما قبلها ، ومتممة للمعنى السابق ، ولنأخذ مثلاً على ذلك الفواصل المنتهية (بالواو والنون) ففي قوله تعالى : " كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ " (فصلت : 3) ، الحديث في هذه الآية

الكريمة يدور حول الآيات الواضحة البيّنة الدالة على صدق النبي — صلى الله عليه وسلم — ولكثرة وضوح هذه الآيات فالجميع يعلمها لأنه يلمسها في ليله ونهاره ، وهذه حقيقة لا ينكرها إلا جاحد ، ولأنّ الحقّ تبارك وتعالى أراد أن يوبّخ كلّ المعرضين ، انتهت هذه الآية بما يدلُّ على علمهم ومعرفتهم بهذه الآيات البيّنات ، وأنّ إنكارهم وإعراضهم ناتج عن عصبية وجهل لا غير . كذلك نلمح إعجازاً لغوياً في كلّ فاصلة قرآنية ، فالفاصلة التي نحن بصددّها (يعلمون) تفيد الديمومة والاستمرارية ، بمعنى ديمومة هذه الآيات البيّنات إلى يوم الدين وهذه حقيقة ، واستمرارية علم الكفرة بهذه الحقيقة أيضاً ليوم الدين إلا أنّ عدم إيمانهم له أسباب أخرى ، ويدلّ كذلك على أنّ العلم يفضي بهم — بكل تأكيد — إلى معرفة هذا الكتاب والتصديق به .

¹ سيبويه ، الكتاب 2 / 346 .

² انظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن 1 / 233

³ نوفل ، أحمد ، (1999) . سورة يوسف دراسة تحليلية ، (ط 2) ، عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ص 24 .

ومن الأمثلة كذلك الفواصل المنتهية (بالياء والنون) ، ففي قوله تعالى : " وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ
فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ " (فصلت : 25) ، الحديث هنا عن الأصحاب الملازمين لهم في الضلالة
: إمّا في الظاهر مثل دعاة الكفر وأئمتّه ، وإمّا في باطن النفوس مثل شياطين الوسواس ، فهؤلاء
زَيَّبُوا لَهُمْ مَا يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْفَسَادِ مِثْلَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَأَكْلِ الْأَمْوَالِ
، وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى النَّاسِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ ، وَالْمَيْسَرِ ، وَارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ ، وَالْوَادِّ . فَعُودُوهُمْ عَلَى
اسْتِحْسَانِ ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ مَوَاقِفِ الشَّهَوَاتِ وَالرَّغْبَاتِ الْعَارِضَةِ الْقَصِيرَةِ الْمُدَى ، وَصَرَفُوهُمْ عَنِ
النَّظَرِ فِيهَا يَحِيطُ بِأَعْمَالِهِمْ تِلْكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ الذَّاتِيَّةِ الدَّائِمَةِ . وَصَرَفُوهُمْ كَذَلِكَ عَنِ الْأُمُورِ الْمَغْيِبَةِ عَنِ
الْحَسَنِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ، وَأُمُورِ الْآخِرَةِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ مِثْلَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَنِسْبَةِ الْوَالِدِ إِلَيْهِ ، وَظَنُّهُمْ
أَنَّهُ يَخْفَى عَلَيْهِ مَسْتَوْرٌ أَعْمَالُهُمْ ، وَإِحَالَتُهُمْ بَعْثَةَ الرِّسْلِ ، وَإِحَالَتُهُمْ الْبَعْثَ وَالْجَزَاءَ¹ . وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ
فَضَّلَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ عَلَى وَعْدِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِجَنَاتِ الْخُلْدِ ، لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ خَاسِرًا خَسِرَانًا
عَظِيمًا ، هَذَا مِنْ حَيْثُ مَوَاقِفُ الْفَاصِلَةِ لِلْمَعْنَى السَّابِقِ لَا يَدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْفَاصِلَةُ لَا غَيْرَهَا ، كَذَلِكَ
الْبِنَاءُ الْجَمَلِيُّ النَّحْوِيُّ اسْتَلْزَمَ أَنْ تَكُونَ فِي حَالَةٍ نَصَبٍ لَذَا انْتَهَتْ (بالياء والنون) ، وَأَخِيرًا فَإِنَّ نَطْقَ
(الياء والنون) يَشْعُرُ بِالانْحِدَارِ السَّحِيقِ وَهَذَا يَتَمَاشَى وَالْمَعْنَى الْمَقْصُودُ .

ومثال آخر على الفواصل المنتهية (بالياء مع صامت آخر) هو في قوله تعالى : " لَا يَأْتِيهِ
الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ " (فصلت : 42) ، القول في هذه
الآية الكريمة عن القرآن الكريم وما يكتنزه من خير ظاهر وخفي ، وهذا هو المحور الذي تدور عليه
الآية الكريمة ، وهذا الخير يتمثل في آيات الله — عز وجل — الظاهرة والبارزة ،
ودقة الإتيان في خلقها ، فالشمس مثلاً لو زُحِرَتْ مِنْ مَكَانِهَا قَلِيلًا لَأَحْرَقَتِ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا ،
فَالَّذِي خَلَقَ الشَّمْسَ وَأَحْكَمَهَا بِقَدْرِ مَعِينٍ ، يَسْتَحِقُّ مِنْهَا الْحَمْدَ عَلَى ذَلِكَ ، وَمَا يَنْدَرِجُ عَلَى الشَّمْسِ
يَنْدَرِجُ عَلَى سَائِرِ آيَاتِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ الَّتِي لَا تَحْصَى ، فَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ (حَكِيمٍ وَحَمِيدٍ) هِيَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَالشَّمْسَ وَالْكَوَاكِبَ وَالْبَحَارَ وَمَا تَكْتَنِزُهُ الْبَحَارُ وَالْجِبَالَ مِنْ نِعْمٍ جَمَّةٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

¹ انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 275 .

من النعم كل ذلك خُلق بإتقان وإحكام ، وعليه فهو يستحق منا الحمد على نعمه المحكمة المتقنة ، وقُدِّمَ (حكيم) على (حميد) لأن الأولى سبب في الثانية .

هذه بعض الملاحظات في الفاصلة القرآنية في سورة فصلت ، التي من شأنها أن تضيف نغمة منتظمة تسيطر على وقع الكلام ، مع مراعاة المعنى .

رابعاً : التناسب بين إحياء الصوت ومعنى الكلمة :

ومن التناسب بين إحياء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة قوله تعالى : " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ " (فصلت : 16) .

قال ابن منظور : الصرّ بالكسر ، والصرّة : شدة البرد ، وقيل هو البرد عامة ، ... وريح صرصر : شديدة البرد ، وقيل شديدة الصوت ... وصرصر متكرر فيها الراء ، كما يقال : قلقلت الشيء وأقللته: إذا رفعته من مكانه ... وصرصر : صوت وصاح أشد الصياح¹ .
عند إدامة النظر في هذه اللفظة الكريمة ، تجد نفسك أمام معانٍ عظيمة ، ما كانت لتبين لك لولا إعمال عقلك وفكرك في النص القرآني الذي وردت فيه هذه اللفظة الكريمة ، فهذه اللفظة مسوقة لوصف عذاب قوم عاد من قبل رب العباد ، وعليه فلا بدّ أن تكون شدة العذاب متمثلة بالألفاظ التي سيقت من أجل ذلك ، وأما شدة العذاب فقد حملتها اللفظة الكريمة (صرصر) ، فالتكرار أفاد تكرار عذابهم واستمرارية هذه الريح لأجل لا يعلمه إلا الله — عز وجل — أي مدة عذابهم في الأرض ، كذلك أفادت معنى البرد الشديد ، ونتيجة هذا البرد لا بدّ أن يكون هنالك تصويت وحركة ، وهذا التصويت والحركة تستشعره نفسياً في أثناء لفظك لهذه الكلمة .

خامساً : المد و دلالاته في سورة فصلت —

يعدّ المدّ ظاهرة من ظواهر الزيادة لأحرف الكلمة القرآنية . فكما أنّ زيادة المبنى تستدعي زيادة المعنى ، فإنّ المدّ الصوتي لبعض أحرف الكلمات القرآنية مدّاً زائداً على المدّ الأصلي الطبيعيّ

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صرر) .

حين التلاوة يدلّ على تفخيم هذه الكلمة وزيادة معناها من ناحية¹، مثلما يستدعي أخذ اعتبار جلالة ما يقع عليه المدّ من ناحية ثانية².

وعليه ، فإنّ المدّ يمكن القارئ والسّامع من الاهتمام بالدلالة ، ويثير فيهما الانتباه ، ويشير إشارات صوتيّة إلى مواطن العبر ، ومجالات التبشير والإنذار³.

وفي ما يأتي أمثلة من الكلمات القرآنية التي لحقها المدّ في سورة فصلت ، وذلك لنتبين أثر هذا المدّ في إبراز الدلالة المقصودة للكلمة ، وهي دلالة ترتبط بالدلالة المركزيّة التي يقتضيتها المقام أو سياق الحال . علماً بأن عرض هذه الكلمات سيكون بحسب نوع المدّ وبطريقة انتقائية لا إحصائية.

المدّ المتصل :

المد المتصل : هو أن يأتي الهمز بعد حرف المدّ مباشرة في كلمة واحدة ، سواء كان الهمز في وسط الكلمة أو في آخرها⁴. ومقدار مدّه : أربع حركات ، وهو المعروف بالتوسط ، أو خمس حركات (فويق المتوسط) وفقاً ووصلاً ، والوجهان معمول بهما ، والتوسط هو المشهور والمقدّم في الأداء⁵. كما أنه يجوز المدّ بمرتبة الإشباع وقدرها ست حركات ، إذا كانت الهمزة متطرّفة في نهاية الكلمة وموقوفاً عليها نحو " يشاء " ، " السماء " ⁶.

والأمثلة على المدّ المتصل في سورة فصلت كثيرة ، وتتشرك جميعها في أمر مهمّ ، وهو أنّ أداءها على الوجه الصحيح يمثلّ إشارات صوتية توصل إلى الدلالة المرادة في كلّ منها . من ذلك :

أ — قوله تعالى : " ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ " (فصلت : 11) .

المدّ المتصل في هذه الآية لحق كلمة " السماء " ولأنّ المقام مقام حديث عن آيات الله البيّنات ، والسماء واحدة من هذه الآيات البيّنات ، فجيء بالمد في هذه الكلمة لشدّ انتباه المخاطبين لأهمية هذه

¹ شمول ، تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان ، ص 214 .

² ظبيان ، نشأت ، (1997) ، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات ، (ط 1) ، بيروت ، دار ابن حزم ، ص 133 .

³ بني دومي ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص 111 .

⁴ شكري ، أحمد خالد ورفاقه ، (2003) . المنير في أحكام التجويد ، (ط 4) ، عمان ، المطابع المركزية ، ص 72 .

⁵ منصور ، محمد خالد عبد العزيز ، (1999) . الوسيط في علم التجويد ، (ط 1) ، عمان ، دار النفائس ، ص 173 .

⁶ بني دومي ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص 112 .

الآية البيّنة وعظمتها ، فالمدّ فيه إشعار بارتفاع السماء وامتدادها وبعدها ، وبعظم السماء وشموعها واتساعها في الأفاق ، وعليه فإنّ من شأن من تدبر هذه الآية البيّنة أن يؤمن بمن خلقها .

ب — قوله تعالى : " إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ

قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (فصلت : 14) .

في الآية مدّان متّصلان يظهران في قوله : " جاءتهم " و " الملائكة "

أمّا قوله تعالى : " جاءتهم " الضمير " هم " يعود على قوم عادٍ وثمود ، التي لم يبق من أثرها سوى بعض الرسم ، والحقبة الزمنية التي تفصل بين المخاطبين وقوم عادٍ وثمود تمتد إلى آلاف السنين ، فإذا علمنا ذلك تبين لنا دلالة المد في هذه الكلمة ، فالمد من شأنه لفت الأنظار والتنبيه لما سيقال ، لذا جاء المد لافتاً للنظر إلى الفترة الزمنية الطويلة التي تفصل الرسول الكريم عن قوم عادٍ وثمود ، وهذا يترتب عليه عدم علم الرسول الكريم أخبار هؤلاء القوم ، وهذا خير برهان على أن هذا القرآن ليس من عند شخصه الكريم ، بل هو من عند رب عليم .

وإذا نظرنا إلى المد من منظور عملية النطق ، نجد أن هذه العملية تحتاج إلى فترة زمنية طويلة نسبياً ، وهذا يتماشى والفترة الزمنية الطويلة التي تفصل قوم عادٍ وثمود عن المخاطبين .

كذلك عملية النطق الطويلة نسبياً ، تعطي النفس برهة من الزمن للتفكير والتأمل وإعادة النظر والحساب ، وهذا المعنى الجزئي يتناغم والمطلب المنشود ، فهي في مقام الوعيد والندير والتذكير . كذلك هذا المدّ فيه إشارة واضحة إلى طول فترة الدعوة التي كانت تستمر إلى سنين عدة ، وأخيراً المدّ هنا يشير إلى تفخيم وتعظيم من قام بالفعل وهم الرسل .

أمّا كلمة " الملائكة " فالمدّ يشير إلى كثرة عدد الملائكة من جهة ، ومن جهة أخرى يشير إلى عظم وأهمية شخصهم النوراني الكريم ، ولعل في هذه الصيغة (ملائكة) التي هي في الأصل (مألكة) لأن أصل الفعل (ألك) ، وهي تدل على المفاعلة والمشاركة والاستمرار ، ما يدل على الكثرة واستمرار التعامل بينهم وبين الناس وفق شرع الله عز وجل .

ج — قوله تعالى : " وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ " (فصلت : 19) .

المدّ المتّصل لحق كلمة " أعداء " وهذا مدّ توبيخ واحتقار ، وإضافة كلمة أعداء إلى لفظ الجلالة فيه إشارة إلى شدة العذاب الذي ينتظرهم من قبل المولى — سبحانه وتعالى — ، كذلك يشير المدّ إلى طول الفترة الزمنية التي يعذب فيها أعداء الله .

د - قوله تعالى : " وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ رَأَيْتُمْ أُعْجِمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ " (فصلت : 44) .

المدّ في كلمة (أولئك) يلقي بظلاله على البعد المكاني ما بين مَنْ آمَنَ بالله وَمَنْ كَفَرَ به سبحانه .
المدّ المنفصل :

المدّ المنفصل : هو ان يقع الهمز بعد حرف المدّ واللين بشرط انفصاله عنه ، وذلك بأن يكون حرف المد واللين آخر الكلمة ، والهمز أول الكلمة الثانية¹ .
ومقدار مدّه أيضاً أربع حركات ، وهو المعروف بالتوسط ، أو خمس حركات والوجهان صحيحان مقروء بهما ، إلا أنّ التوسط هو المقدم في الأداء² .
المدّ يستدعي أخذ اعتبار جلالته ما يقع عليه ، لذا سنسوق بعض الأمثلة على المدّ المنفصل ، وذلك لإظهار دوره في كشف الدلالة المقصودة ومن هذه الأمثلة :

أ - قوله تعالى : " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ " (فصلت : 5) .

في هذه الآية الكريمة ثلاثة مدودٍ منفصلة ، الأول : قوله تعالى : " فِيْ أَكِنَّةٍ " والثاني : قوله تعالى : " تَدْعُونَا إِلَيْهِ " والثالث : قوله تعالى : " وَفِيْ آذَانِنَا " ولفهم دلالة المد في المثال الأول علينا أن نفهم أولاً معنى كلمة " أكنة " .
باستقراء المعاني اللغوية التي جاء بها المفسرون حول معنى كلمة " أكنة " نجدها لا تخرج عن معنى الغطاء .

قال ابن منظور : اكننّ واستكنّ استنتر ، والمستكنّة الحقد ، الكنّ والكنّة والكنان وقاء كل شيء وستره ، والجمع أكنان وأكنّة³ .
قال الزمخشري : " كنان . وهو الغطاء " ¹ .

¹ المرصفي ، عبد الفتاح السيد عجمي ، (2001) . هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، (ط1) ، المدينة المنورة ، دار الفجر الإسلامية، ص 283 .

² المرجع السابق ، ص 283 .

³ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كنان)

قال ابن عاشور : " الأكنة جمع كنان مثل غطاء وأغطية وزناً ومعنى "2.

ولكن عند النفاذ إلى معاجم اللغة نجد معنى مبنوئاً عند ابن منظور لم يلتفت إليه أحد وله علاقة وطيدة بمعنى الآية .

نأتي الآن لمحاولة فهم دلالة المد ، فكما هو معلوم أن كل شيء مغطى يحتاج الوصول إليه فترة زمنية تطول وتقصر بحسب الشيء المغطى به ؛ ولأن القلوب مليئة بالحدق على شخص الرسول الكريم وأصحابه جيء بالمد ليشير إلى نبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده .

وفي قوله تعالى : " تَدْعُونَا إِلَيْهِ " يشير المد هنا إلى الفترة الزمنية الطويلة التي استمر

الرسول الكريم يدعو بها قومه ، كذلك نلمح معنى خفياً في المدّ يشير إلى بعض الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الداعية المسلم وهي الصبر وعدم الاكتئاب جرّاء ما يحلّ به ممن يدعوهم ؛ لأنّ مَنْ كانت قضيته التي يدعو إليها حقاً فلا بدّ أن ينصر في نهاية المطاف .

والمدّ الثالث : قوله تعالى : " وَفِيءَ آذَانِنَا " وهذا المدّ فيه تأكيد للمعاني السابقة ، وتتكيل وتوبيخ

بالمشركين ، كذلك يشير إلى التفكير العميق الذي يتحلّى به المشركون .

ب — قوله تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ

وَأَسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ " (فصلت : 6) .

في هذه الآية الكريمة أربعة مدودٍ منفصلة الأولى : قوله تعالى : " إِنَّمَا أَنَا " والجميع يعلم أنّ

المشركين تنوعوا وكثرت أكاذيبهم وافتراءاتهم تجاه سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ؛ فقد وصفوه بالساحر والشاعر والمجنون — تعالى الله عما يصفون — ، فجاء بالمدّ ليشير إلى كثرة دعاوهم الباطلة وليؤكد ويلفت الانتباه إلى أنّ محمداً عليه أفضل الصلوات بشرٌ كباقي البشر .

والمدّ الثاني : قوله تعالى : " يُوحَىٰ إِلَيَّ " والمدّ هنا يشير إلى تفخيم وتعظيم الموحى به ،

كذلك إشارة إلى كثرة عدد المرات التي نزل بها الوحي الكريم إلى الرسول الأمين ، وهذا يتماشى وطبيعة الدعوة المحمديّة .

¹ الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر بن محمد ، (2006) . تفسير الكشاف ، رتبته وضبطه : محمد عبد السلام شاهين ، (ط 4) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 180 / 4 .

² ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 234 .

والمَدّ الثالث : قوله تعالى : " أَنْمَأَ إِلَهُكُمْ " المدّ يشير إلى كثرة الأصنام التي كان المشركون يعبدونها في الجاهلية ، وإلى أهمية عبادة الواحد الأحد .

والمَدّ الرابع : قوله تعالى : " فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ " استقام إلى الأمر كأنه كان بعيداً عنه ، استقام للأمر معناه قريب منه ، وفي قوله تعالى : فاستقيموا إليه ، هذا يعني أنهم بعيدون والمطلوب أن يستقيموا ويعودوا إلى الله ، ومما يدل على هذا المعنى في هذا الفعل (استقام) ، قوله تعالى :

" كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ^ج إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ " (التوبة : 7) ، في هذه الآية

الكريمة ، أنت تعاهد إنساناً أمامك ، لذا جاء قوله تعالى : " فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ^ج " فيها قرب بينما الأولى فيها بعد ، وهذا النظم هو عين نظم العرب لأدبهم ، فـ (إلى) في نظامهم اللغوي غاية بعيدة ، واللام غاية قريبة ، لكن شتان بين نظم رب العباد الذي حارت عنده الأبواب ، ونظم العباد. فالمدّ يشير إلى البعد عن رب العباد .

ج - قوله تعالى : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ

سَوَاءً لِّلسَّابِلِينَ ﴿١٠﴾ " (فصلت : 10) .

جاء المدّ المنفصل في قوله تعالى : " فِيهَا أَقْوَاتَهَا " الحديث في هذه الآية الكريمة عن آية بيّنة وهي خلق الأرض وما عليها ، ولأن المقام مقام شكّ وتكذيب من قبل المشركين ، فقد أراد المولى أن يلفت انتباه المشركين إلى اضمحلال تفكيرهم بما هو بيّن وظاهر ، كذلك الضمير في كلمة " فيها " يعود على الأرض وهذا من باب التعظيم والتفخيم ، وأخيراً المدّ يشير إلى كثرة المنعم عليهم في هذه الأرض ، وسعة النعمة ، وعظم المنة في تساميتها وارتقائها .

المدّ اللازم :

وهو أن يقع سكون أصليّ بعد حرف المدّ واللين ، أو بعد حرف اللين وحده في كلمة أو حرف وصلًا ووقفًا¹. نحو : " الضَّالِّينَ " هذا في كلمة ، أمّا في حرف فنحو : " ق " ، " ص " .

¹ المرصفي ، هداية القاري ، ص 337 .

ومقدار مدّه بجميع أنواعه ستّ حركات¹. وهو يقسم إلى أربعة أقسام : الكلميّ المتقلّ نحو : "الضالّين" ، " الحاقّة " وهذا النوع لم يرد في سورة فصلّت . والنوع الثاني : الكلميّ المخفف وهذا النوع لم يرد في القرآن الكريم كاملاً إلا في كلمة واحدة هي : " آلآن " وهي في موضعين اثنين في سورة يونس في الآيتين (51 ، 91)². والنوع الثالث : الحرفي المتقلّ : وهو الذي يكون فيه بعد حرف المدّ حرف ساكن سكوناً أصلياً لازماً مدغماً في الحرف الذي يليه مع الإدغام ، وهو أن يوجد حرف في فواتح بعض السور هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف مدّ والثالث ساكن مدغم في غيره نحو لام ، من " الم " و " سين " من " طسم " ³. وهذا لم يرد أيضاً في سورة فصلّت. والنوع الرابع : الحرفي المخفف : وهو الذي يكون فيه بعد حرف المدّ حرف ساكن سكونه لازم في حرف من غير إدغام ، وهو أن يوجد حرف في فواتح بعض السور هجاؤه من ثلاثة أحرف أوسطها حرف مدّ والثالث ساكن دون أن يدغم في غيره ، نحو : ميم ، من " الم " ⁴. وقد ورد في سورة فصلّت في موضع واحد هو :

قوله تعالى: " حم " (فصلت : 1) .

بالرجوع إلى جميع السور القرآنية ، المبدوءة بالحروف المقطعة ، نجد أن جميع هذه الحروف ، تحتوي على مدّ مقداره ست حركات ، بمعنى أنك عند قراءتها لا بد أن ترتفع وتمد صوتك بمقدار ست حركات .

الإنسان عندما يريد أن يلفت انتباه شخص آخر منبهاً إياه لأمر ما ، فإن نبرة صوته ترتفع وتتخفّف وفقاً لأهمية هذا الأمر ، وقد يطلق صرخة تنبيه وتحذير ، بصوت عال وممتد غير منقطع ، وذلك لأهمية الحدث .

كذلك المد في الحروف المقطعة ، فقد جيء به — من بين ما ذكره العلماء من دلالات هذه الحروف — للفت نظر العرب وشد انتباههم لأهمية القرآن الكريم ، وما يحتوي عليه من مكونات ترشد وتدل على المكون ، مع توفر هذه المكونات بين أيديهم ، ومن جهة أخرى فالمد يستدعي اهتمام المستمعين ويشد أسماعهم وقلوبهم ، ذلك لأنه يبعث في نفوسهم سؤالاً كبيراً عن ماهية هذا القرآن .

¹ المرجع السابق ، ص 339 .

² انظر: بني دومي ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص 120 .

³ العقرباوي ، زيدان محمود سلامة ، (2001) . المرشد في علم التجويد ، (ط 4) ، عمان ، دار الفرقان ، ص 92 .

⁴ المرشد في علوم التجويد ، ص 93 .

كذلك فإن قراءة هذه الحروف ، معجزة حقاً ، فأنت عندما تقرؤها باسمها لا بمسماها¹ ، مُسَكَّنًا آخر كل حرف ، مراعيًا المد ، ستجد تناسقاً صوتياً عجبياً ما بين الصوت واللفظ ، ولا يوجد للتناظر الصوتي أي وجود في بناء هذه الأصوات ، فقد قامت على الائتلاف من جانب ، ومن جانب آخر فقد سجلت قمة التناسق بين أصواتها والمعنى المراد لها ، فهي تحمل في طياتها نوعاً من الجرس الموسيقي الذي يتناسق مع إيقاع آيات السورة بكاملها .

سادساً : الإخفاء و دلالاته في سورة فصلت :

الإخفاء لغة : الستر .² ومن ذلك قوله تعالى : " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ

بِمَا تَسَعَىٰ ﴿١٥﴾ " (طه:15) .

أما اصطلاحاً : فهو النطق بالنون الساكنة أو التتوين بحالة بين الإظهار والإدغام عارياً عن التشديد ، مع بقاء الغنة بمقدار حركتين .³

حروف الإخفاء خمسة عشر حرفاً ، جمعها صاحب تحفة الأطفال⁴ في أوائل كلمات هذا البيت

:

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمٌ طَيْبًا زِدْ فِي تُقَىٰ ضَعَّ ظَالِمًا

وعلة الإخفاء هي أن النون الساكنة والتتوين لم يبعدا عن حروف الإخفاء مثل حروف الإظهار ، ولم يقربا منها مثل حروف الإدغام ، فلما عدم البعد الموجب للإظهار ، وعدم القرب الموجب للإدغام ، أعطيا حكماً وسطاً بين الإدغام والإظهار هو الإخفاء⁵ .

والأمثلة في سورة فصلت مستفيضة في أحكام الإخفاء الذي تبقى فيه الغنة ، التي تستغرق زمناً في التلاوة ، وهذا يعني أن المقام يتطلب مسافة أو زمناً ، ولا يتم على وجه السرعة .

ومن مواطن الإخفاء في سورة فصلت :

أ — قوله تعالى : " تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ " (فصلت : 2) .

¹ لكل حرف في اللغة العربية اسم ومسمى ، وقد اعتادت العرب قديماً أن تنطق الحروف بمسمياتها ، والرسول الكريم واحد منهم ، ولأن الحق تبارك وتعالى أراد أن يثبت للعرب أن القرآن من عنده سبحانه لا من عند رسوله الكريم ، جعل الوحي ينطق باسم الحرف أي : (حاء ، ميم) وليس (ح ، م) .

² مصطفي ، المعجم الوسيط ، مادة (خفي) .

³ المرصفي ، هداية القاري ، ص 168 .

⁴ انظر : المرصفي : هداية القاري ، ص 169 .

⁵ المرصفي : هداية القاري ، ص 171 .

ظهر الإخفاء في كلمة "تنزيل" ودلالة ذلك واضحة ، فالحديث عن مصدر القرآن الكريم ، وكيفية نزوله ومضمونه ، لذا جاء هذا المظهر الصوتي ليبدل على كيفية وصوله إلى سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — وهي الخفاء والستر ، فالوحي كان ينزل على سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — دون أن يراه أحد ، كذلك موضوعات القرآن منها ما هو معروف ومنها ما هو مخفي يعرف من حين إلى آخر .

ب — قوله تعالى : " وَجَعَلَ فِيهَا رُؤسَىٰ مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي رُبْعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ﴿١٠﴾ " (فصلت : 10) .

من الملامح الصوتية العديدة في هذه الآية الكريمة ، نقف عند الإخفاء في قوله تعالى : " مِّن فَوْقِهَا " وحتى نتبين دلالة الإخفاء لا بدّ من معرفة السياق الذي قيلت فيه ، لأن معرفة سياق الحديث أو المقام ، يعطيك مفتاحاً به تتوصل إلى معرفة الدلالات الصوتية وغيرها .
المقام مقام ردِّ على المشككين والمكذبين للدعوة المحمدية ، ومقام تدبر وتفكر بآيات الله عز وجل الدالة على وجوده وصدق نبيّه الكريم ، ومن هذه الآيات البيّنات ، خَلَقُ الأرض والجبال وكلّ ما اشتملت عليه من حيوان وجماد .

إلا أن هذه الأمور التي قدرها الله على كثرة علمنا بها ؛ نتيجة معرفتنا المحسوسة لها ، يبقى هناك الكثير من الأمور التي قدرها ما زالت معرفتنا بها مجهولة ، وهذه الآيات تكتشف تباعاً ، وهي رحمة من الله بعباده ، فباطن الأرض يخفي الكثير من الكنوز النفيسة ، والجبال كذلك تحمل في باطنها ما تمّ الوصول إليه والكثير الذي لم يتم الوصول إليه بعد ، وكلّ هذه الأمور هي آيات من الله لعباده تستوجب إدامة الفكر والتفكر ؛ لأنها خير دليل على وحدانيته سبحانه وتعالى ، وهي في الوقت نفسه رحمة من الله بعباده .

مما سبق تبرز القيمة الدلالية للإخفاء في قوله تعالى : (مِّن فَوْقِهَا) وهي الإشارة إلى الكنوز التي قدرها الله في باطن الأرض والجبال ، والتي مع كثرة الاكتشافات اليومية لها ، إلا أن المخفي يبقى أكثر وأعظم . قال الإمام الرازي :

" ما الفائدة في قوله " مِّن فَوْقِهَا " ولم يقتصر على قوله " وَجَعَلَ فِيهَا رُؤسَىٰ " كقوله تعالى " وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤسَىٰ شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ " (المرسلات : 27) ، وقوله تعالى : " وَهُوَ

الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ (الرعد : 3) ، قلنا لأنه تعالى لو جعل فيها رواسي من تحتها لأوهم ذلك أن تلك الأساطين التحتانية هي التي أمسكت هذه الأرض الثقيلة عن النزول، ولكنه تعالى قال خلقت هذه الجبال النقال فوق الأرض ، ليرى الإنسان بعينه أن الأرض والجبال أُنقال على أُنقال ، وكلها مفتقرة إلى ممسك وحافظ، وما ذاك الحافظ المدبر إلا الله سبحانه وتعالى " ¹ .

ج - قوله تعالى : " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿٣١﴾ " (فصلت : 13) .

قوله تعالى : " أَنْذَرْتُكُمْ " يوجد به إخفاء بين النون والذال ، وهذا الإنذار أو الوعيد لم يتحقق بعد ، فما زال باب التوبة مفتوحاً بالنسبة للمشركين ، وهذا يعني أن هذا الوعيد الذي لم يظهر بعد ، أنه مخفي، فكلما الإنذار أفادت الوعيد ، والظاهرة الصوتية فيها أضافت لهذا الوعيد صفة جديدة عدم التحقق الفوري ، مما يعطي العرب المشركين فترة زمنية أطول من شأنها دخول عدد كبير منهم في الإسلام . والدارس للسيرة النبوية يتبين له الكم الهائل من صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذين دخلوا الإسلام بعد نزول هذه الآية الكريمة .

د — قوله تعالى : " وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ " (فصلت : 21) .

يشير الإخفاء في هذه الآية الوارد في كلمة (أنطقنا) إلى آلية تسجيل الأعمال التي يصنعها الإنسان منذ بداية تكليفه حتى وفاته ، فهذه الأعمال تخزن بأمر من الرب سبحانه وتعالى على جهاز تسجيل داخل جسم الإنسان لم يصل إليه العلم حتى الآن ، أي إن عملية تسجيل الأعمال تتم بطريقة الخفاء ، لذا جاءت عملية النطق للأمور المخفية المتناسية غير المحببة للإنسان أن يكشف عنها .

سابعاً : الإظهار و دلالاته في سورة فصلت :

¹ الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين ، (1933) . مفاتيح الغيب ، الشهير بالتفسير الكبير ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط 1) ، مصر ، المطبعة المصرية ، ص 112 .

علّة الإظهار عند هذه الحروف (الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء) هي بُعدُ مخرج النون الساكنة والتتوين عن مخرج هذه الحروف ، فلم يحسن الإدغام لعدم وجود مسوّغ له ، ولا الإخفاء لأنه قريب من الإدغام ، ولا القلب لأنه وسيلة إلى الإخفاء ، ولهذا تعيّن الإظهار الذي هو الأصل¹ .

والأمثلة في القرآن مستفيضة في أحكام الإظهار للنون والتتوين بغير غنة ، وإذا تدبرنا هذه الأمثلة بقصد الإبانة عن أثر الإظهار في كشف الدلالة المقصودة للنص القرآني ، وجدنا قرآناً عجباً . فعدم وجود الغنة ، وهي التي تستغرق مدةً زمنيةً في التلاوة ، يعني أنّ الأمر يأتي ، أو يجري ، أو يتمّ بسرعة فائقة ، وهذا يعني أنّ الكلمتين اللتين حدث بينهما حكم الإظهار ملتصقتان في الدلالة التصاقاً تاماً ، ولا يوجد أيّ فاصل بينهما² . وسورة فصلت جزء من القرآن الكريم ، لذا فإنّ ما قيل سابقاً يندرج على سورة فصلت .

ومن أمثلة حكم الإظهار في سورة فصلت ما يلي :

أ - قوله تعالى : " كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ " (فصلت : 3) .

للإظهار الصوتي نصيب من اسمه في الدلالة ، فلا يوجد في القرآن ما هو معمّى ، بل أنزل القرآن الكريم ليُفهم ، ولا يحتاج سوى أعمال العقل وإخلاص النية للوصول إلى مكنوناته التي لا تتضب .

كذلك لا مجال فيه لادّعاء عدم فهمه من قبل أيّ فرد من المجتمع الذي نزلت فيه الرسالة ؛ فهو قرآن عربي في لغته وأسلوبه وطريقته في عرض المفاهيم العقدية ، والشرعية ، والكونية ، ما يجعل الجميع قادرين على فهمه ، فجاءت دلالة الإظهار متماشية مع سمة القرآن ، وحال العرب من الفصاحة والبيان .

ب - قوله تعالى : " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِّثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿٣﴾ " (

فصلت : 13) .

يبرز في هذه الآية الكريمة بعض الظواهر الصوتية منها الإظهار في قوله تعالى : " فَإِنْ أَعْرَضُوا " حيث جاء الإظهار بين النون والهمزة ، وهذا من شأنه إضافة معنى جديد يتناغم والمعنى الأصلي ، فبالرجوع إلى حال المشركين في بدايات الدعوة الإسلامية ، نجد أن صدهم لمحمد —

¹ المرصفي ، هداية القاري ، ص 159 .
² شمول ، تاملات في إعجاز الرسم القرآني ، ص 217 .

صلى الله عليه وسلم — وإعراضهم عما جاء به كان علانية وعلى الملأ ، بل كانوا يتنافسون في إظهار ذلك .

وعليه فإنّ الإظهار في قوله تعالى : " فَإِنَّ أَعْرَضُوا " تتناغم وتجانس مع معنى الإعراض الأصلي لهذه الكلمة .

ج — قوله تعالى : " إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (فصلت : 14) .

دلالة الإظهار في قوله تعالى (ومن خلفهم) لا تظهر إلا إذا علمنا ما المقصود اللغوي من هذا التركيب .

قال البقاعي : المعنى : أتاهم رسولهم كجميع الرسل بالوعظ من كل جانب يخفى عليهم أو يتضح لهم ، وأعمل فيهم كل حيلة بكل حجة حتى لم يدع لهم شبهة ، ثم بين أن مجيء الرسل ينفي عبادة غير الله وقصر العبادة عليه ، فقال مظهراً مع العبادة الاسم الذي هو أولى بها ¹ .

ويضيف البقاعي في شرحه لقوله تعالى : (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) " وهم من أتى إليهم لأنهم لم يكونوا يعلمون إبتانهم ، فالخلف كناية عن الخفاء ، والقدام عن الجلاء ، ولا شك أن الإنسان لما انقاد له من قبله فسمعته منه أقبل مما رآه بعينه ؛ لأن النفس لا تتقاد لما خالفها إلا بعد جدال وجهاد ، فإذا تطاول الزمن وانقاد له الغير ، سهل عليها الأمر ، وخف عليها الخطب ، وأيضاً الآتي إلى ناس إنما يأتيهم بعد وجودهم وبلوغهم حد التكيف ، فهو بهذا آت إليهم من ورائهم أي بعد وجودهم ، أو يكون ما بين الأيدي هو من جاءهم لأنهم علموا بمجيئه علم من ينظر من قدامه ، وما خلفهم ما غاب عنهم ممن قدمهم ، فلم تنقل إليهم أخبارهم إلا على وجوه تحتل الطعن " ²

ولا ننسى أن الرسل جاءت من قبلهم ومن بعدهم ، وفي زمنهم وفي زمن غيرهم ، وكل ذلك كان ظاهراً ، كذلك من وظائف الرسل تعليم الناس ، وإرشادهم وهدايتهم ، وهذا التعليم والإرشاد والهداية من شأنه أن يظهر العبد ويصل به إلى المستحق بالعبادة ، وهو الواحد الأحد .

ثامناً : الإدغام و دلالاته في سورة فصلت :

¹ البقاعي ، إبراهيم بن عمر ، (2003) . نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق المهدي ، (ط 2) ، بيروت ، دار الكتب العلمية / 6 / 559 .
² المرجع السابق ، 6 / 560 .

يقسم الإدغام باعتبار الغنة وعدمها إلى قسمين¹:

1 — إدغام بغنة : وهو الإدغام الذي تظهر فيه الغنة بمقدار حركتين نحو : " مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ " (الرعد : 11) ، وحروفه مجموعة في كلمة (ينمو) .

2 — إدغام بغير غنة : وهو الإدغام الذي لا تصاحبه الغنة نحو : " مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ " (يس : 58) ، وحرفاه : الراء واللام .

وعلة الإدغام التماثل في النون والتقارب في باقي الحروف . وعلة الإدغام مع الغنة أنها صفة قويّة ، وعلة حذف الغنة المبالغة في التخفيف ؛ لأنّ في بقائها شيئاً من الثقل عند النطق بها² . ويمكن القول هنا أيضاً إنّ الإدغام بغنة يتضمّن مدّة زمنية تساعد في إبراز الدلالة ، من حيث وجود امتداد أو طول أو بطء أو اتساع أو غير ذلك . أمّا في حالة الإدغام بغير غنة ، فإنّ هذا يساعد في إبراز الدلالة من حيث إنه لا توجد مدّة زمنيّة ، ومن ثمّ فإنّ الأمر قطعيّ ولا يتطلّب زمناً ، وتعدّ الكلمتان ملتصقتين التصاقاً تاماً ، وبدون أيّ فاصل بينهما³ .

ومن أمثلة الإدغام في سورة فصلت ما يلي :

أ — قوله تعالى : " بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ " (فصلت : 4) .

من صفات القرآن الكريم أنه بشير ونذير في آن واحد ، وسيبقى مبشراً ومنذراً إلى يوم الدين ، فهو لم يبشر أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — وينذر مشركي قريش فقط ، بل بشارته ونذارته ممتدة مذ نزوله حتى يوم البعث شاملة كلّ البشر ، والإدغام هنا في قوله تعالى : (بشيراً ونذيراً) ودلالته هي ديمومة البشارة والنذارة واستمراريتها.

قال أبو حيان : إن بشارته بالجنة لمن آمن ، ونذارته بالنار لمن كفر⁴ .

ب — قوله تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ

وَأَسْتَغْفِرُوا لَهُ ۚ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ " (فصلت : 6) .

¹ شكري ، المنير في أحكام التجويد ، ص 43 .

² المرجع السابق ، ص 44 .

³ شملول ، تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان ، ص 226 .

⁴ الأندلسي ، محمد بن يوسف ، (2001) . تفسير البحر المحيط ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، (1ط) ، بيروت ، دار الكتب العلمية، 466/7 .

تمّ الحديث سابقاً عن معنى الإدغام ودلالته ، فالإدغام يأتي بمعنى الإدخال ، ويستلزم فترة زمنية طويلة وذلك للدلالة عليه .

ولو أنعمنا النظر في الإدغام في قوله تعالى : " وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ " لوجدنا أنه يشتمل على دلالات عظيمة ، فبصرف النظر عن معنى الويل فهو العذاب أم وادٍ في جهنم ، فهو داخل وملازم للمشرك يسري في جسمه كجريان الدم في عروقه ، لا انفكاك ولا انفصام ، ومن الدلالات العظيمة أيضاً ، عظم الشرك بالله ، فإله يغفر كل شيء إلا الشرك به ، وهذا يعني أن المشرك بالله خالد في نار جهنم ، في حين أن الله تعالى قال في مقام آخر : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ " (المطففين : 10) ، فهل تختلف دلالة الإدغام في هذه الآية عن الآية السابقة ؟ لو تدبرنا الإدغام في هذه الآية لوجدنا أنه إدغام ناقص وهذا يعني أن فترة عذاب المكذبين محدودة ، فلها بداية ونهاية يعلمها رب العباد ، فلا خلود للمكذبين في نار جهنم ، لذلك قال الله تعالى : " ويل يومئذ للمكذبين " ولم يقل " ويل للمكذبين " ، فملازمة العذاب مقترنة بزمن معين ، على عكس قوله تعالى : " ويل للمشركين " فلم يفصل بين الويل والمشركين بأي شيء ، وإنما دمجا مع بعضهما ليصبحا كالجسد الواحد .

ج ————— قوله تعالى : " فَإِنِ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ " (فصلت : 13) .

قوله تعالى : " صَاعِقَةً مِّثْلَ " يوجد به إدغام كامل بين التتوين والميم ، ودلالة الإدغام هنا هي لفت الأنظار وشدّ الأسماع لعظم ما يقال ، فالإدغام بغنة يعطي النفس برهة من الزمن في أثناء النطق ، وهذا من شأنه أن يجعل العقل يفكر في اتجاه آخر منصب على ما يقال ، وهو الصاعقة وأي صاعقة ؟ إنها صاعقة عادٍ و ثمودَ ، المعلومة والمشهودة عند العرب ، التي تناولوها بالحديث مراراً فيما بينهم .

كذلك إذا نظرنا إلى الإدغام من زاوية أخرى ، نجد أن هذا الإدغام أكد مثلية العذاب الواردة في هذه الآية ؛ لأن الإدغام يعني الإدخال بحيث يصبح الأمران أمراً واحداً ، فالعذاب الموعود به يتمثل ويتجانس ولا يختلف عن عذاب عادٍ و ثمود .

وأخيراً قوله تعالى : " عَادٍ وَثَمُودَ " يوجد به إدغام ناقص ، وهذا يتمشى وطبيعة عذاب عادٍ و ثمود ، فعذاب عادٍ يختلف عن عذاب ثمود ، إلا أنهما يشتركان في وقوع العذاب عليهما ، ولو

اختلفت الطريقة ؛ فالاختلاف في الطريقة كان من شأنه الاختلاف في الإدغام من كامل إلى ناقص ،
والاشتراك في العذاب كان من شأنه الاشتراك في الإدغام بشكل عام .

تاسعاً : القلقة ودلالاتها في سورة فصلت :

القلقة لغة : التحريك ¹.

قال ابن منظور : قلل الشيء قَلَلَةً أي حركه فتحرك واضطرب ، والقلقة والتقلل : قلة الثبوت
في المكان ، والقلقة شدة اضطراب الشيء وتحركه ² .

القلقة اصطلاحاً : اضطراب الحرف في المخرج عند النطق به ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية ،
وأحرفها (قطب جد) ³.

إنّ العلاقة وطيدة بين أداء القلقة وفق أحكام التلاوة ودلالاتها المقصودة ؛ فالنبر الذي يظهر
لأصوات القلقة حين النطق بها يعدّ زيادة في بنية الكلمة ، وهذه الزيادة في المبنى تستدعي
بالضرورة زيادة في المعنى ، استناداً إلى القاعدة اللغوية المشهورة .

وبعبارة أخرى ، إنّ هذا النبر الذي يضاف إلى أصوات القلقة يدلّ على قيمتها الصوتية الزائدة
عن مثيلاتها من أصوات اللغة ؛ فهذا الصّويت يضيف إليها مدّة زمنية في نصف صوت ، فضلاً
عن خاصيتها الانفجارية ⁴.

لكن يبقى السؤال قائماً : لماذا هذه الأحرف (ق ، ط ، ب ، ج ، د) اختصت بالقلقة عن سائر
الأحرف الهجائية ؟

باستقراء معظم الأفعال المبدوءة بحروف القلقة من معاجم اللغة ، نجد أنّ غالبيتها تحمل بين
ثنائها معنى التحول والانتقال والاضطراب والزلزلة إمّا من قريب أو بعيد ، ولإثبات هذه الحقيقة
أسوق معنى بعض هذه الأفعال ، وأحيل القارئ إلى معاجم اللغة ؛ كي يتبين بنفسه هذا الأمر كون
المقام لا يسمح بذكر جميع هذه الأفعال :

(بَأْر) : حفر بُورَة .

(بَتْر) : انقطع .

(بَخَسَ) الكيلَ والميزان : نَقَصَه .

¹ شكري ، المنبر في أحكام التجويد ، 1 / 756 .

² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قلل) .

³ شكري ، المنبر في أحكام التجويد ، ص 72 .

⁴ انظر: بني دومي ، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص 134 .

(بَذَرَ) الحَبَّ : ألقاه في الأرض للزراعة .

(بَرُوزَ) الصورة : جعل لها بروازاً .

(جَأَرَ) : رفع صوته .

(جَبَذَ) العنبُ : صَغُرَ وبيس .

(جَحَدَ) الأمرَ وبه : أنكره مع علمه به .

(جَحَّ) برجله : نَسَفَ بها التراب .

(دَأَبَ) في العمل وغيره : جَدَّ فيه .

(دَجَلَ) : كذب وموّه وادّعى .

(دَخَرَ) : صغر وذللّ وهان¹ .

(قَبَأَ) القَبَاةُ حَشِيشَةٌ تَنْبُتُ فِي الْغَلْظِ وَلَا تَنْبُتُ فِي الْجَبَلِ تَرْتَفِعُ عَلَى الْأَرْضِ قَيْسَ الْإِصْبَعِ أَوْ أَقْلًا .

(قَفَأَ) قَفَيْتِ الْأَرْضَ قَفَاءً مُطِرْتُ وَفِيهَا نَبْتُ فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْمَطْرُ فَأَفْسَدَهُ ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْقَفَاءُ أَنْ يَفْعَ التَّرَابُ عَلَى الْبَقْلِ فَإِنْ غَسَلَهُ الْمَطْرُ وَالْإِفْسَادَ . وَاقْتَفَأَ الْخَرْزَ : أَعَادَ عَلَيْهِ .

(قَرَشَ) الْقَرَشُ الْجَمْعُ وَالْكَسْبُ وَالضَّمُّ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا يَضُمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ . قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ قَرَشَ قَرَشًا جَمَعَ وَضَمَّ مِنْ هُنَا وَهُنَا وَقَرَشَ يَقْرِشُ وَيَقْرِشُ قَرَشًا وَبِهِ سَمِيَتْ قَرِيشٌ ، وَتَقَرَّشَ الْقَوْمُ تَجَمَّعُوا وَالْمَقَرَّشَةُ السَّنَةُ الْمَحَلُّ الشَّدِيدَةُ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ عِنْدَ الْمَحَلِّ يَجْتَمِعُونَ فَتَنْتَضِمُ حَوَاشِيهِمْ وَقَوَاصِيهِمْ .

(طَوْغَ) الطَّاعُوتُ مَا عُذِبَ مِنْ دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُلُّ رَأْسٍ فِي الضَّلَالِ طَّاعُوتٌ ، وَقِيلَ : الطَّاعُوتُ الْأَصْنَامُ ، وَقِيلَ : الشَّيْطَانُ ، وَقِيلَ : الْكَهَنَةُ ، وَقِيلَ : مَرْدَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَابِ وَالطَّاعُوتِ " (النساء : 51) ، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : قِيلَ : الْجِبْتُ وَالطَّاعُوتُ هَهُنَا

حُيَّيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيَّانِ ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا اتَّبَعُوا أَمْرَهُمَا فَقَدْ أَطَاعُوهُمَا مِنْ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاعُوتِ " (النساء : 60) أَيِ إِلَى الْكُهَّانِ .

(طَرَمَ) الطَّرْمُ بِالْكَسْرِ الْعَسَلُ عَامَةٌ ، ... ، وَحَكَى عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : يُقَالُ لِلنَّحْلِ إِذَا مَلَأَ أُبْنِيَّتَهُ مِنَ الْعَسَلِ قَدْ خَتَمَ ، فَإِذَا سَوَّى عَلَيْهِ قِيلَ : قَدْ طَرَمَ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلشَّهْدِ طَرْمٌ وَطِرْمٌ ، وَالطَّرْمُ سَيْلَانُ الطَّرْمِ مِنَ الْخَلِيَّةِ وَهُوَ الشَّهْدُ² .

¹ أَخَذَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنَ الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ ، مِنْ أَكْثَرِ مِنْ مَوْقِعٍ كُلِّ حَسَبِ مَادَّتِهِ .
² أَخَذَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ ، مِنْ أَكْثَرِ مِنْ مَوْقِعٍ كُلِّ حَسَبِ مَادَّتِهِ .

أقسام القلقة :

- 1 — قلقة كبرى : وذلك في الحرف المشدّد الموقوف عليه ، نحو : " الحقّ " ، " وتبّ " .
 - 2 — قلقة وسطى : وذلك في الحرف المتطرّف غير المشدّد حال الوقف عليه ، سواء أكان متحركاً و عرض له السكون أم ساكناً ، في الحاليين نحو : " مجيد " ، " لم يلد " .
 - 3 — قلقة صغرى : وذلك في الحرف الساكن المتوسّط نحو : " ادخلوا " ، " وجهه " ، أو الساكن المتطرّف الموصول بما بعده نحو : " ولا تشطط واهدنا " ، " ومن لم يتب فأولئك " ¹ .
- ولتوضيح الأمر أسوق الأمثلة الآتية :

1 — قوله تعالى : " مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ " .

نعم إن المتأمل لمضمون الدعوة المحمدية وأهدافها ، يجد أنّ الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان يهدف إلى نقل المشركين من حال إلى حال ، من الظلمات إلى النور ، من عبادة الأوثان إلى عبادة رب العباد ، وهذا الأمر كان يشكل زلزالاً وأمرأً جلاً لأكثر المشركين ؛ لذا جابهوه وردوا عليه بقولهم : قلوبنا في أعطية مانعة لنا من فهم ما تدعوننا إليه ، ولذا فهي مليئة بالحقد تجاهك ، وفي آذاننا صمم فلا نسمع ، ومن بيننا وبينك — يا محمد — ساتر يحجبنا عن إجابة دعوتك ، فاعمل على وفق دينك ، كما أننا عاملون على وفق ديننا .

2 — قوله تعالى : " فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ^ط

أُولَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ^ط وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ " (فصلت : 15) .

في هذه الآية الكريمة وردت القلقة في موضعين هما : قوله تعالى : " الْحَقُّ " وقوله تعالى : " تَجْحَدُونَ " ، ونستطيع أن ننظر إلى القلقة في الموضع الأول من زاويتين ، أحدها : الوقوف والتمعن بأهمية هذه الكلمة ودلالاتها ، فمنّ كان الحقّ منهاجاً له ، يسير عليه في الحياة الدنيا لا بدّ أن ينجو من عذاب رب العباد في الدنيا والآخرة .

¹ بني دومي : دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص 134 .

والثانية : الأثر الناتج عن قول الحق وفعله على الفرد والمجتمع ، فالمجتمع الذي يسوده ويظلمه الحق ، تجد طمأنينة النفس تملأ نفوس أفرادها ، فقول الحق وفعله صيرهم إلى حالة هم سعاداء بها .

أما القلقلة في قوله تعالى : " تَجْحَدُونَ " فتشير إلى الحالة التي أصبحوا عليها ، فهم يعلمون ، أن آيات الله المشار إليها حقٌ ، إلا أنهم أنكروها وجحدوها كما يجحد المودع الوديعة¹ .
تتأغم صوتي معجز يربط آخر الآية بالتي تليها ، ويعمل على ترسيخ المعنى وتثبيتته ، فالقلقلة في كلمة (يجحدون) هي المفتاح لما سيأتي بعدها من معانٍ جديدةٍ ، فقوله تعالى في الآية التي تليها " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ " تخبرنا عن الحالة التي آل إليها قوم عاد ، فبعد أن استكبروا في الأرض ، وتباهوا بقوتهم على الناس ، حول الحق حالهم هذه إلى أشنع حال ، وسلط عليهم ريحاً تذيبهم أشد العذاب .

وكما مرّ معنا ، فإن المفهوم العام لما تفيده القلقلة هو التحول من حال إلى حال ؛ لذا جاءت القلقلة في كلمة (يجحدون) موطئة وممهدة للخبر الذي يعلمنا عن الحال الثانية التي آل إليها قوم عاد .

3 — قوله تعالى : " حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ " (فصلت : 20) .

البصر باب من أبواب جهنم لمن لا يستعمله بالحلال ، وهو باب أوسع وأشمل من باب السمع ؛ لأنّ مدخلاته أكثر من مدخلات السمع ، وعليه فإنّ النبر الذي يظهر لصوت القلقلة في قوله تعالى : " وَأَبْصَرُهُمْ " يترتب عليه مدّة زمنية أطول ، وهذه المدّة للإشارة إلى كثرة المعاصي التي يرتكبها الإنسان بسبب بصره .

عاشراً : الإقلاب ودلالاته في سورة فصلت :

الْقَلْبُ لُغَةً : تحويل الشيء عن وجهه . وَالْقَلْبُ : صَرَفُكَ إِنْسَانًا تَقَلَّبُهُ عَن وَجْهِهِ الَّذِي يَرِيدُ² .

¹ انظر: الزمخشري ، الكشاف ، 4 / 188 .
² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قلب) .

واصطلاحاً : قلب النون الساكنة أو التتوين ميماً مخفاة بغنة .

أمّا مصطلح الإقلاب فالظاهر أنّ علماء التجويد والدارسين لأحكام التجويد ، استسهلوا هذا اللفظ ؛ لأنه على نفس وزن أكثر الأحكام معرفة مثل الإظهار والإخفاء والإدغام ، فقالوا بالإقلاب ، وأخذ هذا اللفظ بالشيوع حتى أصبح كأنه الأصل .

ومن المواقع التي ظهر فيها الإقلاب في سورة فصلت :

1 — قوله تعالى " إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ^ع

قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (فصلت : 14) .

ويربط معنى القلب اللغوي بالمقام الذي سيقف فيه هذه الآية ، تبرز دلالة الإقلاب في هذا المقام ، فغاية الرسل تحويل أقوامهم من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد القهار ، وهذا المعنى يتمشى ومعنى الإقلاب ، كذلك نطق الإقلاب في هذا المقام يسير في درب الرسل المرسلين نفسه ، بمعنى عند قراءة قوله تعالى : " من بين " مطبقاً حكم الإقلاب ، فإنها تُقرأ " مم بين " وهذا فيه لين وسكينة نفس ، وهذه السكينة واللين مطلب يجب أن يتحلى به الداعية المسلم .

2 — قوله تعالى " لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ^ع تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ " (فصلت : 42) .

للووقوف على دلالة الإقلاب في الآية السابقة ، نتوقف عند بعض أقوال المفسرين حول ما يتعلق بهذه الآية .

قال الفيروز أبادي (ت 817 هـ) : " (لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ) لم يخالفه التوراة والإنجيل والزيور وسائر الكتب (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) من قبله (وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) ولا يكون من بعده كتاب فيخالفه ، ويقال : لا تكذبه التوراة والإنجيل والزيور وسائر الكتب من قبله ولا يكون من بعده كتاب فيكذبه ، ويقال : لم يأت إبليس إلى محمد عليه السلام من قبل إتيان جبريل فزاد في القرآن ولا من بعد ذهاب جبريل فنقص من القرآن ، ويقال : لا يخالف القرآن بعضه بعضاً ولكن يوافق بعضه بعضاً " تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ " تكليم من حكيم في أمره وقضائه " حَمِيدٍ " محمود في فعاله " ¹

¹ الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (دبت) . تفسير القرآن ، (دط) ، موقع مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي / تفسير القرآن ، 23/ 5 .
www.altafsir.org/IndexArabic.asp

وقال ابن كثير (ت 774 هـ) : " (لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين، ولهذا قال: (تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به، وينهى عنه، الجميع محمودة عواقبه وغاياته " ¹

أخيراً يتبين لنا أنّ أداء الآيات القرآنية وفق أحكام التجويد على الوجه الصحيح المتواتر عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، يوحى بالمعاني الحقيقية والدلالات المقصودة للكلمات والتراكيب القرآنية ؛ لذا يجب على أهل الاختصاص الاهتمام بهذا الباب ، وتوجيه الأنظار والعقول إليه ؛ لأنه يحتاج إلى دراسات مستقلة ، وبحوث مستفيضة ، لمعرفة لطائفه، وإشاراته ، والنفاز إلى أسرارهِ وعجائبهِ .

المبحث الثاني

بعض القضايا الصرفية ودلالاتها

القضية الأولى : صيغ المبالغة وطرائقها في سورة فصّلت دراسة إحصائية صرفية دلالية .

القضية الثانية : الفرق بين إنزال القرآن وتنزيله .

¹ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ، (1994) . تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : محمود حسن ، الطبعة الجديدة ، بيروت ، دار الفكر ، 4/ 126 .

القضية الأولى :

صيغ المبالغة وطرأقتها في سورة فصلت دراسة إحصائية صرفية دلالية .

أولاً : مفهوم المبالغة لغة واصطلاحاً .

1 ————— المبالغة لغة :

جاء في معجم العين : " المبالغة : أن تبليغ من العمل جُهدك " ¹ .

وجاء في لسان العرب المبالغة : من " بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً : وصل وانتهى ... وتبلغ بالشيء : وصل إلى مراده ... والبلاغ من يتبليغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب ، والبلاغ : ما بلغك ، والبلاغ الكفاية ... تقول له : في هذا بلاغ وبلغت وتبليغ ؛ أي كفاية . وبلغت الرسالة ، والبلاغ : الإبلاغ وفي التنزيل : " إِلَّا بَلَّغْنَا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ " (الجن : 23) والبلاغ : الإيصال ، وكذلك التبليغ ... بالغ يباليغ مبالغة وبلاغاً : إذا اجتهد في الأمر ... وبلغ الفارس إذا مدّ يده بعنان فرسه ليزيد في جريه ، وبلغ الغلام : احتلم كأنه بلغ وقت الكتاب عليه والتكليف ، وبلغت المكان بلوغاً : وصلت إليه وكذلك إذا شارفت عليه ومنه قوله تعالى : " فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ " (البقرة : 234) أي قاربنه ، وبلغ النبت : انتهى وبلغت النخلة وغيرها من الشجر : حان إدراك ثمرها ... وشيء بالغ أي : جيد ، وقد بلغ في الجودة مبلغاً . ويقال : أمر الله ببلغ ، بالفتح أي بالغ من قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ " (الطلاق : 3) ، وأمر بالغ وبلغ : نافذ يبلغ أين أريد به ... وأحمق بليغ وبلغ أي هو في حماقته يبلغ ما يريد ، وقيل بالغ في الحمق ... وقيل يمين بالغة : أي مؤكدة ، والمبالغة أن تبليغ في الأمر جهدك ، ويقال : بلغ فلان : أي جهد ... وأمر بالغ : أي جيد " ² .

وجاء في مفردات الراغب : " البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً كان أو زماناً ، أو أمراً من الأمور المقدرة " ³ .

¹ الفراهيدي ، أبو عبدالله الخليل بن أحمد ، (دب) . كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، (دط) ، (دم) ، دار ومكتبة الهلال ، مادة (بلغ) .

² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بلغ) .

³ الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، (2008) . المفردات في غريب القرآن ، ضبط : هيثم طعيمة ، (ط 1) ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، مادة (بلغ)

2 — المبالغة اصطلاحاً :

لقد تناول القدماء من البلاغيين واللغويين موضوع المبالغة وعرفوه تعريفاتٍ كثيرةً ، وقد انصب اهتمام البلاغيين في أثناء معالجتهم لقضية المبالغة على المبالغة الواقعة في الشعر بشكل عام ، والتشبيه بشكل خاص ، فلم يكن لمبالغة اللفظة المفردة مكان في جل دراساتهم ، إلا بعض إشارات قليلة¹.

فقد أفرد قدامة بن جعفر للمبالغة مبحثاً مستقلاً ، فمفهوم المبالغة عنده : " أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعره لو وقف عليها لأجزأه ذلك الغرض الذي قصده ، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له ، وذلك مثل قول عمير بن الأبهم التغلبي :

(الوافر)

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا
مَالًا²

وَتُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ

فإكرامهم للجار ما دام فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة وإتباعهم إياه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل " ³.

ومن الدراسات التي تهتم بمفهوم المبالغة عند اللغويين العرب ، اهتمامهم بمفهوم اسم الفاعل ، فهو عندهم " اسم مشتق يدل على معنى مجرد ، وهو ما دلّ على الحدث والحدوث وفاعله " ⁴. ثم أضافوا إلى ذلك قولهم : إن صيغة اسم الفاعل محولة أو منقولة من الفعل لتحمل دلالات إضافية كالدلالة على من قام بالفعل والدلالة على الدوام في الفعل ⁵.

وتحول صيغة (فاعل) نفسها " للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث ، إلى أوزان خمسة مشهورة ، تسمى صيغ المبالغة ، وهي فعّال : بتثديد العين ، كأكّال ، وشَرّاب . ومِفعال : كمنحَار . وفَعُول : كغفُور . وفَعِيل : كسميع . وفَعِل بفتح الفاء وكسر العين : كحَدّر " ⁶.

¹ انظر صالح ، كمال حسين رشيد ، (2005) . صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، إشراف أ.د أحمد حسن حامد ، نابلس ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، ص 8 .

² التغلبي ، عمير بن الأبهم ، (2001) . ديوان القطامي ، تحقيق : محمود الربيعي ، (ط1) ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 47 .

³ ابن جعفر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، (1963) . نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، (ط 1) ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ص 141 .

⁴ الأنصاري ، ابن هشام ، (1966) . أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (ط 5) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ص 248 .

⁵ انظر : صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 12 .

⁶ الحملاوي ، أحمد بن محمد بن أحمد ، (1982) . شذا العرف في فن الصرف ، (ط 16) ، ص 78 .

وقد لخص صاحب الطراز مفهوم المبالغة عند القدماء بقوله : " هي مصدر من قولك بالغت في الشيء مبالغة إذا بلغت أقصى الغرض منه ، وفي مصطلح علماء البيان : هي أن تثبت للشيء وصفاً من الأوصاف تقصد فيه الزيادة على غيره " ¹

قال منير سلطان : " البلاغة غايتها زيادة المعنى وتقويته لا تزييفه وقلب الحقائق وتغييرها ؛ فهي تعبر عن العواطف التي تقصر اللغة عن التعبير عنها " ². وعليه فالمبالغة ضرب من ضروب بلاغة القول ، فلا عجب إذاً أن تكثر في القرآن الكريم .

ثانياً : نسبة صيغة المبالغة لله سبحانه وتعالى :

اختلفت آراء العلماء حول ما جاء من الوصف لذاته _____ سبحانه وتعالى _____ فمنهم من قال : " إن أسماء الله تعالى إنما يقصد بها المبالغة في حقه ، والنهاية في صفاته _____ سبحانه _____ " ³

كما رفض بعضهم اعتبار ما كان على وزن المبالغة من أوصاف الله _____ سبحانه _____ مبالغة ، واحتج لذلك بأن صفات الله عز وجل مطلقة لا تتفاوت ، فتوجه هذا الفريق إلى اعتبار كل ما جاء من " صفات الله تعالى التي هي على صيغة المبالغة مجازاً ؛ لأن المبالغة لا تكون في صفات لا تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزهة عن ذلك " ⁴

" ومن رفض المبالغة فهو محق من زاوية تفكيره ، فصفات الحق مطلقة كاملة ، لا تفاوت فيها ، كما أن مَنْ يقول بالزيادة ، فقد نظر من زاويته الخاصة حين نظر إلى البنية الصرفية التي تحمل في زيادة مبناها زيادةً في معناها " ⁵

وفي هذه المسألة ذكر " البرهان الرشيد " أن صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز ، لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له ، وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها ، وأيضاً فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزهة عن ذلك . ⁶

¹ العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي اليميني ، (د.ت) . الطراز المضمن لأسرار البلاغة وعلوم خصائص الإعجاز ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتب ، 116 / 3 .

² سلطان ، منير ، (1986) . البديع تأصيل وتجديد ، (د.ط) ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ص 145 .

³ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 2 / 506 .

⁴ الصبان ، محمد بن علي ، (1305هـ) . حاشية الصبان على شرح العلامة الأشموني على ألفية ابن مالك في النحو (ط1) ، مصر ، المطبعة الخيرية ، 2 / 214 .

⁵ صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 150 .

⁶ عن المرجع السابق ، ص 150 .

قال صاحب البرهان : " لقد أشكلت دلالة هذه الصيغ على بعض العلماء في صفات الله تعالى ، وذلك أنها موضوعة للمبالغة ، ومعنى المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له ، وصفات الله تعالى لا مبالغة فيها ، لأنها متناهية في الكمال ، وإنما تكون المبالغة في وصف يقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله تعالى التي جاءت على صيغة من صيغ المبالغة محمولة على المجاز .¹

ويزول هذا الإشكال عند مَنْ ذهب إلى أن صيغ المبالغة قسمان :

الأول : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل .

الثاني : ما تحصل فيه بتعدد المفعولات .

وعلى هذا فصفات الله تعالى التي وردت على صيغة مبالغة ، كالرحمن والرحيم والغفور والتواب ، تنزل على القسم الثاني ، فالمبالغة فيها بكثرة المفعولات.²

ثالثاً : صيغ المبالغة في سورة فصلت :

تعدُّ المبالغة وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني ، والقرآن الكريم هو المعجزة البيانيّة الخالدة ، وليس من الممكن حصر وجوه الإعجاز القرآني فكل وجه من وجوه الإعجاز القرآني ربما احتاج إلى مجلدات كثيرة ، وسيقتصر كلامنا في هذه الدراسة على وجه واحد من هذه الوجوه ، وهو أسلوب المبالغة الذي كان له حضور بارز في سورة فصلت ، اتخذ عدة صيغ هي :

1 — صيغة (فَعْلَان) .

(الرحمن) :

قال تعالى : " تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ " (فصلت : 2)

وردت صيغة فعلان في القرآن الكريم على وزن المبالغة في لفظة (رحمن) وحدها وهي مشتقة من كلمة " رحم " وهو موضع تكوين الجنين في الأنثى .

الرحمن : الكثير الرحمة ، وصف مقصور على الله عز وجل ، وقولهم : رَحِمَ فلاناً : رحمة ، ورحماً ، ومرحمة : رق له وعطف عليه " ³

وقد اختلف المفسرون في قضية اشتقاق اسم الرحمن فمنهم من قال بالاشتقاق ، ومنهم من قال بعدم اشتقاقه ، والذي نحن معه ما ذهب إليه البيهقي ، وهو أن جمهور الناس ذهب إلى أنه مشتق من

¹ الزركشي ، البرهان 2 / 520 .

² الأندلسي ، البحر المحيط 1 / 136 .

³ مصطفى ، المعجم الوسيط ، مادة (رحم) .

الرحمة مبني على المبالغة ، ومعناه ذو الرحمة لا نظير له فيها ، ولذلك لا يثنى ولا يجمع كما يثنى الرحيم ويجمع ، والذي يدل على مذهب الاشتقاق في هذا الاسم حديث عبد الرحمن بن عوف _____ رضي الله عنه _____ أنه سمع رسول الله _____ صلى الله عليه وسلم _____ يقول : (قال الله عزّ وجلّ : أنا الرحمن وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته)¹

" والرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق ... وعمّت المؤمن والكافر ... أما الرحيم فخاص للمؤمنين كقوله تعالى " هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ " الأحزاب : 43 " ، والرحيم : وزنه فعيل : بمعنى فاعل ، أي راحم ، وبناء فعيل للمبالغة كعالم وعلیم " ²

والسؤال هنا : هل كلمتا (رحمن ، ورحيم) متساويتان في الدلالة على الكثرة ؟ مع أنهما مشتقتان من الفعل (رحم) وهما من صيغ المبالغة ، ومن صفات الله تعالى، وهل صفات الله تعالى تتأرجح بين القوة والضعف ؟ وهل الصفة تأتي مرة كثيرة ومرة قليلة ؟ وللإجابة ، لا بدّ من الذكر بأنه لا يمكن أن تختلف صيغتان في بنائهما الصرفي ، وتتساويا في الدلالة ، وإلا لما كانت هناك حاجة لتنوع البنية الصرفية ، ومن جهة أخرى يمكن الحكم على زيادة بناء (فعلان) على بناء (فعيل) ؛ ولذلك لا بدّ أن يكون بناء (فعلان) أكثر دلالة في الزيادة والتكثير والمبالغة في المعنى .

أمّا صفات الله تعالى فهي صفات الكمال المطلق ولكن الذي يتغير هو متعلقات هذه الصفات ، ومن هنا جاءت المبالغة ، وقد تعددت آراء العلماء في محاولة بيان الفرق الدلالي بين كلمتي (الرحمن) و (الرحيم) ، فمنهم من قال إن الله عز وجل (رحمن في الدنيا رحيم في الآخرة) ومنهم من قال عكس ذلك إن الله عز وجل (رحمن في الآخرة رحيم في الدنيا) ، ومنهم من قال إن الرحمن أبلغ من الرحيم ؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى .³

ويرى الباحث أن صفة (الرحمن) تعني أن الله عز وجل هو (الرحمن) الذي يملك الرحمة ، وهو الذي يقدر عليها بقوته وعزته ، ولا راحم غيره ، ولا يملك الرحمة والمغفرة إلا هو عز شأنه ،

¹ البيهقي ، أحمد بن الحسين ، (د.ت) . الأسماء والصفات ، تحقيق : عبدالله بن محمد الحاشدي ، (ط1) ، جدة ، مكتبة السواوي ، ص70 .

² المرجع السابق ، ص70 .

³ انظر : الزمخشري الكشاف ، 1 / 7 ، وكذلك الألويسي ، روح المعاني ، 1 / 59 .

أما (الرحيم) فهي صفة من صفات الله عز وجل ، ويمكن أن يتصف بها على نحو ما بعض خلقه ، وهي رحمة محدودة ، أما (الرحمن) فهو صاحب الرحمة ومالكها والقادر عليها وحده ، ولذلك اختص الله عز وجل بصفة الرحمن ، ولم يشركه في هذه الصفة أحد ، قال تعالى : " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى " (الإسراء : 110) ، وهذا نص واضح صريح على أن (الرحمن) صفة خاصة بالله تعالى .

2 — صيغة (فعيل) .

يعد (فعيل) من أوزان المبالغة المشهورة عند النحاة العرب من صيغ المبالغة والتكرار ، كرحيم ، وسميع ، وقدير ، وخبير ، وحكيم ، فإنه محوّل عن (فاعل) وهو إنما يكون كذلك للفاعل لا للمفعول به ، بدليل قولهم : (قتيل ، وجريح) والقتل لا يتفاوت ، وقد يجيء في معنى الجمع كقوله تعالى : " وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا " (النساء : 69) .

وهذا إشارة إلى أن صيغة " فعيل " الدالة على المبالغة تشترك مع اسم المفعول كما في " جميل ، وكريم ، وظريف " .

يصاغ اسم المفعول على وزن فعيل ، ويدل دلالته فقولنا : (رجل قتيل) أي مقتول ، وكذلك امرأة

جريح : أي مجروحة ، ويستوي في اسم المفعول — الذي يُبنى على فعيل — المذكر والمؤنث .

والعدول عن صيغة " مفعول " لصيغة " فعيل " إنما يكون لغرض دلالي وهو الدلالة على الاستمرار والدوام وثبات الصفة ؛ ذلك أن صيغة فعيل أكثر ثباتاً من مفعول ، سواء أكانت من باب صيغة المبالغة أم الصفة المشبهة ؛ حيث إن " فعيل " بمعنى " مفعول " يدل على أن الوصف قد وقع على صاحبه بحيث أصبح سجية له أو كالسجية ثباتاً أو كالثبات فنقول : " هو محمود " أو " هو حميد " فـ " حميد " أبلغ من " محمود " لأن حميداً يدل على أن صفة الحمد له ثابتة¹ .

" وأقيم فعيل مقام مفعول لأنه أبلغ منه ، ولهذا لا يقال لمن جرح في أنمله جريح ، ويقال له مجروح " ² .

¹ صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 234 .
² السامرائي ، معاني الأبنية ، ص 62 .

ويعدل عن " مفعول " إلى " فعيل " لتأكيد الصفة وثباتها ، ويعدل عن " فاعل " إلى فعيل _____ الصفة المشبهة _____ للدلالة على الثبوت ، وهو كذلك إذا أريدت المبالغة والدلالة على التكرار ، والاستمرار في العمل حتى تصبح الصفة كالسجية ، أو الطبيعة الملازمة للموصوف¹ ، وفي هذا يقول ابن القيم : " وتأمل قولهم طال الشيء فهو طويل ، وكبر فهو كبير ، فإذا زاد طولُه وكبر قالوا طَوَّلَ ، وكَبَّرَ فأتوا بالألف التي أكثر مداً وأطول من الياء ... فإن زاد كبر الشيء وثقل موقعه من النفوس ثَقَّلوا اسمه فقالوا: كَبَّرَ بشد الباء " ².

يرى بعض اللغويين أن صيغة فعيل تطلق على من أصبح الوصف له كالطبيعة الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل فقولنا : " رحيم " إنما يكون لمن كثرت منه الرحمة حتى أصبحت صفة دائمة له ، وفي هذا يقول ابن طلحة : " وفعيل : لمن صار له كالطبيعة " ³.

وردت هذه الصيغة في سورة فصلت في عدة مواقع هي :

(رحيم) :

قال تعالى : " تَزِيلُ مِّنَ الرِّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ " (فصلت : 2) .

رحيم : من الرحمة ، والرحيم : هو " المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة " ⁴ و " لفظه " رحيم " مبنية على وزن " فعيل " ، وهذا الوزن ، أي زيادة ياء المدّ بين الحرف الثاني والثالث ، من المادة يدلّ على التمييز والمبالغة أي أنّ صاحبه يتميز بتلك الصفة لدرجة أنها أصبحت غالبية عليه ومثل ذلك الحكيم والعليم والسميع والحفيظ " ⁵

ومما تجدر ملاحظته أنّ لفظه " الرحمن " لا يوصف بها إلا الله عز وجل كما مر قبل قليل ، أمّا لفظه " رحيم " فتستعمل لوصف البشر شريطة أن تكون نكرة ؛ أي دون لام التعريف ، والمثال القرآني الذي يؤيد ذلك قوله تعالى : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ " (التوبة : 128) حيث وردت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن صفة للرسول ⁶.

¹ انظر: صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 235 .

² ابن القيم ، شمس الدين بن عبد الله محمد بن أبي بكر ، (د.ت) . الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، (د.ط) ، لبنان ، دار الكتب العلميّة ، ص 208 .

³ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (د.ت) . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، (د.ط) ، بيروت ، دار المعرفة ، 97/ 2 .

⁴ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 1 / 203 .

⁵ قيطني ، فريد ، (1999) . طلوع الشمس من مغربها علم الساعة ، (ط 2) ، (د.م) ، المركز الدولي للبحث العلمي ، ص 72 .

⁶ انظر: صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 225 .

(بشيراً ونذيراً) :

قال تعالى : " بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ " (فصلت : 4) .

كلمتا "بشيراً ونذيراً" من صيغ المبالغة التي على وزن "فعليل" وقد وردت صيغة المبالغة (بشير) في القرآن الكريم تسع مرات ، والبشير : مبالغة مبشّر وهو : من جاء بالخبر المفرح ، وهو مبالغة من الفعل غير الثلاثي (بشر) وهذه الصيغة من الصيغ الشاذة عن القياس كـ : " معواز من أعاز ، ومقدام من أقدم " ¹ . ودلالة المبالغة هي كثرة المبشرين بالجنة .

أما كلمة (نذير) فقد وردت في القرآن الكريم في اثنين وأربعين موضعاً ، وكانت بمعنى المنذرين ، وهم الرسل . والإنذار : التخويف ² .

ونذير : مبالغة منذر ، وهي مأخوذة من الفعل الثلاثي المزيد (أنذر) .

قال الحق : (بشيراً ونذيراً) ولم يقل (مبشراً ومنذراً) وذلك أنّ (مبشراً ومنذراً) اسما فاعل ، واسم الفاعل له دلالة خاصة ليست هي المقصودة في هذا المقام ، في حين أنّ البشير : اسم للمبشر ، وهو المخبر بخبر يسر المخبر . والنذير : المخبر بأمر مخوف ، فالكلام تشبيه بليغ ، إذ حذفت الأداة ووجه الشبه وذكر المشبه وهو : القرآن ، والمشبه به وهو : البشير فيما اشتمل عليه من الآيات المبشرة للمؤمنين الصالحين ، والنذير فيما فيه من الوعيد للكافرين وأهل المعاصي ³ .

(العزيز) :

قال تعالى : " فَفَضَّضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ " (فصلت : 12) .

العزيز : مبالغة مُعزّ (فعيل بمعنى مُفعل) ، والعزير : اسم من أسماء الله الحسنى ⁴ ، وهو المنيع الذي لا يغلب ، والعز : قد يكون بمعنى الغلبة ، يقال : عزّ يعزّ بضم العين ، وقد يكون بمعنى

¹ نهر ، هادي ، (1998) . الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية ، (د.ط) ، إربد ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، ص84-85 .

² الصابوني ، صفوة التفاسير 2 / 295 .

³ انظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير 9 / 25 .

⁴ صالح ، صيغ المبالغة وطرانقها في القرآن الكريم ، ص238 .

الشدّة والقوّة ، يقال : عزّ يعزّ بكسر العين ، وقد يكون بمعنى نفاسة القدر ، يقال : عزّ الشيء يعزّ بكسر العين ، فيتناول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء ، وأنه لا مثل له " 1 .
فمن خلق السماوات والنجوم لا يستطيع أحد أن يغلبه في ذلك ، والذي لا يغلب لا بدّ أن يكون قوياً شديداً ، فالمبالغة آتية من النوعية التي خلقها الله عز وجل _____ ونفاستها _____ ، التي هي بدورها أكبر دليل على وحدانيته _____ سبحانه وتعالى _____ .

(العليم) :

قال تعالى : " ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " (فصلت : 12) .

العليم : هو العالم بالسرائر والخفيات ، التي لا يدركها علم الخلق ، وجاء على بناء فاعل للمبالغة في وصفه بكمال العلم² . وقد فرّق العلماء بين (العالم ، والعلّام ، والعليم) قائلين : كل من فعل فعلاً قل أو كثر ، ضعّف أو قويّ يجوز أن يشتق له منه اسم فاعل (عالم) فإذا احتيج إلى أن يميّز بين الفعل الذي يظهر من الفاعل مرة واحدة ، وبين الذي يظهر منه غالباً أو الذي يظهر منه على سبيل الخلق والعادة ، وجب العدول إلى أوزان أخرى (علّام ، وعليم) فعلاً كثرة المتعلقة ، وعليم : تفيد ثبوت الصفة ورسوخها ، فلا تستعمل إلا عند قصد تأكيد الفعل³ .
فالمبالغة آتية من الإشارة إلى الإحاطة بأحوال كل المخلوقات من الإنس والجن والجماد والحيوان .

(وليّ) :

قال تعالى : " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ " (فصلت : 34) .

" وليّ : من صيغ المبالغة على وزن فاعل ، أصلها وليي ، أدغمت الياءان فيه فصار : وليّ " 4

¹ البيهقي ، الأسماء والصفات ، ص 51 .

² البيهقي ، الأسماء والصفات ، ص 62 .

³ عمر ، أحمد مختار ، (1997) . أسماء الله الحسنى ، دراسة في البنية والدلالة ، (د.ط.) ، القاهرة ، عالم الكتب ، ص 66 .

⁴ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1992) . فتح الجليل للعبد الذليل ، تحقيق : عبد القادر أحمد عبد القادر ، (ط 1) ، دار البشر ، عمان - الأردن ، ص 20 .

" والولي هو الوالي ، ومعناه مالك التدبير ، ولهذا يقال للمقيم على اليتيم : ولي اليتيم ، وللأمير :
الوالي " ¹

وردت صيغة المبالغة (ولي) في القرآن الكريم خمساً وأربعين مرة ، وجاءت الآيات في القرآن
الكريم " دالة على أن الله هو ولي المؤمنين وولي المتقين ، ومولاهم وهو يتولى أمرهم " ²
(سميع) :

قال تعالى : " وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾ " (فصلت : 36) .

" السميع بمعنى السامع ، إلا أنه أبلغ في الصفة وبناء فعيل بناء المبالغة " ³.
ومن الجدير ذكره أن صفة السميع قد اقترنت في خمسة عشر موضعاً بصفة العليم ، ولعل
اقتران السمع بالعلم زيادة في تأكيد الصفة ، فهو الذي يسمع أقوال الإنسان في سره وعلنه ، وهذا من
كمال صفاته ، وبما أن السمع مطلق فالعلم مطلق كذلك ؛ فالغائب عن الإنسان والحاضر سواء في
علمه سبحانه ⁴.

وربما كان في هذا التركيب (إنه هو السميع العليم) إشارة قرآنية إلى أن السمع هو الطريق
الأساسي لاكتساب العلم . فالإنسان يتعلم مما يسمع ومما يبصر ، وهذا أمر مقرر قد بيناه من قبل عند
الحديث عن السمع والبصر وأثره في اكتساب المعرفة .
والمبالغة في كلمة " السميع " تأتي من كون سمعه تعالى لا يقتصر على قول البشر فقط ، بل
تعدى إلى أبعد من ذلك وهو نزغ الشيطان للإنسان ، إذا ما علمنا أن النزغ هو " شبه النحس ...
والمعنى : وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتّي هي أحسن فاستعذ بالله من شره " ⁵.

(قدير) :

¹ البيهقي ، الأسماء والصفات ، ص 88 .

² عبد الجواد ، أحمد ، (دت) . الأسماء الحسنی ، (ط 2) ، موقع ملتقى أهل الحديث ، ص 139 .

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?p=>

³ البيهقي ، الأسماء والصفات ص 62 .

⁴ انظر : صالح : صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 226 .

⁵ الزمخشري ، الكشاف ، 4 / 206 .

قال تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ " (فصلت : 39) .

قدير : مبالغة قادر ، بمعنى من يفعل كل ما يريده بمقتضى حكمته ، لا أقل ولا أكثر من ذلك ، لذا فإن هذه الصفة لا تستعمل إلا مع الله تعالى ، وأساساً إن صفة القدرة المطلقة لا يجوز استعمالها إلا في خصوص الله تعالى ، وكلما استعملت مع غيره فإنها ينبغي أن تكون محدودة ومقيّدة ، لأن غيره لو كان قادراً من جهة معينة فهو عاجز من جهة أخرى ¹ .

" وأصل هذه الكلمة مأخوذ من (قدر) وهو بمعنى مقياس شيء وكنهه ونهايته ، والسر في استعمال هذه الكلمة بخصوص الباري تعالى هو فعله كل ما يريد وبأي مقدار كان ، وإعطائه عباده أي مقدار يريده هو سبحانه " ² .

و (قدير) و (قادر) كلاهما صفتان من صفات الله سبحانه ، وهما مأخوذان في الأصل من (التقدير) في الكمية ، (وقادر) اسم فاعل ، و (قدير) صيغة مبالغة ³ .

قال السيوطي : " وقد أورد بعض الفضلاء سؤالاً عن قوله تعالى : " فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ

مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (البقرة : 284) وهو أن (قديرًا) من صيغ المبالغة ، فيستلزم الزيادة على معنى (قادر) والزيادة على معنى (قادر) محال ؛ إذ الإيجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل . وأجيب بأن المبالغة لما تعدّر حملها على كل فرد ، وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها ، فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف " ⁴ .

ولإبراز المبالغة في كلمة (قدير) بشكل جلي ، أذكر قول عودة أبو عودة في معرض حديثه عن القدرة والاستطاعة والطاقة ، إذ قال : كلمة قدر تعني أنه قام بالعمل دون أي جهد ، وأن العمل سهل عليه جداً ، كأن تقول : إنني أقدر على حمل ورقة ، أو أنني أقدر على السير مئة متر دون أن يكلفني ذلك السير أدنى جهد أو مشقة . ولذلك وصف الله عز وجل ذاته بأنه قدير ، أي يقوم بالفعل دون أي جهد أو مشقة . أما الاستطاعة فهي أنك تقوم بالعمل الذي يساوي قوتك وجهدك دون أن تدّخر منه شيئاً ، أو تتكلف له المشقة الزائدة أو الجهد العنيف . فأنا أستطيع

¹ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (قدر) .

² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قدر) .

³ المصدر السابق ، (قدر) .

⁴ السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ، 3 / 284 .

_____ مثلاً _____ حمل عشرين كيلو غراماً دون أن يجهدني ذلك . هذه استطاعتي . وكل إنسان يدري مدى استطاعته .

أما الطاقة فهي القيام بالأمر ببذل أقصى الجهد والمشقة والتعب الشديد . فأنا أطيق حمل ستين كيلو غراماً _____ مثلاً _____ ، أي أقوم بذلك ببذل مزيد من الجهد والعنت والشقاء .¹

(بصير) :

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَّ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ " (فصلت : 40) .

اسم من أسماء الله الحسنى ، وقد ورد اسم البصير في القرآن الكريم إحدى وخمسين مرة ، و " وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه بصير على أنه عالم بخفيات الأمور " .²

" وليس في وصف الله بالبصير مبالغة ، فالحق سبحانه به صفات الكمال المطلق ، وربما عدل عن (فاعل) إلى (فعيل) للدلالة على دقة العلم ، وسعة الإطلاع ، ودوامه ، فالحق سبحانه لا تخفى عليه خافية ، وهذا لا يكون إلا إذا كان دائم الإطلاع ، وبهذا اتصف الحق الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .

ومن هنا يمكننا التأكيد على التقاء صيغة فعيل مع الدلالة العامة فالوصف بـ (سميع) إنما كان لبيان دوام الصفة وثباتها " .³

(حكيم) :

قال تعالى : " لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ " (فصلت : 42) .

والحكيم من أسماء الله الحسنى وهو " المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة " .⁴ و " معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة إلى الشرائع " .⁵

وقد وردت صيغة المبالغة (حكيم) في القرآن الكريم في اثنين وتسعين موضعاً .

¹ أبو عودة ، عودة ، (1998) . شواهد في الإعجاز القرآني ، (ط1) ، عمان ، دار عمار للنشر ، ص 107 .

² القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 26 / 2 .

³ صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 220 .

⁴ البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1 / 139 .

⁵ السيوطي ، الإقتان في علوم القرآن ، 3 / 283 .

" والحكيم الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب ، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة ، وصنعه متقن ، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من الحكيم ، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير ... والحكيم هو المحكم لخلق الأشياء ، صُرِفَ عن (مفعِل) إلى فَعِيل ، ومعنى الإحكام لخلق الأشياء إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها ، وحسن التقدير لها .

وتجدر الإشارة إلى أن ما جاء في غير وصف الحق سبحانه وتعالى إنما هو من باب (فَعِيل) المنقول عن (مفعول) ومن ذلك قوله تعالى : " فيها يُفَرِّقُ كل أمر حكيم " (الدخان : 4) ، أي : في ليلة القدر يفصل ويبين كل أمر محكم من أرزاق العباد وآجالهم " ¹ .
(حميد) :

قال تعالى : " تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " (فصلت : 42) .

تكررت لفظة حميد في القرآن الكريم في مواضع سبعة ، وهي صيغة مبالغة على زنة فَعِيل ، والحميد هو الذي لا يزال يحمد كثيراً ، أما صيغة المبالغة من (حامد) فهي : (محماد) يقول جرير :

أَنْ يَكْشِفَ الْوَصْبَ² الَّذِي أَمْسَى بِهِ
فَأَجَابَ دَعْوَةَ شَاكِرٍ مِحْمَادٍ³

فقوله محماد : مبالغة اسم الفاعل : حامد .

الحديث عن القرآن الكريم وما يكتنزه من خير ظاهر وخفي هو المحور الذي تدور عليه الآية الكريمة ، وهذا الخير يتمثل في آيات الله — عز وجل — الظاهرة والبارزة ودقة الإتقان في خلقها ، فالشمس مثلاً لو زحزحت من مكانها قليلاً لأحرقت الأرض وما عليها ، فالذي خلق الشمس وأحكمها بقدر معين يستحق منا الحمد على ذلك ، وما يندرج على الشمس يندرج على سائر آيات الله ونعمه التي لا تحصى ، فالعلاقة بين (حكيم وحميد) هي أن الله الذي خلق الأرض والجبال والشمس والكواكب والبحار وما تكتنزه البحار والجبال من نعم جمّة ، إلى غير ذلك من النعم ، كل ذلك خلق بإتقان وإحكام ، وعليه فهو يستحق منا الحمد على نعمه المحكمة المتقنة .

وقُدِّمَ (حكيم) على (حميد) لأن الأولى سبب في الثانية . أمّا المبالغة فتكمن فيما يلي :

¹ الصابوني ، صفوة التفاسير 171/3 .

² الْوَصْبُ : الْوَجَعُ وَالْمَرَضُ ، وَالْجَمْعُ : أَوْصَابٌ . لسان العرب : (وَصَبَ) .

³ جرير ، جرير بن عطية بن حذيفة ، (1992) . ديوان جرير ، شرح يوسف عيد ، (ط 1) ، بيروت ، دار الجيل ، ص 89 .

المبالغة في حكيمة كامنة في العدد أولاً ، فعدد مَنْ وقع عليهم خلق الله لا يحصى ، لأن كل ما تقع عليه عينك هو من خلقه سبحانه وتعالى . كذلك المبالغة في الدقة والإتقان وجودة الخلق .

(أليم) :

قال تعالى : " مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ

" (فصلت : 43) .

" أليم من الألم ، والألم : الوجع والجمع آلام ... والأليم : المؤلم والموجع مثل السميع بمعنى المسمع ... والعذاب الأليم : الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ ، وإذا قلت : عذاب أليم فهو بمعنى مؤلم " .¹

تُعد صيغة المبالغة (أليم) مما حول عن غير الثلاثي من أسماء الفاعلين ، كـ (بشير ، ونذير ، وسميع) فقد جاء أن (فعيل) مبالغة (مفعِل)² كقوله تعالى : " وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " (البقرة : 10) فالعذاب الأليم في قوله تعالى : " فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (النساء : 173) هو العذاب الموجع الشديد " .³

وتتضح دلالة المبالغة من خلال الكثرة في العذاب ، فالعذاب ربما لا يكون أليماً إذا كان زمنه قليلاً ، ولعل استمرارية العذاب تجعل صيغة المبالغة (أليم) متفقة مع الدلالة العامة لـ (فعيل)⁴ .

(شهيد) :

قال تعالى : " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " (فصلت : 53) .

الشهيد اسم من أسماء الله الحسنى ، ولذا قيل فيه : إنه المطلع على ما لا يعلمه المخلوقون إلا بالمشاهدة والحضور ، والحاضر المشاهد المبين بالدلائل والشواهد لعدله وتوحيده ، وصفات جلاله " .¹

¹ لسان العرب ، مادة (ألم) .

² انظر : الصابوني ، صفوة التفاسير ، 35 / 1 .

³ انظر : المرجع السابق ، 322 / 1 .

⁴ صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 217 .

فأما الشهادة ، فصفة سمي حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد ، وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهي : الحضور ، والوعي ، والأداء ، أما الحضور : فهم شهود الشاهد المشهود ، والوعي : هو ما شاهده وعلمه في شهوده ذلك ، والأداء : هو الإتيان بالشهادة على وجهها في موضع الحاجة إلى ذلك ، هذا معنى الشهادة ، والشهادة على الكمال ، إنما هي لله سبحانه وتعالى ، وأن جميع الشاهدين سواء يؤدون شهادتهم عنده ، قال الله سبحانه وتعالى : " وَجِئْنَا بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ " (الزمر : 69) والشهداء : هم العدول ، وأهل العدالة في الدنيا والآخرة ، هم القائمون بما أوجب الحق سبحانه عليهم في الدنيا .²

ويأتي (فعيل بمعنى مفعول) المشهود له بالوحدانية ، والعبودية ، وفي هذا يقول صاحب التذكرة : " الشهداء جمع الشاهد ، والشهيد : القتل في سبيل الله ، كذا قال أهل اللغة : الجوهري وغيره : وسمي بذلك لأنه مشهود له بالجنة ، فالشهيد بمعنى مشهود له فعيل بمعنى مفعول³ ، وقال ابن فارس اللغوي (395هـ) في المجلد : " والشهيد : القتل في سبيل الله ، قالوا : لأن ملائكة الله تشهده"⁴.

وقبل الانتقال إلى صيغة أخرى من صيغ المبالغة التي وردت في سورة فصلت ، لا بد من التذكير بأن صيغة (فعيل) من أوزان الصفة المشبهة ، وما جاء على هذا الوزن ، وكان يقصد به الله عز وجل — فهو من باب المبالغة ، وما قصد به غير الله — عز وجل — فهو من باب الصفة المشبهة ؛ ذلك أن الصفة المشبهة تفيد ثبات الصفة للشخص ودوامها ، إلا أن هذا الثبات والدوام قد يزول في أي وقت ، فالرحيم بأبنائه قد يقسو عليهم ، والرجل الراشد الحكيم بين قومه قد يُنظرُ إليه بشيء من السخرية ، إذا سلبه الله عز وجل — ملكة عقله ، والشاب الظريف الجميل إذا تعرض لحادث أو مرض ، يتحول إلى النقيض تماماً ؛ لذا فإن هذا التغير والتحول في الصفات لا يتناسب وصفات الله عز وجل — .

3 صيغة (فعَال) .

(ظَلَّمَ) :

¹ المرجع السابق ، ص 227 .
² القرطبي ، (1419 هـ) . التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، تحقيق : عصام الدين الصباطي ، (ط 1) ، القاهرة ، دار الحديث ، ص 137 .
³ المرجع السابق ، ص 137 .
⁴ ابن فارس ، أحمد ، (1986) . مجمل اللغة ، دراسة وتحقيق : زهير عيد المحسن سلطان ، (ط 2) ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، مادة (شهيد) .

قال تعالى : " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ^ط وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا^ق وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ^{٤٦} " (فصلت : 46) .

ظَلَّام : مبالغة ظالم ، ويوصف الموصوف بـ (ظَلَّام) إذا كثر منه الظلم ؛ لأن " فعَّال نحو : غفار ، ومنان ، وتواب ، ووهاب " ¹ من صيغ المبالغة في اسم الفاعل الدالة على التكثير والزيادة في الفعل .

وتعدّ صيغة (فعَّال) مبالغة لـ (فاعل) ونلاحظ ما بها من زيادة في البناء ، والزيادة في البناء : " أن يقصد المتكلم معنى تعبر عنه لفظتان ، إحداهما أزيد بناء من الأخرى ، فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى ، قصداً منه إلى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه ، ولهذا فإن اعشوشب ، واخشوشن في المعنى أبلغ وأكثر من خشن وعشب ، ولهذا وقعت الزيادة في التشديد أيضاً ، فإن ستار أبلغ من ساتر ، وغفار أبلغ من غافر " ² قال ابن قتيبة : " من أوزان المبالغة والتكثير في الحدث ما كان " على فعَّال نحو " قتَّال " و " ضرَّاب " ³ .

" وكثر مجيء فعَّال بتشديد العين للنسبة (في الحرف) لمن يلبس شيئاً على صيغة التكثير فشدد العين في اللفظ ليكون تكثير اللفظ يدل على تكثير المعنى " ⁴ .

جاء في إعراب القرآن للدرويش " يصح أن تكون ظلام صيغة نسب كتمَّار ، لأن العرب نسبوا على غير المنهاج المعروف في النسبة ، وذلك لأنهم لم يأتوا بياء النسبة ، ولكنهم بينون بناء يدل على نحو ما دلت عليه ياء النسبة ، كقولهم لصاحب الجمال التي ينقل عليها : جمَّال ، وللصيرفي : صرَّاف ، وهذا النحو إنما يعملون فيما كان صنعة ومعالجة للتكثير . ⁵

وقد أورد ابن يعيش في ذلك رأياً لسيبويه حيث قال : " وقد يبني على " فعَّال وفاعل " ما فيه معنى النسب من إلحاق الياءين كقولهم : " بتَّات ، وعوَّاج ، وثوَّاب ، وجمَّال ، ولابن ، وتامر ، ودارع ، ونابل " والفرق بينهما أن فعَّالاً لذي صنعة يزاولها ، ويديمها ، وعليه أسماء المحترفين ،

¹ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 2 / 511 .

² ابن القيم ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ص 106 .

³ ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، (د.ت) . أدب الكاتب ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، (د.ط) ، القاهرة ، دار الطلائع ، ص 255 .

⁴ الجاربردي ، أحمد بن الحسين ، (1988) . مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط ، (ط 1) ، (د.م) ، مكتبة المتنبى للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 121

⁵ الدرويش ، إعراب القرآن وبيانه ، 6 / 7 .

وفاعل لمن يلبس الشيء في الجملة " ¹ وإنما يخبر عن صاحب الصنعة بصيغة فاعل الدالة على الكثرة لأنه مديم للعمل أكثر له ، ومن هنا جاء قولهم " فعّال : لمن صار له كالصناعة " ² .
ويؤكد ابن يعيش ذلك حيث يقول : " وهذا النحو إنما يعملونه فيما كان صنعة ومعالجة لتكثير الفعل إذ صاحب الصنعة مداوم لصنعتة ، فجعل له البناء الدال على التكثير وهو (فعّال) بتضعيف العين لأن التضعيف للتكثير " ³ .
" وقال المحققون من أهل العربية ... وإذا فعل الفعل وقتاً بعد وقت قيل : فعّال مثل علم وصبار " ⁴ .

وتكرار العملية يقود — غالباً — إلى المشقة والمعاناة في العمل " وعلى هذا فصيغة (فعّال) تدل على الحرفة والصناعة ، وتقتضي الاستمرار ، والتكرار ، والإعادة والتجدد ، والمعاناة والملازمة ، قال تعالى : " كَلَّا إِنَّهَا لَأَيُّ نَزَاةٍ لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ " (المعارج : 15 — 16)
جاء بها على فعّال ولم يقل (نزوعاً) لأنها تفيد الاستمرار والتجدد والتكرار " ⁵ .

ومن المعاني الجديدة التي يمكن أن تضاف إلى المعاني السابقة هو : " تعمّد الفعل والقدرة عليه ، فقولنا : هو كذاب ، يدل على تعمّد الكذب لأن الفعل إن لم يكن مقصوداً لذاته لا يكثر من الفاعل ، فإذا كان مقصوداً كثر وازداد ، ومثله ما كان للنسبة للحرف : فقولنا : ظلّام ، وقتّال ، وجبّار ، وقهّار ، وتوّاب . كل ذلك فيه إرادة للعمل ، وقدرة عليه ، فلا يوصف الإنسان بـ (ظلّام) إلا إذا كان قادراً على الظلم ، وإلا فلن يصل إلى مرحلة الوصف بما يدل على تكرار الفعل " ⁶ .
وبالعودة إلى صيغة المبالغة (ظلّام) التي عدّت من مشكل صيغ المبالغة ، نجد أنها وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات في السور المدنية بقوله تعالى : " وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ " (آل عمران : 182 / الأنفال : 51 / الحج : 10) ، ومرتين في السور المكية في قوله تعالى : " وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ " (فصلت : 46) ، وقوله تعالى : " وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٦﴾ " (ق : 29) .

¹ ابن يعيش ، شرح المفصل ، 6 / 13 .

² السيوطي ، همع الهوامع : 2 / 97 .

³ ابن يعيش ، شرح المفصل ، 6 / 13 .

⁴ العسكري ، أبو هلال ، (دبت) . الفروق اللغوية ، (دبط) ، موقع يعسوب ، ص 5 . <http://www.yasoob.com/ar/>

⁵ السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ، ص 110 .

⁶ صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 181 .

فقوله تعالى : " وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ " (فصلت : 46) ، يعدّ من مشكل صيغ المبالغة ، والمقصود بذلك : أنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم ، والواقع نفيه . قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ " (يونس : 44) ، و " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٤٠﴾ " (النساء : 40) .

وقد أورد صاحب البرهان في هذا الأمر عدة وجوه منها :

- 1 — أن الأمر من باب مقابلة الكثير بالكثير ، فقابل الله — عز وجل — كثرة العباد بصيغة المبالغة الدالة على الكثرة ، ولهذا دليله وهو قوله تعالى : " أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ " (التوبة : 78) ، حيث قابل صيغة المبالغة " فعّال " بالجمع " الغيوب " وقال — عز وجل — في موضع آخر : " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٢﴾ " (الأنعام : 73) ، وفي الآية الأخيرة قابل صيغة فاعل الدالة على الفعل دون الدلالة على الكثرة بالمفرد (الغيب) .
- 2 — أن نفي الظلم الكثير يقتضي بطبيعة الأمر نفي الظلم القليل ، وذلك لأن الظالم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ، فإن ترك الظلم الكثير الذي يعود عليه بالنفع الكثير فقد ترك القليل من الظلم حتماً ، كما أن نفي المجموع يصدق بنفي الواحد .
- 3 — أن الأمر من باب النسب أي : " ليس ذا ظلم " .
- 4 — أن أقل القليل لو ورد عن الله — عز وجل — لكان كثيراً لاستغنائه عنه .
- 5 — أن معنى القول : " ليس بظالم ، ليس بظالم ، ليس بظالم " فجعل في مقابلة ذلك (وما ربك بظلام) ، وفي هذا تأكيد على المعنى المراد بنفي الظلم .
- 7 — أن الآية جواب لمن قال " ظلّام " .
- 8 — أن قوله ظلّام لاعتبار أن من يعذب غيره عذاباً شديداً قبل الفحص عن الذنب ظلّام .
- 9 — لما كانت صيغة المبالغة في صفات الله ، وغير المبالغة سواء في الإثبات فقد جرى النفي على ذلك .

10 — أن مقصود القول التعريض بأن ثمة ظلاماً للعبيد من ولاة الجور " ¹ .

أقول : إن هذه الآراء العشرة لها وجه مقبول من حيث التفسير وتعدّ كلها صحيحة ، ولعل أقربها إلى القبول المريح هو الرأي الرابع الذي يرى أن أقل القليل إن ورد عن العظيم يعدّ شيئاً كبيراً . والله عز وجل هو العظيم وهو الحق المطلق ، ولذلك حاشاه أن يصدر عنه ما يعدّ ظلاماً لعباده ولو كان متقال حبة من خردل ، ولعل كلمة (بظلام) تفيد هذا المعنى ، لأنها في سياق النفي (وما ربك بظلام للعبيد) تقابل تماماً إن ربك هو الحكم الحق العادل ، الذي لا تشوب حكمه شائبة من الظلم ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

4 — صيغة (فعول) .

يطلق الوصف بالكلمات من زنة (فعول) لمن كثر منه الفعل ، أو دام منه الاتصاف به ، ذلك لأن (فعول) من أوزان المبالغة والتكثير في الحدث ، ف — " كل اسم يكون على (فعول) (نحو : (قتل للرجال) و (ضروب بالسيف) ² يحمل دلالة الكثرة ، والزيادة عن المستوى الطبيعي ، فتطلق صيغة " فعول لمن كثر منه الفعل " ³ .
ويوصف الرجل ب — (فعول) " إذا كان قوياً على الفعل ، مثل صبور وشكور " ⁴ .
وقد وردت صيغة (فعول) في سورة فصلت في الكلمات الآتية :

(غفور) :

قال تعالى : " نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ " (فصلت : 32) .

الغفور : مبالغة غافر ، " وهو الذي يكثر الستر على المذنبين من عباده ويزيد عفوه على مؤاخذته " ⁵ ، " وتقول غفرت له ، فيقتضي ذلك أنك سترت له ذنبه ، ولم تفضحه به " فإن الله سبحانه — من عاداته أن يغفر ذنوب عباده على كثرتها ⁶ ، وقد جاء وصف غفور في القرآن الكريم لله — تعالى — وحده أو لضمير يعود عليه مكرراً إحدى وتسعين مرة ⁷ .

¹ انظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، م2 ، ص 511 — 513 .

² ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص 255 .

³ السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ص 97 .

⁴ انظر: العسكري ، الفروق اللغوية ، ص 12 .

⁵ البيهقي ، الأسماء والصفات ، ص 77 .

⁶ صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 172 .

⁷ عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة (غفر) .

ويلحظ في صيغة غفور :

- 1 — اقتزائها بالرحمة (غفور رحيم) حيث اقترنت بها في ثلاثة وسبعين موضعاً .
 - 2 — على الرغم من اشتقاق الوصف (غفور) من الفعل المتعدي ، فقد حذف متعلقه في الاستخدام القرآني ، مما يجعله أدخل في باب الصفة المشبهة التي هي أدخل في دلالتها على الثبوت واللزوم¹
- والمبالغة في كلمة (غفور) تأتي من كثرة مَنْ تشملهم مغفرة الله عز وجل ، وكثرة الذنوب التي يصنعها الإنسان و تحتاج إلى مغفرة من الله عز وجل .

(يؤوس ، قنوط) :

قال تعالى : " لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ "

(فصلت : 49) .

وردت صيغة المبالغة (قنوط) في وصف الإنسان مرة واحدة ، وصيغة (يؤوس) ثلاث مرات ، وتجدر ملاحظة اقتران صيغة المبالغة (قنوط) — (يؤوس) التي تحمل معنى قد يظن البعض أنه من الترادف في القرآن الكريم ، قال ابن منظور : " اليأس : القنوط ، واليأس نقيض الرجاء " ² ، وجاء في المفردات في غريب القرآن : " اليأس : انتقاء الطمع ، والقنوط : اليأس من الخير " ³ . واليأس درجة متوسطة من القنوط — " القنوط : هو أشد اليأس " ⁴ . القنوط أن يظهر على الإنسان أثر اليأس ، فيتضائل وينكسر ، وقدم اليأس لأنه صفة القلب ، وهو أن يقطع رجاءه من الخير ، وهي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من التضائل والانكسار ⁵ . وربما كان تتابع الصفتين لتأكيد الصفة وتثبيتها في الموصوف ⁶ .

نستنتج مما سبق أن اليأس هو : قطع الرجاء من الأمر ، وهو اعتقاد محله القلب ، أما القنوط فهو : حالة شعورية تعترى الشخص من جراء انتقاء الطمع في الشيء ، ويظهر في إحساسه

¹ انظر: عمر ، أسماء الله الحسنى ، ص 152 .

² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (يأس) .

³ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (يأس) .

⁴ مصطفى ، المعجم الوسيط ، مادة (قنط) .

⁵ الألوسي ، روح المعاني ،

⁶ صالح ، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، ص 178 .

وتصرفاته . أما المبالغة فنكمن في طبيعة الإنسان من حيث هو ، وعدم صبره وجلده لا على الخير ولا على الشر ، فهو كثير اليأس والقنوط عندما يسلبه الله بعض نعمه ، فلا يرجو عودتها .

القضية الثانية :

الفرق بين إنزال القرآن وتنزيله :

قال الراغب : والتنزل والنزول مخصوص بالملك ، قال تعالى : " تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا " (القدر:4) . وقال : " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ " (الشعراء : 193) ¹ . وجاء في التعريفات للجرجاني : الفرق بين الإنزال والتنزيل : أن الإنزال يستعمل في الدفعة ، والتنزيل يستعمل في التدرج ² . والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة ، أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله متفرقاً ، ومرة بعد أخرى ، والإنزال عام " لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ فَإِنَّمَا ذَكَرَ فِي الْأَوَّلِ (نَزَلَ) وَفِي الثَّانِي (أَنْزَلَ) ، تنبيهاً أن المنافقين يقترحون أن ينزل شيء فشيء من الحث على القتال ؛ ليتولوه . وإذا أمروا بذلك دفعة واحدة تحاشوا عنه ، فلم يفعلوه ، فهم يقترحون الكثير ، ولا يقفون منه بالقليل . و " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " إنما خص بلفظ الإنزال ، لأن القرآن نزل دفعة إلى السماء الدنيا ، ثم نزل نجماً نجماً . وقوله : " لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ " دون نزلنا تنبيهاً أننا لو خولناه تارة واحدة ما (خولناكم مراراً) إذا لرأيت خاشعاً ³ . يقول حسن طبل : " الفرق بينهما هو كالفارق بين ما يدرك بالعقل وما يدرك بالحس ، أو بين الخبر " و " المشاهدة " في قابلية الأول منهما للجدل والمكابرة بالنفي والإنكار ، الأمر الذي يجعل إثباته والإقناع بحقيقة وجوده يقتضي قدراً من المبالغة والتأكيد لا يقتضي مثله الآخر " ⁴ .

¹ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (نزل) .

² الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، (1405 هـ) . التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (ط 1) ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، باب التاء .

³ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (1964) . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، (دن) ، ص 82 .

⁴ طبل ، حسن ، (1998) . أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، (د.ط) ، (د.م) ، دار الفكر العربي ، ص 61 .

الفرق بين صيغتي (نزل ، وأنزل) كما أشار إليه المفسرون من أن الأولى — بما تنضوي عليه بنيتها من تضييف تفيد معنى المبالغة ، غير أن المبالغة فيها لا تدل — كما لاحظوا — على تنجيم النزول أو كثرة التنزيلات ، بل على تأكيد معنى النزول أي المبالغة في إثبات وقوعه .

إن الناظر في السياقات القرآنية التي وردت فيها مادة (التنزيل) ، يلمح أن هذه السياقات تكاد تلتقي حول محور دلالي واحد ، هو إقرار حقيقة الوحي ، ودحض الشبهات الكثيرة والافتراءات المتعددة التي أثارها الكفار والمشركون حول مصداقيته ، فلقد طعنوا — من جهة — في حقيقة الوحي ، " قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ " (الملك : 9) ، ومن ثم جاء القرآن بما يؤكد هذه الحقيقة ويدعمها — بمادة التنزيل

_____ في كثير من الآيات من بينها ، " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ " (الحجر : 9) .

وشككوا _____ من جهة أخرى _____ في ملك الوحي وأمينه (جبريل عليه السلام) ، فجاء القرآن _____ بمادة التنزيل _____ بما يجتث هذا الشك من أساسه : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ " (البقرة : 97) .

وكذبوا الموحى إليه _____ صلى الله عليه وسلم _____ من جهة ثالثة في دعوى الوحي وصدق البلاغ عن الله ، زاعمين افتراءً وبهتاناً أن ما ينطق به من آيات بينات هو ضرب من ضروب السحر ، أو من وسوسات الشياطين ، أو من تخليط العقل والجنون ، فنزل البيان القرآني بما يدحض هذا التكذيب ، ويقوض تلك الافتراءات ، مستخدماً مادة التنزيل حيناً ، ومادة النزول حيناً آخر .

وقد أشار حسن طبل إلى جزئية دقيقة في هذا المجال حيث قال : " إذا كان "الوحي" قد استأثر بمادة التنزيل فإنّ "الموحى به" قد استأثر بمادة الإنزال ، وإذا كانت دلالة هذه المادة الأخيرة تخلو من معنى المبالغة أو التأكيد ، فذلك لأن الموحى به ليس كالوحي أمراً غيبياً يستطاع نفيه ، أو الجدل حول حقيقة وجوده ، لذا فالمواطن القرآنية التي وردت فيها مادة الإنزال مقترنة بالكتب السماوية _____ على كثرتها _____ تخلو كلها من مفردات : الشياطين ، والسحر ، والجنون ، وجبريل ... ، وهذ

الملاحظة تدعم رأيه في أن الفارق بين صيغتي "نزل" و "أنزل" هو أن الأولى تفيد تأكيد ذلك الأمر الغيبي الذي حاول المكابرون إنكار حقيقته وهو (الوحي القرآني) ، أما الثانية فهي تعني الجانب الواقعي المحسوس من الوحي (الموحى به) في الكتب السماوية عامة¹ .

كلمة "تنزيل" مصدر للفعل المضعف "نزل" والتضعيف يفيد التكثر والمبالغة . فأين تكمن المبالغة والتكثر في هذا التركيب ؟ بعض المفسرين أشار إلى أن المبالغة والتكثر عائدة إلى كثرة القرآن وعدد مرات نزوله ؛ إذ نزل منجماً واستغرق ذلك فترة زمنية طويلة نسبياً ، إلا أن حسن طبل في معرض حديثه عن أسلوب الالتفات بين صيغتي "أنزل ونزل" أشار إلى أن هذه الآراء لا تتماشى مع نصوص أخرى من القرآن الكريم كان الحديث فيها عن الكتب السماوية الأخرى ، أما المبالغة فتكمن في تأكيد معنى النزول أي المبالغة في إثبات وقوعه ، ويتابع حديثه فيقول : " ولما كان الوحي أمراً غيبياً قد تفوق التسليم به شبهات المكابرة ولجاجة الجدل ، وكان الموحى به على العكس من ذلك أمراً محسوساً يقرع الأسماع وتردده الألسن اختيرت أقوى الصيغتين لجانب الوحي (وهي نزل : لاصطبغ دلالتها بمعنى المبالغة أو التأكيد) ؛ وذلك تثبيتاً لقلب الموحى إليه ——— صلى الله عليه وسلم ——— والمؤمنين به من جهة ، ودحضاً لافتراءات المنكرين ولجاجة المعاندين من جهة أخرى ."² والذي يندرج على الفعل " نزل " يندرج على المصدر تنزيل من حيث معنى المبالغة . لكن ليس الذين قالوا بأن التجسيم وكثرة التنزيل من المعاني المستفادة التي توحى بها كلمة تنزيل ؟ نعم هذه المعاني وغيرها تحملها كلمة تنزيل ، لكن ليس من المبالغة ، وإنما من تكرار عين الفعل ولتوضيح ذلك قال ابن جني في بيان المناسبة بين الصيغ والمعاني : " ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل ، فقالوا : كسر ، وقطع ، ومنح . وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلاً المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل ، والعين أقوى من الفاء واللام ، وذلك لأنها واسطة لهما ، ومحفوفة بهما ، فصارا كأنهما سياج لها ، ومبدولان للعوارض دونها،... فلما كانت الأفعال دليلاً المعاني كرروا أقواها ، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدث به ، وهو تكرير الفعل ،..."³ فالذي أفاد كثرة التنزيل والتجسيم هو تكرار حرف الزاي في الفعل (نزل) ، (نزل) ، (تنزيل)

¹ انظر: طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية ، ص 63 .

² طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية ، ص 59 .

³ ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، (1952) . الخصائص ، تحقيق : محمد على النجار ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 155/2 .

المبحث الثالث

بعض القضايا المعجمية ودلالاتها

القضية الأولى : كلمتا (الله والرَّب) ودلالاتهما في سورة فصلت :

القضية الثانية : الترادف في سورة فصلت .

القضية الثالثة : الفرق بين الإرادة والمشية .

القضية الرابعة : الفرق بين (خلق وجعل) .

القضية الخامسة : الفرق في استخدام الريح والرياح في القرآن الكريم وفي سورة فصلت

القضية الأولى : كلمتا (الله والرب) ودلالتهما في سورة فصلت :

تساوى عدد الآيات التي ذكر فيها لفظ الجلالة (الله) وعدد الآيات التي ذكر فيها لفظ (الرب) في سورة فصلت ، وهنا تطرح بعض الأسئلة التي تحتاج إلى بعض التدبر للإجابة عنها ، ومن هذه الأسئلة :

- 1 _____ ما الفرق بين كلمتي الله والرب ؟
- 2 _____ لماذا يرد في الآية الواحدة كلمتا (الله) و (الرب) ؟
- 3 _____ هل من دلالة معينة لتقارب تساوي عدد ورود كلمتي (الله والرب) في سورة فصلت ؟

الفرق بين الله والرب :

قال ابن منظور : " الإلهُ الله عز وجل وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إلهً عند متخذه والجمع إلهةٌ ، والآلهةُ الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحقُّ لها ، وأسمائهم تتبعُ اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه وهو بَيْنُ الإلهةِ والألهانيَّةِ ... وروى المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة فقال : كان حقه إلهٌ أُدخلت الألف واللام تعريفاً فقبل الإلهةُ ثم حذفت العرب الهمزة استنقالاتاً لها ، فلما تركوا الهمزة حوَّلوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف وذهبت الهمزة أصلاً فقالوا : أَلِلهٌ فحرَّكوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة ثم التقى لامين متحركتان فأدغموا الأولى في الثانية فقالوا الله ... قال أبو الهيثم فالله أصله إلهٌ قال الله عز وجل : " مَا آتَخَذَ اللَّهُ

مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ " (المؤمنون : 91) . قال ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً ، وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومُدبِّراً وعليه مقتدرًا ، فمن لم يكن كذلك فليس بإله وإن عبداً ظلماً بل هو مخلوق ومُتَعَبَّدٌ ، قال : وأصل إلهٍ وإلهةٌ فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح إشاحٌ وللوجاح وهو السُّنْرُ إجاجٌ ، ومعنى وإلهٍ أن الخلقَ يُولَهُونَ إليه في حوائجهم وَيَضْرَعُونَ إليه فيما يصيبهم وَيَفْزَعُونَ إليه في كل ما ينوبهم كما يُولَهُ كل طفلٌ إلى أمه " ¹.

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (إله) . وفي كلام ابن منظور هذا ، وكلام (أبو الهيثم) خلط كثير ، وخطأ كبير . فالله عز وجل (لفظ الجلالة) اسم مرتجل غير مشتق ، وهو الاسم الأصل أو الأساسي لله عز وجل ولعله الاسم الأعظم ، وإليه تنسب الأسماء الحسنى ، (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) . أما الإله فهي كلمة عربية مشتقة ، وقد وردت الكلمتان في سياق واحد ، قال تعالى : " إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ " (طه : 98) ، فلو كانت (الله) متطورة عن (الإله) كما قالوا لاختلفت الكلمة الأولى . (هذا الكلام للدكتور عودة أبو عودة ، سمعته منه أثناء حديثنا في مكتبته داخل الجامعة) .

" الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ أَيْ مَالِكُهُ وَهُوَ الرَّبُّوبِيَّةُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَهُوَ رَبُّ الْأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ وَالْأَمْلَاكِ وَلَا يُقَالُ الرَّبُّ فِي غَيْرِ اللَّهِ إِلَّا بِالْإِضَافَةِ ... وَ الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْمَالِكِ وَالسَّيِّدِ وَالْمُدَبِّرِ وَالْمُرَبِّيِّ وَالْقَيِّمِ وَالْمُنْعَمِ " .¹

وقال ابن فارس : " (الراء والباء) في اللغة : يدلان على أصول منها : إصلاح الشيء والقيام عليه ، فالرب : المالك والخالق ، والصاحب . والرب : المصلح للشيء . يقال ربَّ فلانٌ ضيعته ؛ إذا قام على إصلاحها ، والله جلَّ ثناؤه الرب ؛ لأنه مصلح أحوال خلقه " .² ورب كل شيء مالكة³ ، يقول ابن الأثير : " الرب يطلق في اللغة على المالك ، والسيد ، والمدبر ، والمربي ، والقيم والمنعم "

4

" الرَّبُّ فِي الْأَصْلِ التَّرْبِيَّةُ وَهُوَ إِنْشَاءُ الشَّيْءِ حَالًا فَحَالًا إِلَى حَدِّ التَّمَامِ ، وَلَا يُقَالُ الرَّبُّ مُطْلَقًا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى الْمَتَكْفِلِ بِمُصْلِحَةِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَبِالْإِضَافَةِ يُقَالُ لَهُ وَلِغَيْرِهِ نَحْوُ قَوْلِهِ : " قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ " (الشعراء : 23) ، و " قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ " (الشعراء : 26) ، وجمع الرَّبِّ أَرْبَابٌ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَقِّ الرَّبِّ أَنْ يُجْمَعَ إِذْ كَانَ إِطْلَاقَهُ لَا يَتَنَاوَلُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى ، لَكِنْ أَتَى بِلَفْظِ الْجَمْعِ فِيهِ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادَاتِهِمْ لَا عَلَى مَا عَلَيْهِ ذَاتُ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ ، وَالرَّبُّ لَا يُقَالُ فِي التَّعَارُفِ إِلَّا فِي اللَّهِ ، وَجَمَعَهُ أَرْبَةً ، وَرَبُّوبٌ " .⁵

مما سبق يتبين لنا أنّ الرب معناه المربي لخلق بنعمه ، ومغذيهم برزقه ، تربية جسمية بالأرزاق والطعام والشراب ، وتربية قلبية روحية بالوحي والعلم النافع ، وإرسال الرسل ، تربية حسية وتربية معنوية ، فجميع المعاني التي دارت حولها كلمة الرب تدور حول المعاني الآتية : المربي ، المالك ، المصلح ، السيد ، كذلك نلاحظ أنّ كلمة (رب) لا تستخدم إلا عند إشعار الناس أنهم في حماية ربهم ورعايته وتوفيقيه ، ومثال ذلك قوله تعالى : " رب العالمين " .

أمّا الإله معناه المعبود ، والإلهية هي العبادة ، فمعنى الإله المعبود ، كذلك كلمة (الله) تستعمل في الأمور الأساسية لكل صفة من صفات الله في مكانها .

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ربب) .

² انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، 2 / 381 - 382 .

³ انظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (ربب) .

⁴ الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد ، (1979) . النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، (د.ط.) ، بيروت ، المكتبة العلمية ، 1 / 179 .

⁵ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (رب) .

قال تعالى : " إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (فصلت : 14) .

في الآية السابقة اجتمعت كلمتا (الله والرب) في الآية نفسها ، لكن عند تدبر هذه الآية نجد أنّ كلمة (الله) جاءت مع فعل العبادة ، وهذا من معاني الإله كما مرّ معنا سابقاً ، فالعبادة أقرب شيء لله ، لذلك ناسبها لفظ الجلالة الله .

أمّا قوله تعالى : " لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً " هي مسوقة في باب الهداية ؛ لأن التقدير : لو شاء هداية الخلق ودعوتهم كان أنزل ملائكة ، فالرب هو الهادي والموجه والمرشد لذلك ناسب أن يقول ربنا .

والذي يؤكد أنّ من معاني كلمة (الرب) الهادي والموجه والمرشد قوله تعالى : " قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ " (الأنعام : 161) ، وقوله تعالى : " قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٢٢﴾ " (الشعراء : 62) .

تكرر لفظ الجلالة (الله) ثلاث عشرة مرة في اثنتي عشرة آية في سورة فصلت ، وتكررت كلمة (الرب) اثنتي عشرة مرة في اثنتي عشرة آية في سورة فصلت ، فهل لهذا التكرار في عدد الآيات من دلالات معينة ؟

سورة فصلت من السور المكية التي نزلت في بداية الدعوة ، وللوقوف على دلالات ألفاظ القرآن الكريم لا بدّ من معرفة السياق العام للآية أو السورة ، وقد مرّ بنا سابقاً أنّ قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة ، وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق ، واستدلال عليها ، وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق ، ولأن من أهداف هذه السورة هداية عباد الله أولاً ، ومن ثمّ عبادته سبحانه وتعالى ، ولأن الهداية سبب في العبادة ، ولأن العبادة هي السبب الرئيسي لوجود العباد لقوله تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " (الذاريات : 56) ؛ لذلك نجد أنّ هذه السورة تكرر فيها لفظ الجلالة (الله) المعبود ، لأنّ العبادة هي الغاية الأولى ، ولأنّ القرآن الكريم في بدايات تنزله ، فلا بدّ من الهداية أولاً ؛ لذا نجد أنّ تكرار كلمة (الرب) الدالة على الهداية كان لزاماً حيث استمرت مع طول الفترة الزمنية التي استمر الرسول الكريم يدعو فيها عباد الله .

القضية الثانية : الترادف في سورة فصلت .

من القضايا اللغوية التي يرغب الباحث مناقشتها في هذا البحث، قضية الترادف في سورة فصلت ، فهي مسألة قديمة جديدة ، وقف عندها السلف موقفين متباينين . وقد ناقش أحمد بن فارس في كتابه (الصحابي) هذه المسألة بأسلوب علمي ، قال فيه أن لا ترادف في القرآن الكريم ، ومما جاء في كتابه الذي أفرد فيه فصلاً بعنوان (الأسماء وكيف تقع على المسميات) ، قال فيه : "يسمى الشئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس . وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو عين الماء وعين المال وعين السحاب ، ويسمى الشئ الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام . والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وما بعده من الألقاب صفات . ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى" ¹ .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة ، ننظر في استعمال الأفعال التالية : (عَمِلَ) و (فَعَلَ) و (صَنَعَ) في القرآن الكريم ، كي نقف على الفروق الدقيقة في الاستعمال بين هذه الأفعال ، والسبب في اختيار الأفعال السابقة ، هو أن الحق تبارك وتعالى قال في سورة فصلت : " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿٥٥﴾ "

(فصلت : 5) .

(عَمِلَ) :

ورد الفعل (عمل) وما يشتق منه في القرآن الكريم أربع عشرة مرة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى :

_____ " إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيْءَ مِنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ")

(البقرة : 62) .

¹ ابن فارس ، الصحابي ، ص 20 .

_____ " يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ " (النحل : 111) .

_____ " وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ " (آل عمران : 57) .

_____ " وَلَوْ طَآءَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَۃَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَآءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٤﴾ " (الأنبياء : 74) .

_____ " وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۗ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ " (فاطر : 37) .

وبتأمل جميع الآيات التي ورد فيها الفعل (عَمِلَ) ومشتقاته نلاحظ مايلي :

_____ وقع الفعل (عَمِلَ) مع الملائكة .

_____ وقع الفعل (عَمِلَ) مع الإنسان .

_____ وقع الفعل (عَمِلَ) مع الأنبياء والرسل .

_____ دارت دلالات كلمة العمل في الأعمال الصالحة والسيئة .

_____ العمل لا يكون إلا من الإنسان .

_____ العمل لا يكون إلا بقصد .

_____ كلمة عمل في اللغة تدل على الامتداد وتواصل الحدث ، وأصله في لغة العرب

المثابرة والتواصل ، لذلك يسمى الولاية (عمالاً) لأن في عملهم تدبير وامتداد في الزمن وتواصل .

وفي القرآن ما يؤيد هذا المعنى : قال تعالى : " يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ۗ إِنِّي بِمَا

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ " (المؤمنون : 51) .

قال أبو هلال العسكري : " وأما العمل فإنه لا يقال إلا لما كان من الحيوان دون ما كان من

الجماد ولما كان بقصد وعلم دون ما لم يكن عن قصد وعلم ، قال بعض الأدباء: العمل مقلوب عن

العلم ، فإن العلم فعل القلب ، والعمل فعل الجارحة ، وهو يبرز عن فعل القلب الذي هو العلم وينقلب عنه " 1 .

قال الراغب الأصفهاني : " لم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم البقر العوامل " 2 .
العمل هو: تحويل الفكرة إلى واقع يدرك بالحواس سماعاً أو إبصاراً أو لمساً؛ بغض النظر عن درجة إيمان الفاعل بما يقوم به ، لذا فالأقرب للعمل هو الأداء . 3 .
دلالة الماضي (عَمِلَ) في هذا المقام دلالة عظيمة جداً ، فقد أفادت تحقق عمل الصالحات عند مَنْ يدعو إلى الله — عز وجل — ، وهنا يجب التوقف لنسأل أنفسنا هل زمان هذا الفعل انتهى ذلك أنه مسوق في الرسل ؟ وهل الدعوة إلى الله — عز وجل — انتهت بانتهاء الرسل الكرام ؟ عند الإجابة عن هذين التساؤلين ، ندرك أن الدعوة إلى الله تعالى مستمرة ليوم الدين ، وأنّ دعاة اليوم عليهم أن يتصفوا بأخلاق الرسل الكرام وصفاتهم ، وأن تكون أعمالهم كلها صالحة لا يشوبها شائبة ، وأن تكون خالصة لوجهه تعالى ، ولو صنعوا ذلك لبدلوا كثيراً من أفعالهم وتصرفاتهم .

قال عبد العظيم المطعني : كل قول في الإسلام لا يراد بذاته ، بل لأنه منهج عمل ، وخطّة تطبيق ، اللهم إلا أساليب الدعاء فلا يراد منها إلا ذاتها لجلب نفع أو دفع ضرر . مع التذلل والخضوع إلى الله والتوكل عليه . ولهذا فإن القول الحسن في الإسلام وحده لا يكفي ، حتى يكون الداعية عاملاً بما يقول قدر طاقته .

ولهذا اشترط القرآن في الدعوة إلى الله أن يكون الداعية في نفسه ملتزماً ومذعناً للأوامر والنواهي . وإلا كان فتنة مدمرة ، وقدوة سيئة للناس 4 .

(فَعَلَ) :

ورد الفعل (فَعَلَ) وما يشتق منه في القرآن الكريم مئة وسبع مرات ، ومن هذه

الآيات قوله تعالى :

_____ " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ " (الفيل : 1) .

¹ العسكري ، الفروق اللغوية ، ص 356 .

² الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 361 .

³ سعد ، أحمد محمد ، (دبت) . مقال العمل في القرآن الكريم ، موقع نداء الإيمان ، ص 2 . www.al-eman.com

⁴ المطعني ، التفسير البلاغي للاستفهام ، ص 14 .

_____ " وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۚ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ " (يونس : 106) .

_____ " وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۗ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۗ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ " (الكهف : 82) .

_____ " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ " (آل عمران : 135) .

_____ " يَتَأَيُّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ " (التحریم : 6) .

قال الراغب الأصفهاني : " الفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة ، ولما كان بعلم أو غير علم وقصد أو غير قصد ، ولما كان من الإنسان والحيوان والجمادات " ¹ .
والعمل أخص من الفعل ؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد ، وقد ينسب إلى الجمادات ، والعمل قلما ينسب إلى ذلك ² .

الفعل هو : مرتبة أعلى وأرقى من العمل ؛ إذ إنه تحويل الفكرة واليقين إلى واقع ، بحيث يصير ذلك المعتقد سلوكاً للمرء يتجرد له ، ويلزمه عن محبة وإخلاص . ولذا قال ابن عطاء الله : " الأعمال صور قائمة ، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها " ³ . فالإخلاص هو الذي يحول تلك الصور إلى فعل ، ومن غير إخلاص وصدق محبة تبقى أشباحاً .

ومن هنا كان الكلام في حد ذاته عملاً ؛ إذ إنه تحويل الفكرة إلى صورة حسية ، يدركها المحيطون بالأذن ؛ ويرتفع إلى مرتبة الفعل إذا لازمه يقين راسخ . ويظل في إطار العمل الذي يؤخذ حجة على صاحبه ؛ إن لم يتوافر هذا اليقين المحرك للأداء .

¹ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (فعل) .

² انظر: المرجع السابق ، مادة (عمل) .

³ البوطي ، محمد سعيد رمضان ، (9 نيسان 2008) . شرح الحكم العطائية . (دبط) ، منتديات تونيزيا سات ، ص 3 . www. Tunisia- sat . com . ملاحظة : الحكم العطائية لابن عطاء السكندري (ت 709 هـ) .

ويتضح الفرق بين " العمل " و " الفعل " حين نقرأ قول النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم : " إن الله كتب الحسنات والسيئات : فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن همَّ بعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بعملها كتبها الله له سيئة واحدة " رواه مسلم ¹ .

فقد استخدم " عمل " دون " فعل " لأن عبداً كهذا لم يستكمل العزم واليقين والمحبة الصادقة لتلك الحسنة فلو استكملها لفعلها . فلما لم يستكملها ما استحق أن يرتفع إلى مرتبة الفعل ، وبقي مرتهاً في درجة العمل .

ومن رحمة الله ولطفه بعباده أنه يجبر الكسر، ويرفع تلك الأعمال التي اعتورها النقص والخلل ، وأقدها عن أن تبلغ درجة الفعل . فهو - سبحانه - يرفع العمل الذي توفرت له درجة من الصلاح ؛ لأنه دليل على حسن نية صاحبه واستعداده للسير إلى الله ² .

لذا يقول جل شأنه : " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠٤﴾ " (فاطر : 10) . إذ لا يمكن لكل واحد أن يرقى إلى مرتبة فعل الصالحات ؛ لما تحتاجه من طول تدريب ، وإقامة النفس على الخير حتى تصير الطاعة راحتها وروحها .

ومن جملة الحديث عن العمل والفعل نلاحظ أن القرآن يعبر عن الإرادة الإلهية " بالفعل " ؛ إذ إنها قد بلغت في الكمال منتهاه ، وفي التحقق أعلاه . فنقرأ قول الله : " وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . " (الأنبياء : 104) ، وقوله : " لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ " ، وقوله : " لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا " (الأنفال : 44) .

¹ ابن الحجاج ، مسلم ، (1999) . صحيح مسلم ، حقق أصوله وخرَّج أحاديثه على الكتب الستة ، الشيخ خليل مأمون شيحا ، (ط6) ، بيروت ، دار المعرفة ، باب : إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب ، 329/ 2 .

² الأرئوطني ، مهيب ، (2007/2/9) . مقال الفرق بين العمل والفعل ، موقع أهل القرآن .
www.ahl-quran.com/arabic/show_article.php?main_id=1098

ويؤكد القرآن أن العبادة عمل لا بد أن ينتهي بالمرء إلى فعلها سلوكاً ، فنتحول إلى خطى يسير بها على الأرض . فيقول تعالى : " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ " (الحج : 77) .

فهذه أعمال تنتهي بصاحبها الذي أدمنها ، وأدام فعلها إلى الفلاح . ففعل الخير هنا هو غاية العبادة ، حتى ينطبع أثرها على النفس ، وهو ما لا يكون إلا بطول مجاهدة وصبر ، عندئذ يرى العبد في الظلمة نوراً يهديه .

ومن الفروق الدقيقة التي يمكن ملاحظتها حول كلمة (فعل) أنها تدل على سرعة الحدث وظهور الأثر ومنه الانفعال والاستجابة السريعة ، وقوة التأثير . وفي القرآن الكريم ما يؤيد هذه المعاني ، منها قوله تعالى :

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ " (الفيل : 1) .

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ " (الفجر : 6) .

" وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ " (إبراهيم : 45) .

" كَذَلِكَ نَفَعُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ " (المرسلات : 18) .

(صَنَعَ) :

ورد الفعل (صَنَعَ) وما يشتق منه في القرآن الكريم عشرين مرة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى :

_____ " أَتَلُمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥٤﴾ " (العنكبوت : 45) .

_____ " وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ " (المائدة : 14).¹

قال الراغب الأصفهاني : " الصنع إجادة الفعل . فكل صنع فعل ، وليس كل فعل صنعا ، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل " ².

قال أبو هلال العسكري : " وأما الصنع فإنه من الإنسان دون سائر الحيوانات ، والصنع يكون بلا فكر لشرف فاعله ، والفعل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله . والعمل لا يكون إلا بفكر لتوسط فاعله ، فالصنع أخص المعاني الثلاثة ، والفعل أعمها ، والعمل أوسطها . فكل صنع عمل ، وليس كل عمل صنعا ، وكل عمل فعل ، وليس كل فعل عملاً . وفارسية هذه الألفاظ تنبئ عن الفرق بينهما ، فإنه يقال للفعل (كار) وللعمل (كردار) وللصنع (كيش) ³.

يلاحظ أيضاً أنّ الفعل (صَنَعَ) لا يكون إلا من الإنسان كما أقرّ العسكري ، على حين يكون الفعل (عَمِلَ) و (فَعَلَ) من الإنسان ومن الملائكة ومن الجن ومن غيرهم . من خلال الفروق الدقيقة السابقة ، بين الأفعال الثلاثة ، يتبين لنا بوجه جلي ، أنّك لا تستطيع استبدال كلمة بأخرى ، فالآية التي نحن بصددنا " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ " (فصلت : 5) . لا نستطيع استبدال أيّ فعل مكان فعل العمل ؛ ذلك أنّ المعنى المراد من هذا الفعل لا يؤدّيه فعل آخر ؛ لأنّ المعنى المنشود والكامن وراء هذه الآية ، هو شمولية وتوسع العمل في الخير ، بمعنى أنّ عمل الخير غير مرتبط ببطقة معينة من الناس ، فكل شخص يستطيع عمل الخير بصرف النظر عن وضعه الاجتماعي ، الغني بطرقه المختلفة ، والفقير لو تبسم بوجه جاره عمل خيراً ، فشمولية عمل الخير جاءت من التعميم على جنس البشر، ومن عدم تخصيص نوع العمل ، وهذا المعنى الشمولي ما كان ليكون في هذه الآية الكريمة لو استبدلنا أيّ فعل مكان فعل العمل .

القضية الثالثة : الفرق بين الإرادة والمشية .

¹ للوقوف على جميع الشواهد القرآنية انظر: عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (صنع) .
² الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن مادة (صنع) .
³ العسكري ، الفروق اللغوية ، ص 399 .

قال تعالى : " إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (فصلت : 14) .

وقال تعالى : " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ " (البقرة : 253) .

وقال تعالى : " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ " (الإسراء : 18) .

بالنظر في الآيات السابقة ، نلاحظ أنّ الحق سبحانه وتعالى قال في سورة فصلت : " لو شاء " ، ولم يقل : " لو أراد " ، وفي آيتي البقرة والإسراء ، جمع الله تعالى في الآية الواحدة بين الإرادة والمشية ، فهل يوجد فرق بين الإرادة والمشية ؟ أم هما بمعنى واحد ؟

في أثناء دراسة كتاب حجج القرآن لأبي الفضائل ، استوقف الباحث ما قاله من أن الإرادة والمشية واحد ، ثم ذكر نص الآيات التي وردت في القرآن الكريم لكل من فعلي الإرادة والمشية¹ ، وهذا يعني أن الترادف موجود في القرآن الكريم في نظره . ولكن كثيراً من الباحثين ينكرون وجود الترادف في القرآن ، ويبينون الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي تبدو متشابهة ، لذا لا بد من وجود فروق دقيقة بين اللفظين ، ولتوضيح ذلك أسجل مايلي :

قال ابن منظور : " الْمَشِيئَةُ الْإِرَادَةُ شَيْئٌ شَيْءٌ أَشْأَوْهُ شَيْئاً وَمَشِيئَةً وَمَشَاءَةً وَمَشَايَةً ، وَالاسْمُ الشَّيْئَةُ ، وَالْمَشِيئَةُ مَصْدَرٌ شَاءَ يَشَاءُ مَشِيئَةً ، وَقَالُوا كُلُّ شَيْءٍ بِشِيئَةِ اللَّهِ بِكسر الشين مثل شَيْعَةٍ أَيْ بِمَشِيئَتِهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَنْذِرُونَ وَتُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُمْ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ . وَشِئْتُ الشَّيْءَ أَشْأَوْهُ وَإِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَ قَوْلِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ وَمَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ تَفِيدُ الْجَمْعَ دُونَ التَّرْتِيبِ ، وَثُمَّ تَجْمَعُ وَتُرْتَّبُ فَمَعَ الْوَاوَ يَكُونُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنِهِ فِي الْمَشِيئَةِ ، وَمَعَ ثَمَّ يَكُونُ قَدْ قَدَّمَ مَشِيئَةَ اللَّهِ عَلَى مَشِيئَتِهِ وَالشَّيْءُ مَعْلُومٌ " ² .

¹ انظر الرازي ، أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار ، (د.ت) . حجج القرآن ، (د.ط) ، موقع شبكة دهشة ، ص 12 .

<http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=>

² ابن منظور ، لسان العرب مادة (شياً) .

المشيئة : الإرادة وأصلها الهمز ، تقول شاء الشيء يشاؤه مشيئةً وشيئاً ، ويجوز تليين همزته فتصير ياء ثم تدغم في الياء فتصير مشية بوزن برية¹ . أمّا الجوهري فقال : " الإرادة : المشيئة " ² . وقال الزبيدي : " أكثر المتكلمين لم يفرقوا بينهما ، وإن كانتا في الأصل مختلفتين ، فإن المشيئة في اللغة الإيجاد ، والإرادة طلبٌ " ³ . قيل الإرادة هي العزم على الفعل ، أو الترك بعد تصور الغاية المترتبة عليه من خير أو نفع ، أو لذة ، أو نحو ذلك .

وهي أخص من المشيئة ، لأن المشيئة ابتداء العزم على الفعل ، فنسبتها إلى الإرادة نسبة الضعف إلى القوة ، والظن إلى الجزم ، فإنك ربما شئت شيئاً ولا تريده لمانع عقلي أو شرعي . وأمّا الإرادة فمتى حصلت صدر الفعل لا محالة⁴ . قال الجرجاني : " الإرادة هي ما لا يتعلق دائماً إلا بالمعدوم ، فإنها صفة تخصص أمراً ما لحصوله ووجوده " ⁵ .

مشيئة الله عبارة عن التجلي الذاتي والعناية السابقة لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود ، وإرادته عبارة عن تجليه لإيجاد المعلوم ، فالمشيئة أعم من الإرادة⁶ . قال الشافعي : " أخبر الله في كتابه أن المشيئة له دون خلقه ، والمشيئة إرادة الله . يقول الله عز وجل _____ : " وما تشاؤون إلا أن يشاء الله " ، فأعلم خلقه أن المشيئة له " ⁷ . عن وهب بن منبه قال : قرأت نبيّاً وتسعين كتاباً من كتب الله ، منها سبعون ظاهرة في الكنائس ، ونيف وعشرون لا يعلمها إلا قليل من الناس ، ووجدت فيها كلمات من وكل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر⁸ .

جاء في الحديث الشريف : " من حلف على شيء فقال : إن شاء الله ، فقد استثنى " . يطلق على التقييد بالشرط في اللغة والاستعمال ، والاستثناء العرفي : هو حقيقة عرفية تطلق على (إن شاء الله) وإن كان مجازاً في الأصل ؛ لأنه شرط¹ .

¹ الحنبلي ، محمد بن أبي الفتح ، (1981) . المطلع على أبواب الفقه ، تحقيق : محمد بشير الأدلبي ، (د.ط) ، بيروت ، (د.ن) ، 1/ 340 .

² الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، (1979) . الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، (ط 2) ، بيروت ، دار العلم للملايين ، مادة (رود) .

³ الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني . تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج وآخرون ، الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، 1965 م ، مادة (شيئاً) .

⁴ العسكري ، الفروق اللغوية ، ص 64 .

⁵ الجرجاني ، التعريفات ، باب الألف .

⁶ المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، (1410 هـ) . التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، (ط 1) ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ، فصل الصاد 1/ 658 .

⁷ اللالكائي ، هبة الله بن الحسن بن منصور ، (1402 هـ) . اعتقاد أهل السنة ، تحقيق : أحمد سعد حمدان ، (د.ط) ، الرياض ، دار طيبة ، ، 4 / 153 .

⁸ المرجع السابق ، 4 / 154 .

دلت النصوص من الكتاب والسنة والإجماع على أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها ، وأن مشيئة الله عامة شاملة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة ، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقاً لما علمه منها بعلمه القديم ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ ، وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم ، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال باختيارهم ، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء إما بالمدح والمثوبة ، وإما بالذم والعقوبة . وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعل لا ينافي نسبتها إلى الله إيجاباً وخلقاً ؛ لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها ² .

قال الأصفهاني : " ... المشيئة في الأصل إيجاد الشيء وإصابته وإن كان قد يستعمل في التعارف موضع الإرادة ، فالمشيئة من الله تعالى هي الإيجاد ، ومن الناس هي الإصابة ، والمشيئة من الله تقتضي وجود الشيء ولذلك قيل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والإرادة منه لا تقتضي وجود المراد لا محالة ... ومن الفرق بينهما أن إرادة الإنسان قد تحصل من غير أن تتقدمها إرادة الله ، فإن الإنسان قد يريد أن يموت ويأبى الله ذلك ومشيئته لا تكون إلا بعد مشيئته لقوله : " وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ " (التكوير : 29) روي أنه لما نزل قوله : " لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ " (التكوير : 28) قال الكفار : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله تعالى : " وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ " ³

مما سبق يرى الباحث أن المشيئة تتعلق بعلم الله وحكمته ، والإرادة تتعلق في تحققه على خلقه .

قال عمر بن سليمان الأشقر : والمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة قدرية خلقية ، وإرادة دينية شرعية .

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة المحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات . فالإرادة الشرعية كقوله تعالى : " يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ " (البقرة: 185) ،

¹ أبو جيب ، سعدي ، (دب). القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ، (ط 2) ، دمشق ، دار الفكر ، 53/ 1 .

² اللالكاني ، اعتقاد أهل السنة ، 4 / 154 .

³ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (شيء) .

فهذا النوع من الإرادة لا تستلزم وقوع المراد ، إلا إذا تعلق به النوع الثاني من الإرادة ، وهذه الإرادة تدل دلالة واضحة على أنه لا يجب الذنوب والمعاصي والضلال والكفر ، ولا يأمر بها ولا يرضأها ، وإن كان شاءها خلقاً وإيجاداً . وأنه يجب ما يتعلق بالأمور الدينية ويرضأها ويثبت عليها أصحابها ، ويدخلهم الجنة ، وينصرهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وينصر بها العباد من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين . وهذه الإرادة تتناول جميع الطاعات حدثت أو لم تحدث. والإرادة الكونية القدرية هي الإرادة الشاملة لجميع الموجودات ، التي يقال فيها : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهذه الإرادة مثل قوله تعالى: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ

الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ (الأنعام:125) . وهذه الإرادة إرادة شاملة لا يخرج عنها أحد من الكائنات ، فكل الحوادث الكونية داخلية في مراد الله ومشيئته ، وهذه يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه ، وأهل طاعته الذين يحبهم ويحبونه ، ويصلي عليهم هو وملائكته ، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم اللاعنون . وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث منها.¹

القضية الرابعة : الفرق بين (خَلَقَ وَجَعَلَ) .

قال تعالى " قُلْ أَپنكُم لَتَكْفُرُونَ بِالذی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنٍ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِك رَّبُّ الْعَالَمِیْنَ ﴿٩﴾ " (فصلت : 9) .

وقال تعالى " وَجَعَلَ فِیهَا رَوَاسِیَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِیهَا وَقَدَّرَ فِیهَا أَقْوَامًا فِی أَرْبَعَةِ أیَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّآئِلِیْنَ ﴿١٠﴾ " (فصلت : 10) .

ابتدأ الحق سبحانه وتعالى الآية العاشرة من سورة فصلت بالفعل (جَعَلَ) ، والآية السابقة لهذه الآية بالفعل (خَلَقَ) ، فهل يوجد فرق في المعنى بين الفعلين ؟ للإجابة على هذا السؤال نسرد المعاني الآتية :

¹ الأشقر ، عمر بن سليمان ، (دب) . الإيمان بالقضاء والقدر ، (د.ط) ، منتدى أهل السنة ، ص 105 . <http://alsonaa.yoo7.com>

جعل : جعلَ لفظ عام في الأفعال كلها ، وهو أعم من فعلَ وصنع وسائر أخواتها ، ويتصرف على خمسة أوجه ، الأول : يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى نحو : جعل زيد يقول كذا .

الثاني : يجري مجرى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد نحو قوله تعالى : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّمُتِ وَالنُّورَ ^ط ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ " (الأنعام : 1) .

الثالث : في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه نحو : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ^ط أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَّتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ " (النحل : 72) .

الرابع : في تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو : " الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ^ط فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ " (البقرة : 22) .

والخامس : الحكم بالشيء على الشيء حقًا كان أو باطلاً نحو قوله تعالى : " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ^ط فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ^ط إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ " (القصص : 7) .¹

خَلَقَ : الخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء ؛ قال تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ " (البقرة : 164) ، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو : " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ^ط فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلٌ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ^ط فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا

¹ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 99 .

صَلِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ " (الأعراف : 189) ، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا الله تعالى ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره : " أَفَمَنْ تَخْلُقُ كَمَنْ لَا تَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ (النحل : 17) .¹

وبعد سرد هذه المعاني لكلا الفعلين ، التي تبرز الفروق الدقيقة في استعمال كل منهما ، نذكر قول ابن عاشور في هذا المقام الذي يجيب بدوره عن السؤال الذي طرحناه سابقاً .
قال ابن عاشور : "عطف على فعل الصلة لا على معمول الفعل ، فجملة (وجعل فيها رواسي) إلخ صلة ثانية في المعنى ، ولذلك جيء بفعل آخر غير فعل خلق لأن هذا الجعل تكوين آخر حصل بعد خلق الأرض ، وهو خلق أجزاء تتصل بها إما من جنسها كالجبال وإما من غير جنسها كالأقوات " .²
فالخلق الأصل من عند الله ، أمّا الجعل هو تصرف الله عز وجل في خلقه في كيف يكون الخلق وتصرفاتهم .

القضية الخامسة : الفرق في استخدام الريح والرياح في القرآن الكريم وفي سورة فصلت

قال تعالى : " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوتٍ لِنُنذِرَهُمْ عَذَابَ الْحَزَنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَحْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ " (فصلت : 16) .

من المباحث في دلالات الجموع ، تخصيص بعض الجموع الواردة في القرآن بدلالات مخصوصة ، ومنها قولهم : إن (الرياح) في القرآن ما جاء إلا في سياق الرحمة ، وأمّا (الريح) فللعذاب ، ذكر ذلك الحريري³ ، والزركشي⁴ ، والسيوطي⁵ ، ولم يشذ عن ذلك إلا في مواضع يسيرة

¹ المرجع السابق ، مادة (خلق) .

² ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 237 .

³ الحريري ، درة الغواص ، ص 120 .

⁴ الزركشي ، البرهان ، 4 / 13 .

⁵ السيوطي ، الإتيان ، 2 / 300 .

وقد جاء في معجم الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً : كان إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه ... وقال :
 " اللهم إني أسألك خير هذه الرياح ... اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً " ¹.
 وقد استدل الحريري ، والسيوطي بهذا الحديث ، على تخصيص المفرد بالعذاب والجمع
 بالرحمة.

لكن باستقراء جميع الآيات التي اشتملت على كلمة (الريح) في القرآن الكريم نجد أنها وردت
 تسع عشرة مرة ، وسيقت في العذاب تارة وأخرى في الرحمة ومن أمثلتها :

قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بِرِيحٍ
 طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ " (يونس : 22) .

وقوله تعالى : " أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم
 بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٦﴾ " (الإسراء : 69) .

وقوله تعالى : " فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ " (ص : 36) .

وقوله تعالى : " فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمَطَّرْنَا بَلْ هُوَ مَا
 اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ " (الأحقاف : 24) .

وقوله تعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ
 لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ " (ابراهيم : 18) .

من خلال الأمثلة السابقة نستطيع أن نخلص إلى الحقيقة التي تؤكد أن كلمة (الريح) لم تخصص
 في العذاب فقط ، ولا شك أن الأمثلة السابقة تبطل ما ذهبوا إليه من تخصيص المفرد بالعذاب ، وأما
 الحديث الذي استدلوا به فقد وصفه الألباني : بالنعارة والبطلان ².

أما كلمة (الرياح) فقد وردت في القرآن الكريم عشر مرات وخصت بالرحمة ، ومن أمثلتها
 :

¹ الطبراني ، المعجم الكبير ، 213/ 11 .
² الألباني : محمد ناصر الدين ، (2000) . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (ط1) ، الرياض ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، 221/ 12 .

قوله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ^ط حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَدَائِمْ مَوْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ^ج كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ " (الأعراف : 57) .

فالصواب أنّ المحدد لدلالة صيغة المفرد (الريح) هو السياق الواردة فيه ، وما ذكر من التخصيص لا دليل عليه ، بل هو معارض بالقراءات المتواترة ، أمّا تخصيص دلالة الجمع (الرياح) بالخير فهذا لا شكّ فيه ، بدليل الأمثلة السابقة وباقي الشواهد القرآنية التي تثبت فيها هذه الحقيقة . ويمكن أن نسجل ملاحظة عامة هي أنّ (الريح) استعملت في القرآن الكريم للدلالة على العذاب والدمار بشكل عام .

وأما ما ورد من الآيات القليلة التي توحى فيها دلالة الكلمة بغير ذلك ، فيمكن حملها على أنّ (الريح) فيها وردت بمعنى الرائحة ، وهذا أمر وارد في معاجم اللغة .

وفي آيات أخرى وصفت الريح بأنها طيبة كقوله تعالى : " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ^ط حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمِّ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ^د دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَجَبْنَا مِنْ هَدِيهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ " (يونس : 22) ، دلالة على أنها إن لم تقيد بوصف فإنها على حقيقة دلالتها في السياق القرآني بأنها للغضب .

وفي آية أخرى وصفت (الريح) بأنها " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ " (ص : 36) ، وهذا أيضاً يدل على أنها صارت رخاء بأمر سليمان ——— عليه السلام الذي جعل الله عز وجل له ملك الأرض يحكم فيها كما يشاء .

المبحث الرابع

بعض القضايا النحوية ودلالاتها

القضية الأولى : إعراب الحروف المقطّعة ودلالاتها

القضية الثانية : البناء للمجهول في سورة فصلت .

القضية الثالثة : القول في " غير " .

القضية الرابعة : أسلوب الحصر في سورة فصلت .

القضية الأولى : إعراب الحروف المقطعة .

تزخر سورة فصلت بالعديد من القضايا النحوية التي تحتاج إلى تسليط الضوء عليها ، ومن هذه القضايا إعراب الحروف المقطعة كون هذه السورة افتتحت بها ، فهل هي حروف فعلاً ؟ أم أسماء ؟ وما إعرابها ودلالاتها في كلتا الحالتين ؟

قال ابن هشام : "وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفرداً أو مركباً ، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه" .¹ وقد تباينت آراء العلماء في إعراب الفواتح القرآنية ، فمنهم من ذهب إلى أن الفواتح تعرب مبتدأ ، وذهب آخرون إلى أنها خبر ، وغيرهم إلى أنها مفاعيل لأفعال محذوفة ، أو حروف للقسم أو الحكاية .

وهذه بعض آراء النحاة على اختلاف مدارسهم النحوية تعرض بشيء من التفصيل .
تحدث سيويوه عن الفواتح في باب مستقل سماه " باب فواتح السور " فقال : " أمّا (حم) فلا ينصرف جعلته اسماً للسورة أو أضفته إليه ، لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي نحو : هابيل وقابيل ، قال الشاعر (وهو الكميت) :²

(الطويل)

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً
تَأْوَلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرَبٌ³

وقال الحماني :⁴

(الرجز)

أَوْ كُتِبَ بَيْنَ مَنْ حَامِيمًا
قَدْ عَلِمَتْ أَبْنَاءُ إِبْرَاهِيمَا⁵

وقد نقل رأي سيويوه أبو جعفر النحاس ، قال : " مذهب سيويوه في " ألم " وما أشبهها أنها لم تعرب وأنها بمنزلة حروف التهجي فهي محكية ، فلو أعربت ذهب معنى الحكاية " .⁶

¹ ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله ، (2005) . مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (دط) ، القاهرة ، دار الطلائع ، 582/ 2 .

² الكميت بن زيد الأسدي (60 هـ — 126 هـ) ، شاعر عربي من شعراء العصر الأموي ، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع .

³ الأسدي ، الكميت بن زيد ، (2000) . ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وشرح وتحقيق : محمد نبيل طريفي ، (ط 1) ، بيروت ، دار صادر ، ص 33 .

⁴ نباتة بن عبدالله الحماني من بني شيبان (ت 225 هـ) ، وهو من شعراء الدولة العباسية .

⁵ سيويوه ، الكتاب 284/3 .

⁶ انظر : الدجني ، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ، ص 232

أما المبرد فلم يفصح عنها إذ اكتفى بالقول : " وأما فواتح السور فعلى الوقف لأنها حروف متقطعة " ¹

أما الكسائي والفراء فقد عاها خبراً لمبتدأ محذوف طبقاً لتقدير العرب ، إلا أن الفراء أجاز أن تكون مبتدأ .

وروى النحاس (ت 338 هـ) ، أنها لم تعرب لأنك لم ترد أن تخبر عنها بشيء ² .
ومن النحاة المتأخرين عبد الرحمن الأنباري (ت 577 هـ) ، الذي قال إنها أحرف مقطعة مبنية غير معربة ³ .

أما أبو البقاء العكبري (ت616هـ) فيقول في الفواتح : " هذه الحروف المقطعة كل واحد منها اسم ، والدليل على أنها أسماء أن كلاً منها يدل على معنى في نفسه وهي مبنية ؛ لأنك لا تريد أن تخبر عنها بشيء وإنما يحكي بها ألفاظ الحروف ، فهي كالأصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب ، أما الإعراب ففيه ثلاثة أوجه :

الأول : الجر على القسم وحرف القسم محذوف وبقي عمله بعد الحذف لأنه مراد ، فهو كالمفوظ به كما قالوا : " الله ليفعلن في لغة من جر " .

الثاني : موضعها النصب ، إما على تقدير حذف القسم كما تقول : الله لأفعلن والناصب فعل محذوف تقديره " التزمت الله ، أي اليمين به " . وإما مفعول به تقديره ائل (حم) .

الثالث : موضعها رفع بأنها مبتدأ وما بعدها خبر " ⁴ .

أما الزمخشري (ت 538هـ) فقد قال : قيل إنها أسماء كما يقال واحد اثنان ثلاثة ، وقال ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها ، ثم تابع كلامه ليقول : إن العرب اختلفوا فيها أهي معربة أم مبنية ، وقيل : إن سكونها على الوقف ، وقال : وقيل للقسم إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما ، وتساعل هل لهذه الفواتح محل من الإعراب ؟ قلت نعم لها محل من فيمن جعلها أسماء للسور ؛ لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام .

فإن قلت : ما محلها ؟ قلت : يحتمل الأوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء وإما النصب والجر ¹ .

¹ المبرد ، المقتضب 3 / 355 .

² النحاس ، إعراب القرآن ، ص 32 .

³ ابن الأنباري ، البيان في غريب إعراب القرآن ، 1 / 43 .

⁴ العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ، 1 / 10 .

نعم هي أسماء مسمياتها ، وأما القول إنها حروف فهذا من باب المجاز ، فنحن لا ننطق حرفاً وإنما ننطق كلمة ، والتغيم الصوتي في النطق مرتبط بالمستوى النحوي ولا بد أن يكون له دلالة واضحة في الإعراب ، فكيفية النطق وارتفاع النبرة الصوتية ، وتوظيف المقام ، والنظر لما بعدها ، يوحى بالرفع إجلالاً وإكراماً .

وأود أن أقول هنا : إن البحث في هذه الحروف المقطعة في أوائل السور ، ومنها (ح م) مازال بكرةً . وإن هناك أسئلة كثيرة يمكن أن تكون مجالاً للبحث والدراسة ، منها :

_____ ما صلة هذه الحروف بالسورة التي وردت في بداياتها ؟

_____ لماذا ذكرت هذه الحروف دون غيرها من حروف العربية ؟

_____ لماذا كان يذكر (الكتاب) غالباً بعد حروف (ال م) و (ح م) ، ويذكر (القرآن) بعد الحروف المفردة ، مثل : (ص) و (ق) وبعد حرفين ، مثل : (ط ه) و (ي س) .

_____ لماذا ذكر حرف واحد في بداية بعض السور ، وحرفان في سور أخرى ، وثلاثة

حروف في غيرها ، وأربعة حروف ، وخمسة حروف ؟

_____ هل لهذه الحروف علاقة بأعداد الآيات في السور التي ترد فيها ، أو بمضمون هذه السورة ؟

إنني أطرح هذه الأسئلة ، وأنا على يقين من أن الأيام القادمة ، ووسائل العلم المتطورة ، والبحوث المستمرة ستجيب عنها وعن غيرها ، ضمن الحقيقة المقررة بأن الله عز وجل لم يذكر في القرآن الكريم شيئاً إلا قدر أن الإنسان قادر بعون الله على الوصول إلى فهمه وتفسيره والإفادة منه .

القضية الثانية : البناء للمجهول في سورة فصلت .

يرى البلاغيون أن لحذف الفاعل دواعي لفظية وأخرى معنوية ، فمن الأولى : القصد إلى الإيجاز في العبارة كقوله تعالى : " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ " (النحل : 126) ومنها المحافظة على السجع في الكلام المنثور نحو قولهم : من طابت سريرته حمِدَتْ سيرته إذ لو قيل : حمد الناسُ

¹ الزمخشري ، الكشاف بتصرف 1 / 41.

سيرته لاختلاف إعراب الفاصلتين (سريرته وسيرته)¹ ، ومن الدواعي المعنوية أن يكون الفاعل معلوماً للمخاطب لا يحتاج إلى ذكره .²

1- بناء الفعل (فُصِّلَ) للمجهول في قوله تعالى : " كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ " (فصلت : 3) .

ولمعرفة دلالة تعبير الفعل المبني للمجهول " فصلت " لا بدّ من الربط في العلاقة بين النص القرآني وسياق حال العرب وقت نزول هذا النص القرآني ، فقد نزلت سورة فصلت في بدايات الدعوة ، وحال المشركين هو التشكيك والتكذيب للقرآن ومضمونه ، لذا نأى وترفع الخالق سبحانه وتعالى أن يذكر اسمه في مقام شك وتكذيب .

قال الشنقيطي (ت 1393هـ) : المسوغ لحذف الفاعل في قوله تعالى : " فصلت آياته " هو العلم بأن تفصيل آيات هذا القرآن ، لا يكون إلا من الله وحده ، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تفصيل آيات هذا الكتاب ، جاء موضحاً في آيات أخر ، مبيناً فيها أن الله فصله على علم منه وأن الذي فصله حكيم خبير ، وأنه فصله ليهدي به الناس ويرحمهم ، وأن تفصيله شامل لكل شيء³ .

هذا من جهة ، ولعل علماءنا الأوائل ، الذين لم تكن وسائل العلم الحديثة ، ووسائل الاتصال قد انكشفت لهم ، حسبهم هذا التفسير الجيد الذي توصلوا إليه ، ولكننا في العصر الحاضر يجب أن ننظر إلى الأمر نظرة علمية أوسع ، ولنا أن نتساءل عن دلالة (الكتاب) ودلالة (القرآن) في هذه الآية الكريمة ، بل وفي كل الآيات الكريمة التي جمعت بينهما في سياق واحد . كقوله تعالى في أول سورة الحجر " الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠١﴾ " ، وقوله تعالى في أول سورة النمل " طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١٠١﴾ " ، وفي سورة الواقعة ، " إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿١٠١﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿١٠١﴾ " . والحق إن هذه المسألة تحتاج إلى بحث كبير مستقل .

ويرى الباحث هنا _____ بعجالة _____ إن الكتاب هو كتاب الله الخالد ، كتاب الله الأم ، الذي سماه (أم الكتاب) ومنه تفرعت الكتب السماوية على رسل الله عز وجل ، تحمل شرائعه لهؤلاء الأقسام في عصورهم المتعاقبة ، وشاعت حكمة الله عز وجل أن يتنزل كتاب أمة محمد _____

¹ عتيق ، عبد العزيز (1985) . علم المعاني ، (دب) ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ص 137 .

² المرجع السابق ، ص 138 .

³ الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، 3/7 .

صلى الله عليه وسلم — على صورة قرآن يتلى على الناس ترتيباً محددًا كما قرأه جبريل عليه السلام ، هذا (القرآن) هو معجزة محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي نزل يفصل آيات كتاب الله كما هي في كتاب الله المكنون ، ولذلك بني الفعل للمجهول ، لأنه أجل وأسمى من أن يذكر ، وحتى يثير التساؤل في الناس إلى يوم الدين ما الكتاب وما القرآن ؟¹

2 — بناء الفعل (رُجِعْتُ) للمجهول في قوله تعالى : " وَلَئِن رُّجِعْتَ إِلَىٰ رَبِّيٰ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ " (فصلت : 50) .

فما الحكمة في قول الحق سبحانه وتعالى : " وَلَئِن رُّجِعْتُ " ولم يقل : " وَلَئِن رَجَعْتُ " ؟ بالرجوع إلى سياق الآية الكريمة نجد أن المشركين لا يؤمنون بالبعث والنشور ويشككون فيه ، هذا من جانب ومن جانب آخر لو قال الحق : " وَلَئِن رَجَعْتُ " لأفاد ذلك أن عملية الرجوع إلى الله ، — وهي لا تتم إلا بعد الوفاة — بيد البشر يتحكمون بها وقتما شاؤوا كأن وقت الرجوع والقيام به بأيديهم ، وهذا هو المعنى الذي يفيد الفعل (رَجَعَ) المبني للمعلوم ، ومن أجل دفع هذا الفهم جيء بالفعل على صيغة المبني للمجهول ، ليؤكد الحق هذه الحقيقة وهي أن الموت والحياة بيده سبحانه وتعالى ، فقد وافق الحذف اللفظي في هذه الآية الحذف المعنوي ، وهذا هو الإعجاز البياني بعينه . وهذا المعنى الجليل لبناء الفعل للمجهول في هذه الآية يذكر أيضاً بالفعل (رددت) مبنياً للمجهول في قوله تعالى في سورة الكهف : " وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ " (الكهف : 36) .

القضية الثالثة : القول في " غير " .

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ " (فصلت : 8) ، وقال تعالى : " فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً " (فصلت : 15) .

¹ أنظر أبو عودة ، عودة خليل ، (1998) . بحث الكتاب والقرآن دراسة دلالية في السياق القرآني ، في : جمال ، أبو حسان ، (محرر) ، دراسات إسلامية وعربية ، (ط1) ، الأردن ، دار الرازي ، ص72 .

وردت كلمة " غير " في القرآن الكريم مئة وثلاثاً وأربعين مرة¹ ، وهي اسم ملازم للإضافة في المعنى² ، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ " (الفاتحة : 7) ، قال ابن هشام " ويجوز أن يُقَطَّعَ عنها لفظاً إن فهم معناه وتقدّمت عليها كلمة ليس ، وقولهم " لا غير " لحن ، ويقال " قَبَضْتُ عَشْرَةَ لَيْسَ غَيْرُهَا " برفع غير على حذف الخبر ، أي مقبوضاً ، وبنصبها على إضمار الاسم ، أي ليس المقبوض غيرها ، و " لَيْسَ غَيْرَ " بالفتح من غير تنوين على إضمار الاسم أيضاً وحذف المضاف إليه لفظاً وعلى نية ثبوته كقراءة بعضهم " لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ " (الروم : 4) بالكسر من غير تنوين ، أي من قبل الغلب ومن بعده ، و " لَيْسَ غَيْرُ " بالضم من غير تنوين .³ قال المبرد والمتأخرون : إنها ضمة بناء ، لا إعراب ، وإن غير شبهت بالغايات كقَبْلُ وبعد ، فعلى هذا يحتمل أن يكون اسماً وأن يكون خبراً ، وقال الأخفش : ضمة إعراب لا بناء ، لأنه ليس باسم زمان كقَبْلُ وبعد ولا مكان كفَوْقُ وتَحْتُ ، وإنما هو بمنزلة كل وبعض ، وعلى هذا فهو الاسم ، وحذِفَ الخبر " 4 ، وقال محمود صافي : " (غير) اسم مفرد مذكر دائماً ، قد يكون نعتاً وقد يكون استثناء .. فإذا أُريدَ به مؤنث جاز تأنيث فعله المسند إليه . تقول : قامت غير هند وتعني بذلك امرأة .. وهو ملازم للإضافة لفظاً وتقديراً . فإدخال الألف واللام عليه خطأ " 5

ولا تتعرف (غير) بالإضافة لشدة إبهامها ، وتستعمل (غيرُ) المضافة لفظاً على وجهين :

أحدهما : أن تكون صفة للنكرة نحو " وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ " (فاطر : 37) أو لمعرفة قريبة منها نحو " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ " (الفاتحة : 7) ؛ لأن المعرفَ الجنسي قريبٌ من النكرة ، ولأنَّ غيرَ إذا وقعت بين ضدين ضعُفَ إبهامها .

والثاني : أن تكون استثناء ، فتعرب بإعراب الاسم التالي " إلا " في ذلك الكلام ، فنقول " جاء القومُ غيرَ زيدٍ " بالنصب ، وقال تعالى : " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرْرِ

¹ انظر: عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص 508 - 509 .

² صافي ، محمود ، (1991) . الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، (ط 1) ، دمشق ، دار الرشيد ، 29 / 1 .

³ ابن هشام ، مغني اللبيب ، 1 / 176 .

⁴ عن المرجع السابق ، 1 / 176 - 177 .

⁵ صافي ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، 29 / 1 .

وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ " (النساء : 95) يقرأ برفع غير : إما على أنه صفة لـ " القاعدون " لأنهم جنس ، وإما على أنه استثناء¹.

قال الراغب : " غيرُ يُقال على أوجهٍ : الأول : أن تكون للنفي المجرد من غير إثبات معنى به نحو : مررت برجل غير قائم أي لا قائم . الثاني : بمعنى إلا فيستنثى به ، وتوصف به النكرة نحو : مررت بقوم غير زيدٍ أي إلا زيداً . الثالث : لنفي صورة من غير مادتها نحو : الماء إذا كان حاراً غيرُهُ إذا كان بارداً . الرابع : أن يكون ذلك متولواً لذاتٍ نحو : " الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ " (الأنعام : 93) أي الباطل². وهذا الوجه الأخير ينطبق على قوله تعالى : " فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ " (فصلت : 15) .

يفهم من خلال الآراء السابقة أن غير عند علماء العربية بمعنى سوى ، وهي كلمة يوصف بها ويستثنى ، هذا ما صرح به ابن منظور³ ، وعند النظر في الآيات التي وردت فيها كلمة (غير) ، نجد أن استخدام هذه الكلمة في الوصف جاء بكثرة ، ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى : " فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَكْدُوبٍ ﴿١٥﴾ " (هود : 65) وقوله تعالى : " مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ " (النساء : 12) .

أمّا قولهم إنّ (غير) بمعنى (سوى) فالقرآن الكريم لم يأت به من هذا القبيل أبداً ، ولو أننا استبدلنا كلمة (غير) بـ (سوى) في أية آية وردت في القرآن الكريم ، لما استقام المعنى المطلوب ، ولشعرت الأذن بخلل معين مجرد سماع الآية ، ومن جانب آخر فإن الباحث يرى أن استعمال غير في القرآن الكريم له دلالات جديدة (جمالية) اختص بها كتاب الله عز وجل ، من هذه الدلالات :

¹ ابن هشام ، مغني اللبيب ، 1 / 177 .
² الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ص 382 .
³ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غير) .

_____ الدلالة على صلاح وإصلاح ومنفعة . مثال ذلك : قوله تعالى : " وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (القلم : 3) .

_____ الدلالة على اختلاف شيئين ، والتحول والتبدل من حال إلى حال . مثال ذلك : قوله تعالى : " وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ " (النساء : 115) وقوله تعالى : " وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرِ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ " (فاطر : 37) .

أخيراً يرغب الباحث بالوقوف عند الاستعمال الدارج في العصر الحديث لكلمة " غير " ، فكثيراً ما نسمع العبارة التالية " تأمين ضدّ الغير " أو ما درجت العادة عند الكثيرين الكتابة على أوراق الشيك البنكي منها " مبلغ وقدره ألف دينار لا غير " ، فهل هذا الاستعمال لهذه الكلمة بهذه الطريقة يعدُّ لحناً وخطأً شائعاً كما بينه علماءنا ؟ .

يرى الباحث أنّ مثل هذا الاستعمال لا يعدُّ من اللحن ؛ ذلك أنّ القوانين التي وُضعت من قبل العلماء قديماً وتتعلق بهذه الكلمة تتماشى ولغة عصرهم العالية ، فقد تحدث بها غالبية العرب ، لكن مع مرور الزمن تطورت اللغة وتعددت اللهجات ، ممّا أدى إلى استحسان بعض الألفاظ والتراكيب اللغوية لدى أبناء هذه اللغة ، وهذا الاستحسان إنّ لم يخرج عن القواعد الأساسية للغة العربية فلا ضير في ذلك ، شريطة ألا يشمل هذا صفة المتحدثين باللغة العربية ، وأرجو أن لا يفهم من هذا الحديث أنّ الباحث يدعو إلى استخدام اللغة العامية ، فالباحث ضدّ هذه الفكرة ، إلّا أنّه في الوقت ذاته لا يرغب في تنفير أبناء العربية من لغتهم بسبب استعمالهم للفظٍ بطريقة غير طريقة أهل اللغة العالية ، ولا يمسُّ القواعد الأساسية للغة العربية ، فالفاعل مرفوعٌ قديماً وحديثاً عند النخبة والعامية .

القضية الرابعة : أسلوب الحصر في سورة فصّلت .

دراسة النص القرآني منهج سديد ، يساعد على فهم النص في مستوياته اللغوية المتعددة التي ترشد إلى فهم المتكلم ومقاصده العليا بقرائن نصية ولفظية .

أسلوب الحصر _____ كما يسميه النحاة _____ أو أسلوب القصر _____ كما يسميه البلاغيون _____ ، مصطلحان يحملان معنىً واحداً ، على الرغم من أنهما جاءا من جذرين لغويين مختلفين ، وللحصر أدوات وأساليب من أهمها : " إنما " و " النفي والاستثناء " ، وستقتصر الدراسة على هذين الأسلوبين ؛ لأن الأمثلة التي ستدرس من سورة فصلت ، لا تخرج عن هذين الأسلوبين .

_____ قال تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ " (فصلت : 6) .

_____ وقال تعالى : " إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (فصلت : 14) .

بالنظر في هاتين الآيتين نجد أن أسلوب الحصر جاء في قوله تعالى :

_____ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ .

_____ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ .

_____ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ .

سندرس _____ إذا _____ ، كل مثال على حدة ، كي تتبين دلالة هذا الأسلوب وبلاغته في النص القرآني .

المثال الأول : قوله تعالى : " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ " .

من خلال التأمل في الآية السابقة ، يتبادر إلى ذهن الباحث عدة أسئلة بحاجة للإجابة عنها ، من هذه الأسئلة : ما الحكمة في استخدام الحق سبحانه وتعالى أسلوب الحصر بـ " إنما " في الآية و أسلوب الحصر بـ " النفي والاستثناء " في الآية الأخرى ؟ هل تختلف الدلالة البلاغية لكل من الأسلوبين ؟ هل يوجد فرق بين قوله تعالى : " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ " ، و (ما أنا إلا بشر مثلكم) ؟ وهل نستطيع إسقاط إن في هذا المقام دون أن يختل المعنى ؟ وما الفرق بين " إنما " و " ما " و " إلا " ؟

قال عبد القاهر الجرجاني : " واعلم أنّ مما أغمضَ الطريقَ إلى ما نحن بصدده ، أنّ هاهنا فروقاً خفيّةً تجهلها العامة وكثير من الخاصّة ، ليس أنهم يجهلونّها في موضعٍ ويعرفونها في آخر ، بل لا يدرون أنّها هي ، ولا يعلمونها في جملةٍ ولا تفصيل " ¹.

ويتابع قائلاً : "... لا بدّ من (إنّ) ولا سبيل إلى إسقاطها ، لأنّك إن أسقطتها أفضى ذلك بك إلى شيءٍ شنيع ... وعَدِمْتَ منه الحُسْنَ والطلاوة والتمكّن الذي أنت واجده ، ووجدت ضعفاً وفتوراً " ².

قال الشيخ أبو علي الفارسي في " الشيرازيات " : "... إنّما تأتي إثباتاً لما يُذكر بعدها ، ونفيّاً لما سواه " ³.

والذي يُفهمُ من كلامه ، أنّ المقام الذي تدخله "إنّما" ، لا بدّ أن يكون مقام شكٍ يحتاج إلى التأكيد ، وهذا القول عارضه عبد القاهر الجرجاني ، فقال : "اعلم أنّ موضوع "إنّما" على أن تجيء لخبرٍ لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ، ... ، وتفسير ذلك أنك تقول للرجل : "إنّما هو أخوك" ، ... ، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويقر به ، إلا أنّك تريد أن تتبّه للذي يجب عليه من حق الأخ ، ومثله قول المتنبي :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ ، وَالْأَبُ الْقَا
طَعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ ⁴

لم يُردْ أنّ يُعلمَ كافوراً أنّه والد ، ولا ذلك مما يحتاج كافر فيه إلى الإعلام ، ولكنّه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبيّن عليه استدعاء ما يوجب كونه بمنزلة الوالد ، ... ، وقد جيء بـ "إنّما" في قوله تعالى : "إنّما أنا بشر مثلكم" لأنه ابتداء كلام قد أمر النبيّ — صلى الله عليه وسلم — بأن يُبلّغه إياهم ويقوله معهم ، وليس هو جواباً لكلام سابق " ⁵.

فأَيّ الرأيين أصوب ! وأين يقف الباحث من ذلك ؟

كلا الرأيين صائب ، ولا خلاف بينهما ؛ ذلك أن الطبقة المسيطرة مالياً وسياسياً وعسكرياً ، لا تجد في الرسالة ما يحقق مصلحتها ، ويحفظ امتيازاتها ، بل تجد فيها ضد ذلك ، ولذلك فإنّها تقف منها موقفاً معارضاً ، لتقييد حريتها ، وإسقاط مواقعها ، وإرباك شؤونها ، وهي تعمل — في الوقت نفسه — على حشد الجماهير المستضعفة ضدها ، باستغلال حاجة تلك الجماهير إليها ، والضغط

¹ الجرجاني ، دلالات الإعجاز ، ص 315 .

² المصدر السابق ، يتصرف ص ص 319-321 .

³ نقلاً عن المصدر السابق ، ص 328 .

⁴ المتنبي ، أحمد بن الحسين بن الحسن ، (1992) . شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري ، تحقيق ودراسة : عبد المجيد ذياب ، (ط 2) ، القاهرة ، دار

المعارف ، 4 / 94 .

⁵ الجرجاني ، دلالات الإعجاز ، يتصرف ص ص 330-333 .

من مواقع القوة عليها، كي تقف ضد قوى التغيير، تحت تأثير شعارات خادعة وكلمات مضلّة، بحيث تقود هذه الجماهير ضد مصلحة نفسها على أكثر من صعيد، غفلةً منها عن الحقيقة، فالطبقة المسيطرة تعلم علم اليقين أنّ الرسول الكريم صادق بما جاء وما يقول؛ ذلك أنّها تعلم صدقه وسيرته العطرة قبل البعث، إلا أنّ المصالح الشخصية كانت الدافع وراء خلق جوٍ من التشكيك والتكذيب لما جاء به الرسول الكريم، فخير الرسول الكريم وما جاء به لا تجهله الطبقة المسيطرة ولا تكذبه في قرارة نفسها، وهذا يؤيد ما جاء به عبد القاهر الجرجاني، إلا أنّ هذه الطبقة حولت المقام إلى مقام شكٍ وتكذيبٍ؛ كي لا تنفذ دعوة الرسول الكريم إلى قلوب المستضعفين من المشركين، وهذا يؤيد ما جاء به أبو علي الفارسي، فالمقام مقام شكٍ وتكذيبٍ بالنسبة لطبقة غير قليلة، لذا تطلّب الأمر الإثبات، ونفي ما سواه¹.

كذلك (إنما) في الآية موضع الدراسة، تفيد التعريض بهؤلاء الذين لا يستجيبون، ولا يتذكرون، ولا يستفيدون من دعوة الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — من الفروق الدقيقة التي تحدث عنها البلاغيون العرب، بين أسلوب الحصر بـ (إنما) و أسلوب الحصر بـ (النفي والاستثناء) ما يلي:

_____ إذا كان الحصر أو القصر بـ (إنما) فإنه يليها المقصور.

_____ إذا كان بـ (ما) و (إلا) يكون المقصور عليه بعد (إلا) غالباً.

_____ الحصر أو القصر بـ (إنما) يأتي النفي فيه دفعة واحدة، وهنا تبرز نكتة بلاغية جميلة في قوله تعالى: " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ "، فالله عز وجل أراد أن ينفي جميع التهم التي اتهم بها الرسول الكريم من قبل رجالات قريش، الذين تضاربت مصالحهم الشخصية ودعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم — لذا اتهموه بالسحر والجنون، وأنه ليس ببشر من جنسهم.

_____ الحصر أو القصر بـ (إنما) يستعمل في الشيء الذي لا يجله المخاطب ولا ينكره²، وكما قلت سابقاً فإن رجالات قريش يعلمون علم اليقين أنّ سيدنا محمداً — صلى الله عليه وسلم — بشر مثلهم، لذا ناسب في هذا المقام التعبير بـ (إنما)؛ لأن التعبير عن الحصر أو القصر بـ (ما) و (إلا) لا يقال إلا في الشيء الذي يجله المخاطب وينكره، وهذا لا يتماشى والموقف الذي سيقت فيه هذه الآية.

¹ للوقوف على قضية الخلاف بين الشيعين، ومعرفة الكثير من تفاصيل هذه المسألة الدقيقة، انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 315-354
² للتعرف على أسلوب الحصر أو القصر بشيء من التفصيل، انظر: عباس، البلاغة فنونها وأفانها، ص 371-394، الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 147-162.

أخيراً نلاحظ الدلالة والفائدة البلاغية التي أفادها أسلوب الحصر بـ (إنما) ، في الآية الكريمة موضع الدراسة ، فمن جهة أراد أن ينبه المخاطبين إلى قضية حريّ بهم ألا يغفلوا عنها ، وهي أهمية الدعوة التي يدعوهم إليها سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ، ومن جهة أخرى تنفي كل التهم التي وجهت إلى شخص الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، وهذا النفي جاء من خلال قصر الرسول الكريم على البشرية دون سواها .

المثال الثاني : قوله تعالى : " أَنْمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ " .

نلاحظ أن المثال الأول والثاني جاءا في الآية نفسها ، وهذا له دلالة عظيمة ، فالتشكيك من رجالات قريش لم ينل شخص الرسول الكريم وحده ، بل تعداه إلى الإشراف بالله عز وجل ، وذلك من خلال عبادة آلهة غير الله عز وجل ؛ لذا جاء التعبير بالحصر من خلال استخدام (أنما) لينفي ويدحض دفعة واحدة ، كل الآلهة التي كان يعبدها المشركون ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لقصر الألوهية على الله عز وجل . ولو حاولنا استخدام أسلوب حصر آخر غير (أنما) في هذه الآية ، لما تمّ المعنى المطلوب بتاتا .

المثال الثالث : قوله تعالى : " أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ " .

من طرق أسلوب الحصر : استخدام (النفي والاستثناء) ، وهذه الطريقة لأسلوب الحصر استخدمت في المثال الثالث ، الذي بدت فيه دلالات بلاغية أخرى ، أبينها فيما يلي .
يتكون المثال الثالث من : (أن) المخففة من الثقيلة و (لا) الناهية و الفعل المضارع (تعبدوا) و أداة الحصر (إلا) و لفظ الجلالة (الله) .
قال البلاغيون العرب إن المقصور عليه يذكر بعد إلا ، والمقصور يذكر بعد حرف النفي أي إن المقصور عليه هو (الله) عز وجل ، وإن المقصور هو (العبادة) ، أي إن العبادة مقصورة على الله سبحانه وتعالى .

ولأهمية فعل العبادة ؛ ولأنه يجب ألا يكون إلا الله عز وجل ؛ ولأن هذا العمل كان قائماً لغير الله عز وجل — أي حين عبادة الأوثان — ؛ قصر الله عز وجل هذا العمل عليه وحده ، واختار له اسمه الأعظم وهو لفظ الجلالة (الله) للتعبير والدلالة على أهمية فعل العبادة ، وإذا عدنا

إلى الجو العام الذي نزلت فيه هذه الآيات ، لوجدنا أنّ الشكّ والتكذيب بشخص الرسول عليه الصلاة والسلام ، والقرآن الكريم ، كان الشغل الشاغل لرجال قريش ، فالمقام ——— إذاً ——— مقام شك وتكذيب ، لذا ناسبه أسلوب معروف عند العرب وهو نفي أمر وإثبات أمر آخر يناقضه ، فهنا نفي أسلوب الحصر بلا الناهية العبادة لأي جهة أخرى ، وأثبتها الله عز وجل ، وبذلك قضى على ما كان في قلوبهم من شك وتكذيب لدين الله عز وجل .

الفصل الرابع

المبحث الأول

بعض الصور الأسلوبية ودلالاتها في سورة فصلت

- 1 ————— براعة الاستهلال .
- 2 ————— الالتفات :
- 3 ————— الاستفهام:
- 4 ————— التصوير والتشخيص :
- 5 - التفصيل بعد الإجمال :
- 6 - التقديم والتأخير:
- 7 ————— التعريف والتنكير :
- 8 ————— الحذف :
- 9 ————— نظرات دلالية في استخدام بعض الحروف :
 - (إلى) و (اللام) .
 - (الفاء) و (ثم) .
 - (السين) و (سوف) .

1 — براءة الاستهلال :

قال تعالى : " ح م " (فصلت : 1) .

حسن الابتداء ، أو براءة المطلع ، أو براءة الاستهلال ، من ميادين علوم البلاغة عامة ، وعلم البديع خاصة ، وهو : أن يجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً ، واضح المعاني ، مستقلاً عما بعده ، مناسباً للمقام ، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلية ؛ لأنه أول ما يقرع السمع ، وبه يعرف ممّا عنده¹ .

قال ابن رشيق : " إنَّ حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح " ² .

ويلاحظ في هذا التعريف قولهم (مستقلاً عما بعده) ، ولعل هذا القيد أن يكون غير مناسب لمفهوم البيان بشكل عام ، وبخاصة في القرآن الكريم ، فإن كل آية في القرآن الكريم ، مناسبة بل مرتبطة من حيث المضمون بما قبلها ، وما بعدها ، فإن كانت مع الآية الأولى في السورة ، فينبغي على الدارس أن يستكشف ارتباطها بما يتلوها من آيات في سياق السورة .

ولعل هذه الإشارة التي أبديتها حول التعريف السابق يؤيدها مايلي من كلام صاحب نهاية الأرب عند حديثه عن براءة المطلع حيث قال : " وتزداد براءة المطلع حسناً ، إذا دلت على المقصود بإشارة لطيفة . وتسمى براءة استهلال ، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده " ³ .

ألف العرب سماع الحروف بمسمياتها لا باسمها ، ولكي يستلقت القرآن الكريم انتباه العرب ويدل على مراده ، كان لا بدّ من أسلوب لم يألفه العرب إلاّ أنه قريب من سجيّتهم ، لذا كان من براءة نظمه المعجز أن بدأ بهذه الحروف المقطعة التي رتلت باسمها لا بمسمياتها، فبراعة الاستهلال من الأمور التي كان يتنافس بها شعراء العرب وأدباؤهم لما لها من وقع وأثر على المتلقي ، والاستفتاح بهذه الحروف يشكل قمة البلاغة الاستهلالية ، فهي تلفت انتباه المتلقي إذ تشكل مركزاً دلاليّاً يتمثل في امتدادها على كافة التركيب القرآني .

ومن الأمور البلاغية التي تحدث عنها علماء البيان باب التكرار ، فهل يوجد في القرآن الكريم تكرار ؟ قولاً واحداً لا . إلا أنّ بعض الألفاظ المتشابهة والمبثوثة بين طيّات الكتاب الكريم ، ليست تكراراً ، وإنما جيء بها لدلالة بلاغية من شأنها خدمة المعنى ، فمجيء قوله تعالى : " ح م " في

¹ الشحود ، علي بن نايف ، (دت) ، الخلاصة في علوم البلاغة ، (دط) ، موقع منتدى دار الإيمان ، ص 97 .

www.daraleman.org/forum/forum_posts.asp

² القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، 1 / 71 .

³ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 2 / 306 .

بعض السور التي سبقت سورة فصلت ، لا يعني أنها مكررة هنا . ولقد أجاد سيّد قطب في ظلاله عندما قال: " هذا الأمر — يعني التكرار — يتماشى مع طريقة القرآن في تكرار الإشارة إلى الحقائق التي يلمس بها القلب البشري ؛ لأن فطرة هذا القلب تحتاج إلى تكرار التنبيه ؛ فهو ينسى إذا طال عليه الأمد ؛ وهو يحتاج ابتداءً إلى التكرار بطرق شتى لتثبيت أي حقيقة شعورية فيه ، والقرآن يأخذ هذا القلب بما أودع في فطرته من خصائص واستعدادات ، وفق ما يعلم خالق هذا القلب ومصرفه بما يشاء ¹ .

2 — الالتفات :

من الأساليب البلاغية المتبعة عند العرب قديماً وعندنا ، أسلوب الالتفات ، وهو أسلوب يستخدمه المتحدث لإبراز جوانب متعددة ، متعلقة بشخصه أو بمن يشتركون معه في دلالة السياق ، ولأن القرآن الكريم معجز بأساليبه اللغوية ، وفصاحة بيانه ونظمه ، جاء هذا النظم من نفس النسق المعروف عند العرب ؛ كي يكون دليلاً وبرهاناً على عجزهم عن مجاراته .
ولبروز هذا الأسلوب ووضوحه في سورة فصلت ، سيتم تسليط الضوء عليه بشيء من التفصيل .

سارت مادة (لفت) ومشتقاتها في محور دلالي واحد هو التحول أو الانحراف عن المؤلف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك ، ومن هذه المادة : " لفت الشيء بفتح الفاء : لواه على وجهه ، وفلاناً عن الشيء : صرّفه ، والكلام : صرفه إلى العجمة ، واللحاء عن الشجر : قشره ، والريش على السهم : وضعه غير متلائم كيف اتفق ، والشيء : رماه إلى جانبه .. ويقال : لفت الرجل بكسر الفاء لفتاً : حمق ، وعمل بشماله دون يمينه ...²

أسلوب الالتفات هو أحد المسالك التعبيرية أو الألوان البلاغية التي يشيع استخدامها في لغة القرآن الكريم ، بل لعله أكثر هذه الألوان تردداً وأوسعها انتشاراً في ذلك البيان الخالد ؛ لأن هذا الأسلوب لا ينحصر في التحول من ضمير إلى ضمير ، بل إنّ مفهومه ليتسع ليشمل كل تحول أو انكسار في نسق التعبير لا يتغير به جوهر المعنى ³ .

¹ قطب ، في ظلال القرآن ، 6 / 156 .

² انظر مادة "لفت" في : ابن منظور ، لسان العرب و الفيروز أبادي ، القاموس المحيط و الزبيدي ، تاج العروس .

³ طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية ، ص 56 .

هذا التحول والمخالفة في التعبير له من الأسرار البيانية الكثير الكثير في السياق القرآني ، لذا نجد صاحب المثل السائر يقول في دقة هذا اللون البلاغي : "اعلم أيها المتوشح لمعرفة البيان أن العدول من صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة ، الذي اطلع على أسرارهما ، وفتش عن دفتئهما ، ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنه من أشكل ضروب علم البيان ، وأدقها فهماً ، وأغمضها طريقاً " ¹.

تكرر هذا الأسلوب في سورة فصلت عدة مرات ، وبشكل لافت للنظر مما دفع الباحث للوقوف على بعض شواهد لإبراز القيمة الدلالية ، واستجلاء المعاني الدقيقة الكامنة وراءه . ومن هذه الشواهد :

1 _____ قوله تعالى : " ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ " (فصلت : 11) .

يقول الزمخشري في تفسيره لتلك الآية : " فإن قلت : هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون ؟ قلت : لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعتين " ².

قال ابن عاشور : " وإنما جاء قوله طائعتين بصيغة الجمع لأن لفظ السماء يشتمل على سبع سموات كما قال تعالى إثر هذا (فقضاهن سبع سموات) ، فالامتنال صادر عن جمع ، وأما كونه بصيغة جمع المذكر ، فلأن السماء والأرض ليس لهما تأنيث حقيقي " ³.

قال الإمام الطبري : " قيل أتينا طائعتين ، ولم يقل طائعتين ، والسماء والأرض مؤنثتان ، لأن النون والألف اللتين هما كناية أسمائهما في قوله أتينا نظيره كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم ، فأجرى قوله طائعتين على ما جرى به الخبر عن الرجال كذلك " ⁴.

ومن جميل ما قاله حسن طبل في معرض حديثه حول الالتفات الوارد في هذه الآية : " تنزيل السماء والأرض في الآية الكريمة منزلة العقلاء في توجيه الأمر إليهما ، ووصفهما بالاستجابة والانقياد هو _____ كما يرى الزمخشري _____ سر ووصفهما بالطاعة بصيغة جمع المذكر العاقل

¹ ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 168 .

² الزمخشري ، الكشاف 4 / 183 .

³ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 276 .

⁴ الطبري ، تفسير الطبري ، 21 / 435 .

(طائعين) عدولاً عن صيغة المثني المؤنث (طائعتين) التي يقتضيتها ظاهر السياق (قالتا) وعن صيغة جمع المؤنث (طائعات) الملائمة لما لا يعقل " ¹ .

مما سبق تبرز القيمة التعبيرية لهذا العدول فهي تتجلى في ملائمة صيغة الجمع (المعدول إليها) لنسق الآية الكريمة — كما أشار الزمخشري — إلا أنها تتجلى كذلك في ملائمتها للسياق الذي وردت فيه تلك الآية ، ففي صدر هذا السياق كان الأمر موجهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمواجهة الكفار بحقيقة كفرهم ، ومجابتهم بمدى ما صاروا إليه من ضلال حين جعلوا للخالق — تنزه وجل عن ذلك — أنداداً ، " قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي

يَوْمَيْنِ وَجَعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ " (فصلت : 9) . وفي نهايته كان أمره عليه السلام بإنذار هؤلاء الكفار بسوء العقبي وفداحة المصير ، إن أعرضوا عن الهداية واستمروا سبيل الضلال " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِّثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ " (فصلت : 13) .

وبين هذين الأمرين جاء توجيه الأمر إلى السماء والأرض — في الآية التي بين أيدينا — وجاء الإخبار عن طاعتها متضمناً هذا العدول عن صيغتي التثنية وجمع غير العاقل إلى صيغة جمع العقلاء (طائعين) ، وفي ذلك تعريض بهؤلاء الذين ضلت عقولهم ، فترددت بهم سفاهتهم في هوة الشرك والغواية ، فكأن الآية الكريمة بتضمنها هذا العدول في ذلك السياق تجسد المفارقة الواضحة بين تلك الجمادات التي لا تملك إلا الطاعة والانقياد المطلق لجبروت الخالق عز وجل ، وبين هؤلاء الملاحدة من بني البشر " العقلاء " الذين تعطلت عقولهم فانغمسوا في مباءة المعصية بين إشراك به واقع ، وإعراض عن تذكيرهم بآياته ودلائل قدرته متوقع ² .

2 — قوله تعالى : " فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ " (فصلت : 12) .

بدأت الآية الكريمة بإخبار المخاطبين وذلك باستخدام ضمير الغيبة (فقضاهن) و (أوحى) ، ثم تحول النسق حيث أصبح فيه عدول يتمثل في قوله عز وجل : " وَزَيْنًا السَّمَاءَ " حيث أسند فعل

¹ طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية ، ص 61 .
² طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية ، ص 65 .

(التزيين) إلى الضمير البارز (والضمير البارز من باب التكلم) ، ثم عدل عن ذلك مرة أخرى إلى الإخبار بطريق الغيبة (ذلك تقدير) . ففي الآية الكريمة انتقال من الغيبة إلى الحضور ثم انتقال من الحضور إلى الغيبة ، وهذا العدول أو الالتفات له من النكت والأسرار الجمّة التي تعطي النظم شكلاً جديداً ومعنى آخر لا يتوصل إليه إلا بإدامة الفكر ، وقد ذكر حسن طبل في معرض حديثه عن أسرار الالتفات فقال : " الحق أن قبول ظاهرة الالتفات لأكثر من توجيهه ، واحتمالها في الموطن الواحد لغير تفسير ، هو ما يعني حفول بنيتها بخصوصية الإيحاء وثرأء الدلالة وهو ——— دائماً ——— شأنها بل شأن غيرها من الظواهر التعبيرية في البيان القرآني ، وهو أحد وجوه الإعجاز في هذا الكتاب الخالد الذي بقي وسيظل ثريّ النبع ، متجدد العطاء " ¹ .

وأما توجيه الالتفات في الآية الكريمة ومن خلال الزاوية التي ننظر إليها فهو أنّ مقام الخطاب الأول يتحدث عن خلق مخلوقات السماء ، وهذه الأمور غيبية غير مرئية ، فوافق خطاب الغيبة للمقام ، كذلك مثل هذا الأمر الغيبي فيه استحضار لعظمة الخالق وتركيز الوعي .
أمّا مقام الخطاب الثاني فيتحدث عن الكواكب والنجوم وكل المجرات السماوية التي توصل إليها الإنسان ، أو سيتوصل بعد حين ، وهذه المخلوقات مرئية من قبل البشر ، لذا تمّ العدول عن الغيبة للتكلم ، وكأنّ المخاطبين يمكن لهم أن يشاهدوا حقيقة قول المتكلم .
ومدار الحديث في الخطاب الثالث يدور حول كلّ الأمور التي خلقها الله وتمّ ذكرها في الآيات السابقة ، وحيث إنّ الخالق تبارك وتعالى غيبي وغير مرئي من قبل أحد ، والكثير من المخلوقات التي تمّ ذكرها غيبية وغير مرئية ، كان الخطاب بصيغة الغيبة ،
وأخيراً إن ما بعد اسم الإشارة الدال على الغيبة يوحي بحتمية الثناء لمن أوجد هذه المخلوقات ، وهذا المعنى يتناغم مع معنى الآية الكريمة .

وقد نظر ابن عاشور إلى هذا الالتفات من زاوية أخرى فقال : " وقع الالتفات من طريق الغيبة إلى طريق التكلم في قوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح تجديداً لنشاط السامعين لطول استعمال طريق الغيبة ابتداء من قوله بـ " بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " مع إظهار العناية بتخصيص هذا الصنع الذي ينفع الناس دينا ودنيا ، وهو خلق النجوم الدقيقة والشهب بتخصيصه بالذكر من بين عموم

¹ طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية ، ص 108 .

وأوحى في كل سماء أمرها ، فما السماء الدنيا إلا من جملة السماوات ، وما النجوم والشهب إلا من جملة أمرها"¹

لا بدّ أن تكون آخر ألفاظ الآيات متّفقة وأولها ، في المعنى والموسيقى القرآنية ، وهذه الآية كسائر آي القرآن الكريم ، المقطع الأخير أو الفاصلة القرآنية فيها متم وممكن للمعنى المبدوء به، وقد أشار إلى ذلك الإمام الطبري بقوله : "وقوله : " ذلك تقدير العزيز العليم " يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصفت لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما ، وتزييني السماء الدنيا بزينة الكواكب ، على ما بينت تقدير العزيز في نعمته من أعدائه ، العليم بسرّاء عبادته وعلانيتهم ، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم "².

فهو العزيز الذي قد عزّ كل شيء فغلبه وقهره ، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم ، وبمن آمن به ومن لا يؤمن به ، وهو العزيز في ملكه القادر القاهر الذي لا يلحقه عجز ولا يعتريه سهو ولا جهل.³

3 — الاستفهام:

الاستفهام فن عظيم من فنون القول ، استخدمه العرب في نظمهم ، وكتب فيه البلاغيون العرب الكثير ، ومن أروع ما كتبه البلاغيون النقاد حول وظيفة الاستفهام في رقى البيان ، ما كتبه شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه الذائع الصيت : (دلائل الإعجاز) .

فما الاستفهام ؟ ، وأين تكمن أهميته ودلالته البيانية ؟

الاستفهام : طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ، وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية ؛ وهي :
الهمزة ، وهل ، وما ، ومتى ، وأيان ، وكيف ، وأين ، وأنى ، وكم ، وأي .

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام :

أ — ما يطلب به التصور تارة ، والتصديق تارة أخرى ، وهو : الهمزة .

ب — وما يطلب به التصديق فقط ، وهو : هل .

ج — وما يطلب به التصور فقط ، وهو بقية ألفاظ الاستفهام .⁴

¹ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 13 / 86 .

² الطبري ، تفسير الطبري 440/2 .

³ انظر: ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، 4 / 113 ، وتفسير السمين الحلبي ، الدر المصون ، 12 / 378 .

⁴ الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 60 .

ولكل أداة من أدوات الاستفهام غرض معين ، إلا أنها قد تخرج إلى أغراض أخرى منها :
التقرير ، والإنكار ، والتعجب ، والوعيد والتخويف ، والأمر ، والتهكم ، والاستبعاد ، والتهويل ،
والتحقير ، والتنبيه على أحوال المخاطب ، والتمني ، والاستبطاء ، والتعظيم ، والنفي ، والتكثير ،
والتسوية ،...¹.

والحديث في هذا الباب ذو شجون ، إلا أنه متشعب يحتاج إلى بحث منفرد ، لذا سأحاول النظر
في بعض دلالات همزة الاستفهام ، وبخاصة ما ورد منها في سورة فصلت .
للاستفهام بالهمزة عدة أحكام كما يقول فضل عباس ، من الأهمية بمكان معرفتها والرجوع إليها ،
ذلك أنها تساعد على فهم دقائق هذا الباب ².

قال عبد القاهر الجرجاني : "ومن أبين شيء في ذلك (الاستفهام بالهمزة) ، فإن موضع الكلام
على أنك إذا قلت : " أَفَعَلْتَ ؟ " ، فبدأت بالفعل ، كان الشك في الفعل نفسه ، وكان غرضك من
استفهامك أن تعلم وجوده .

وإذا قلت : " أَنْتَ فَعَلْتَ ؟ " ، فبدأت بالاسم ، كان الشك في الفاعل مَنْ هو ، وكان التردد فيه" ³.
ومن الدراسات الحديثة جداً التي تناولت أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، دراسة عبد العظيم
إبراهيم المطعني ، التي تناول فيها الأثر البلاغي لكل الاستفهامات التي وردت في القرآن الكريم.
سأتناول في هذه الدراسة اثنين من أمثلة الاستفهام المبتوثة في سورة فصلت بشيء من التفصيل

المثال الأول :

قوله تعالى : " قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ " (فصلت : 9) .

تدل هذه الآية على موضوعات القرآن المكي من التنويه بشأن القرآن ، وتحذير المشركين من
الكفر بالله وسوق بعض قصص الماضين ، ولفت الأنظار إلى آيات الله في الكون ، والحديث عن
اختلاف مواقف البشر من نعم الله عليهم ، لذا كان أول استفهام يرد في هذه السورة في الآية موضوع

¹ للوقوف على هذه الأغراض بالتفصيل انظر: عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ص 197-209 .

² انظر : المرجع السابق ، ص ص 173-184 .

³ الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 111 .

الدراسة ، وفيها يأمر الله رسوله — صلى الله عليه وسلم — بمواجهة مشركي العرب بكفرهم بالله مع وضوح دلائل الإيمان : " قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " .

كان الإمام أبو السعود — وقد تابعه الإمام الألوسي — أول من صرح بدلالة الإنكار في الآية ؛ حيث قال :

" قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ... " ، إنكار وتشنيع لكفرهم ، وإنّ واللام إما لتأكيد الإنكار .. لا لإنكار التأكيد ، وإما للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد " ¹ .

وقال الإمام الطاهر : " وهمزة الاستفهام المفتوح بها الكلام مستعملة في التوبيخ فقوله تعالى : " أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ... " ، كقوله في سورة البقرة : " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ " ² .

ومما قاله عبد العظيم حول هذه الآية موضوع الدراسة : " وهذا الاستفهام إنكاري عند جميع الأئمة ، وإن كان الإمام الزمخشري لم يبيد فيه رأياً لوضوحه . من أهم الأغراض التي تخرج إليها أدوات الاستفهام عن وضعها الحقيقي ، ومن أكثرها شيوعاً: الإنكار ، ويسمى استفهاماً إنكارياً .

والفرق بينه وبين الاستفهام التقريري أنك في الاستفهام التقريري تريد تثبيت الأمر وتحقيقه ، وهذا كثير في التنزيل ؛ يقول العبد الصالح لموسى — عليه الصلاة والسلام — : " قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ " (الكهف : 75) ؛ فهو تحقيق وتثبيت لما قاله لموسى من قبل .

أما في الاستفهام الإنكاري ؛ فأنت لا تقرر المخاطب في شيء ، وإنما تنكر عليه ، وتستهن ما حدث في الماضي ، أو ما يمكن أن يحدث في المستقبل ³ .

والغرض الرئيسي من طرق هذا الباب في هذه الدراسة ، هو الوقوف على الغرض البياني ، من الاستفهام الإنكاري في هذه الآية الكريمة . فهل هناك غرض بياني يؤديه الاستفهام الإنكاري ؟ فإذا كان معناه النفي ، أفلا تكفي صيغة النفي دون أن نضعها بقالب الاستفهام ؟ فبديل أن نقول : أنت

¹ عن المطعني ، التفسير البلاغي للاستفهام ، 4 / 3 .

² ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 13 / 132 .

³ انظر: عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ص200 .

كتبت هذه المقالة ؟ نقول : أنت لم تكتب هذه المقالة . فالأولى جاء الإنكار بطريق الاستفهام ، والثانية جاء الإنكار بطريق النفي الصريح . فهل المعنى واحد في الموضعين ؟

قال الشيخ فضل عباس : الحق أن بين المعنيين بونا شاسعاً ، وفرقاً بعيداً ، فحينما أقيت كلامك بصيغة الاستفهام ، فكأنك تنتظر من صاحبك جواباً ، فهو سيفكر ، ويراجع نفسه ، وسيجد نفسه بعد هذه المراجعة ، وبعد هذا التفكير في ضيق وخرج ، لا يحير معهما جواباً ، فإذا ركب متن الغواية ، وسولت له نفسه أن يجادل في الباطل ، عند إذ فإنك ستزيده إحراجاً على إحراج .

وفائدة أخرى للاستفهام الإنكاري ، وميزة على النفي الصريح ، هي أن المتكلم عندما يلقي كلامه بصيغة الاستفهام فإن ذلك يدل على الثقة التي تملأ نفسه ؛ لأنه يلقي كلامه وهو يدرك أنه لو كان في كلامه أدنى ريب لرده عليه قائله جواباً على استفهامه .¹

والإنكار في الآية موضوع الدراسة ، مسلط على تأكيد الكفر ، وعلى الكفر نفسه ، لأن الشك في وجود الله وصفاته القدسية ، مثل الكفر الجازم .

فالاستفهام في الآية استفهام إنكار وتوبيخ وتهديد . وهو الإنكار الواقع من الكفر المؤكد بالله من مشركي العرب .²

قال الزركشي : " الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه بخلاف هل ؛ فإنه لا ترجح عنده بنفي ولا إثبات " .³

قال عبد العظيم : " " أَيْنُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " أكد وصف المخاطبين بالكفر بـ " إن " واللام تغليظاً للإنكار عليهم ، حيث جزموا بالكفر بالله مع قيام دلائل التوحيد من بين أيديهم ومن خلفهم ، ومن فوقهم ومن أسفل منهم ، بل وفي أنفسهم . وهذا أبلغ في إدانتهم ورميهم بالسفه وانعدام التمييز .

وفي التعبير عن اسم الجلالة (الله) بالموصول (الذي) والصلة (خلق الأرض) لتشديد الإنكار والتلويح بغنائهم عن الطريق البرهاني . فهم كفروا بالخالق العظيم الذي له في كل شيء آية تدل على أنه الواحد " .⁴

¹ انظر المرجع السابق ، ص 205 .

² انظر : المطعني ، التفسير البلاغي للاستفهام ، 4/ 5 .

³ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 2/ 163 .

⁴ المطعني ، التفسير البلاغي للاستفهام ، 6/4 .

بعد هذه الجولة في استقصاء آراء العلماء والمفسرين في توضيح دلالة الاستفهام الإنكاري وتحليله ، وأكثرُ الأقوال لم تخرج عن الدلالة العامة التي ذكروها من أنه (استفهام إنكار وتوبيخ وتهديد) .

أقول إن تحليل الكلمة الأولى في الآية ، وتدبر ما فيها يعطينا دلالات واسعة على معناها من خلال السياق الذي وردت فيه ، فقوله تعالى (قل أنكم) يشتمل على ما يأتي :

_____ فعل الأمر ، قل ، والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

_____ همزة الاستفهام (أ) .

_____ حرف التوكيد (إن) متصلاً باسمه الضمير (كُمْ) .

وهذا يدل على توكيد موقفهم من الكفر بالله ، فهم كافرون ويكفرون دائماً (بالذي خلق الأرض في يومين) .

_____ وقد سبق هذا التوكيد همزة الاستفهام التي تدل على استهجان موقفهم وتسخيف رأيهم ، ويؤكد هذا قوله تعالى في فعل الأمر (قل) ، أي أخبرهم بأن موقفهم هذا يدل على حماقتهم وجهلهم ، بدليل قوله تعالى في نهاية الآية (ذلك رب العالمين) إن كنتم تجهلونه وتكفرونه .

ولعل أقرب ما ورد في بيان هذه الحقيقة ما ورد على لسان عبد العظيم من أن (هذا أبلغ في إدانتهم ورميهم بالسفه وانعدام التمييز) .

المثال الثاني :

قوله تعالى : " وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ " (فصلت : 21) .

استفهام إنكار وتعجب ؛ وذلك لأن يوم القيامة يوم الأهوال ، وأحداثه ليست معهودة للبشر وعجائبه مذهلة ، ومن هذه العجائب والوقائع غير المعهودة ، أن العصاة حين تبهتهم الساعة بأوزارها الثقيلة ، ووعيدها الذي يشيب الولدان ، فإنهم يحاولون التنصل من معاصيهم ، فيفاجؤون بأسماعهم وأبصارهم وجلودهم ، تشهد عليهم بما عصوا في هذه الحياة الدنيا .

فيأخذهم العجب وتستولي عليهم الدهشة . فيسألونها : " لم شهدتم علينا " ويفاجئهم الجواب الحكيم المؤلم مرة أخرى : " أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء " .

قال عبد العظيم المطعني : قوله تعالى : " لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا " استفهام إنكار وتعجب . وكيفية دلالاته على الإنكار لأنه سؤال عن السبب ، والسؤال عن الشيء يقتضي عدم مشاهدته ، وعدم مشاهدته تقتضي عدم وجوده . فكنوا بعدم وجود السبب عن إنكار المسبب ، وهو الشهادة عليهم . وهذا من الكنايات اللطيفة والإنكار فيها للواقع ¹ .

ويضيف المطعني نكتة بلاغية في هذا المقام فيقول : استفهوا عن سبب ورود الشهادة وكان الظاهر أن يسألوا عن كيفية وحال التمكن من النطق بالشهادة ، والجلود ليست أهلاً للنطق . وسر العدول من السؤال عن السبب الذي دعا إلى النطق هو أن أهوال القيامة غير المعهودة جعلتهم مُسلمين بأن الجلود تنطق ، لذلك لم ينكروا بأنها كيف نطقت ، بل لأي سبب من الأسباب نطقت بالشهادة ضدّهم ، وهذا من دقائق الأسرار في النظم القرآني الحكيم ² .

لم يعتد الناس مخاطبة السمع والبصر والجلود . فكيف تتصور النفس هذا السؤال الغريب غرابة نطق الجلود نفسها (لم شهدتم علينا) ، لو كان الإنسان قد رأى من الجلود كلاماً لكان إثارة ذلك السؤال واردة . ولكنه لما لم يعتد منها كلاماً كان ترتب إثارة السؤال عن الإعلام بشهادتها أمراً مستبعداً .

من الأسرار اللطيفة في النظم الحكيم ، تصوير غير العاقل وإنزاله منزلة العقلاء ، وهذا يندرج على مخاطبة الجلود مخاطبة العقلاء ، لأنها لما شهدت على أصحابها نزلت منزلة العقلاء .

4 ————— التصوير والتشخيص :

من عناصر النسق القرآني ، تلك الحركة التخيلية التي تلمس الحسّ وتثير الخيال ، وتشارك النظر والمخيلة في تذوق الجمال ³ .

ومن أوائل الذين تنبهوا إلى هذا العنصر الجمالي في النسق القرآني سيد قطب ، الذي أفرد كتاباً خاصاً لهذا الباب ، ومما جاء فيه : " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة . فإذا

¹ المطعني ، التفسير البلاغي للاستفهام ، 11/4 .

² المرجع السابق 11/4 .

³ انظر: قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص28 .

المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية...¹

ومن ألوان هذا التصوير ما يمكن أن نسميه " التشخيص " فهو يتمثل في إضفاء الحياة على المواد الجامدة ، والظواهر الطبيعية ، والانفعالات الوجدانية . فالحياة قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية ، تشمل المواد والظواهر والانفعالات ، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية ، وخلجات إنسانية ، تشارك بها الأدميين ، وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين ، فيأمنون بهذا الوجود أو يرهبون².

ومن أمثلة التصوير والتشخيص الفني في سورة فصلت قوله تعالى : " ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ

وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ " (فصلت : 11) .

لكن لماذا العدول إلى هذا الأسلوب ؟ وأين تكمن دلالاته البيانية ؟

خطاب الجمادات والحديث عنها يأخذ حيزاً معيناً عند الإنسان ، دون أن يمتلك تفكيره ويسيطر عليه كاملاً ، لكن عند تصوير هذا الجماد وتشخيصه بصورة حيّة على مرأى ومسمع من المخاطب فهذا سيحصر ويسيطر على هذا الفكر ويجعله أكثر تركيزاً ، ومن جهة أخرى فإن لهذا الأسلوب دلالات وأسراراً في المعنى ، فهي تشير إلى السخرية والاستهزاء بهذه الفئة المعرضة ، فمن درجات هذا الاستهزاء والتهكم ، مخاطبة الجماد كأنه إنسان ، فهاتان هما الأرض والسماء ، يوجه إليهما الخطاب ، فتسرعان بالجواب ، فأين أنت من ذلك أيها الإنسان !

5 - التفصيل بعد الإجمال :

قال تعالى : " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ

فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ " (فصلت : 5) .

¹ المرجع السابق ، ص 36 .
² انظر : المرجع السابق ، ص 73 .

من بلاغة القرآن التفصيل بعد الإجمال ، وهذه الآية الكريمة تفصيل للإعراض المذكور في الآية السابقة عليها ، وقد جاء التفصيل بأقوالهم التي حرمتهم من الانتفاع بالقرآن ، وهي : " قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ " و " وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ " و " وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ " .

وللتفصيل بعد الإجمال قيمة بلاغية في أداء المعنى ، فقد قواه وأثبتته ، وذلك بإجماله أولاً في الآية السابقة عندما قال الحق : (فأعرض) حتى تنهياً النفس إلى معرفة تفصيله ، فإذا جاء مفصلاً كان أثره أبلغ ، وكان التفات النفس إليه أشد وأقوى ¹ .

وقد جمع الحق بين الحالات الثلاث التي تبين عدم قبول المشركين دعوة سيدنا محمد ——— صلى الله عليه وسلم ——— وذلك من باب المبالغة في هذا الأمر .

قال الفخر الرازي : " واعلم أنه إنما وقع الاختصار على هذه الأعضاء الثلاثة ؛ وذلك لأن القلب محل المعرفة وسلطان البدن ، والسمع والبصر هما الآلتان المعينتان لتحصيل المعارف ، فلما بين أن هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك أقصى ما يمكن في هذا الباب. واعلم أنه إذا تأكدت النفرة عن الشيء صارت تلك النفرة في القلب ، فإذا سمع منه كلاماً لم يفهم معناه كما ينبغي ، وإذا رآه لم تصر تلك الرؤية سبباً للوقوف على دقائق أحوال ذلك المرئي ، وذلك المدرك والشاعر هو النفس ، وشدة نفرة النفس عن الشيء تمنعها من التدبر والوقوف على دقائق ذلك الشيء " ² .

وهذه الحالات الثلاث وإن كانت موانع أو حواجز معنوية ، إلا أنها تضعك أمام صورة حسية مؤثرة في النفس ، جاذبة للانتباه ، فتصوير هذه الحواجز المعنوية وتجسيمها بهذه الطريقة ، كأنما هي موانع حسية ، أوقع وأظهر في هذا المقام .

قال ابن عاشور : " إن هذا التفصيل جاء فيما يقابل ما ذكر قبله من صفات القرآن ، وهي تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً ، فإن كونه تنزيلاً من الرحمن الرحيم يستدعي تفهمه والانتفاع بما فيه ، فقبول بقولهم قلوبنا في أكِنَّةٍ مما تدعونا إليه ، وكونه فصلت آياته يستدعي تلقيها والاستماع إليها فقبول بقولهم في آذاننا وقر ، أي فلا نسمع تفصيله ، وكونه قرآناً عربياً أشد إلزاماً لهم بفهمه فقبول ذلك بما يقطع هذه الحجة وهو من بيننا وبينك حجاب ؛ أي فلا يصل كلامه إليهم ولا يتطرق جانبهم ، فهذه تفاصيل إعراضهم عن صفات القرآن " ³ .

¹ انظر: أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص 491 .

² الفخر الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، 27/ 554 .

³ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 13/ 65 .

شبه الله تعالى القلوب بالأشياء المحسوسة المرئية المغطاة ، ووجه الشبه حيلولة وصول الدعوة إلى عقولهم كما يحول الغطاء والغلاف دون تناول ما تحته ، وهذا على طريقة التخيل¹ وهو ما يسمى في علم البديع بالاستعارة المكنية .

قال سيّد قطب : " هذه الحركة التخيلية تلمس الحسّ وتثير الخيال ، وتشرك النظر والمخيلة في تذوق الجمال "². كذلك هذا التصوير أو التجسيم كما يسميه سيّد قطب جيء به لإحالة المعاني والحالات صوراً وهيئات³. والحكمة من ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً ، فينتقل السامع من حدّ السّماع إلى حدّ العيان ، وذلك أبلغ في البيان .

قال محمد حسنين أبو موسى : " سر بلاغة الاستعارة المكنية أنها تكون في أكثر أحوالها مظهراً لتصور الحياة في الجماد ، أو تصوير المعاني وتجسيدها أو تشخيصها ، كشهيق جهنم ، وهذا اللون من التصوير له سحره وتأثيره "⁴.

6 – التقديم والتأخير :

1 — قال تعالى : " الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ " (فصلت : 7

.)

قال ابن عاشور : "وتقديم (بالآخرة) على متعلقه وهو (كافرون) لإفادة الاهتمام "⁵.

هذا القول يجعلنا ننفذ إلى باب بلاغي هو في غاية الدقة والأهمية ، وله دلالات بيانية نفيسة ، لا ينفذ إليها إلا كل ذوق رفيع ، هذا الباب هو باب التقديم والتأخير ، وقد قرر قواعد هذا الباب ، وبينها أفضل بيان الإمام عبد القاهر الجرجاني وكان الناس من قبله يتحدثون عن التقديم والتأخير حديثاً عاماً.

قال الإمام عبد القاهر : " هو بابٌ كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتّر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبباً أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "⁶.

¹ انظر: المرجع السابق، 65/ 13 .

² قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص33 .

³ انظر: المرجع السابق ، ص ص 78 - 79 .

⁴ أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص 417 .

⁵ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 66 / 13 .

⁶ الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 106 .

ومن الأمور الدقيقة التي نفذ إليها الإمام عبد القاهر الجرجاني في هذا الباب ، قوله : " وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال : (إنه قدم للعناية ، ولأن ذكره أهم) ، من غير أن يُذكَر ، من أين كانت تلك العناية ؟ وبِمَ كان أهم ؟ ولتخيّلهم ذلك ، قد صغُرَ أمرُ (التقديم والتأخير) في نفوسهم ، وهوتوا الخطب فيه ، حتى إنك لتَرى أكثرهم يَرى تتبَّعه والنظرَ فيه ضرباً من التكلّف . ولم ترَ ظنّاً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه " ¹ .

وانطلاقاً من مفهوم التقديم والتأخير وأثره في السياق القرآني ، أرجو أن أبين الدلالة البيانية ، لتقديم (بالآخرة) على متعلقه وهو (كافرون) .
الفترة الزمنية في الحياة الدنيا معقودة بأجل معين للمسلم والكافر ، في حين إنها في الآخرة خالدة كذلك للمسلم والكافر .

في الحياة الدنيا يمر المسلم والكافر بشيء من العذاب ، سواء عذاب المجتمع للفرد ، أو عذاب الفرد للفرد ، أو عذاب الفرد لنفسه ، إلا أن هذا العذاب آني وبسيط ، في حين أن عذاب الآخرة ، سرمدى وشديد .

كذلك يعيش المسلم والكافر في الحياة الدنيا شتى أنواع السعادة ، وهذه السعادة أيضاً غير مستمرة ، فالغالب أن تعكر صفوها كثير من المنغصات ، وهي أيضاً مرتبطة بأجل الإنسان ، في حين أن السعادة في الآخرة ، خالدة غير مسبوقة ولا مشهودة من قبل ، وتختلف في الكم والكيف .
ولأنّ الصفة البارزة لهذا التنزيل منذ بداية السورة هي الرحمة ، فقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يشدّ انتباه الكافرين إلى عقد مقارنة بين ما هم عليه في الحياة الدنيا والآخرة ، وفي ذلك إشارة إلى أن باب الرحمة مفتوح أمام الكافر إذا تاب و أناب ، أمّا بالنسبة للمؤمن فهذا فيه تثبيت له على ما هو عليه ، ودافع للتمسك بهذه العقيدة ؛ للوصول إلى الثواب الأبديّ في الحياة الآخرة ، ولكن ليست حياة المشركين ، وإنما الحياة التي رسمها الله لهم في الآية الآتية .

2 قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ " (فصلت : 8)

التلاحم والترابط فيما بين الآيات ظاهر وواضح لا يخفى على أحد ، فقد رسم الحق في الآية السابقة حال المشركين في ما ينتظرهم من ويل يهددهم به ؛ لأنهم لا يعتقدون بوجود حياة أخرى ، لذا كانوا يستغربون ويستبعدون إحياء الناس بعد الموت ، لكونه أمراً غير مألوف لهم بالقياس إلى

¹ المرجع السابق ، ص 108 .

تجربتهم الحسيّة التي يَعُدُّونها أساساً لتكوين قناعاتهم الفكرية ، إلا أنّ للمؤمنين العاملين بالصالحات شأنًا آخر .

المتتبع للنظم القرآني يلفت نظره تقديم (آمنوا) على (عملوا) وارتباط أحدها مع الآخر ، فقد وردت هذه الصورة ، ثلاثاً وسبعين مرة في القرآن الكريم ، غالبيتها العظمى قُدِّمَ الإيمان فيها على العمل وارتبطاً معاً ، وكما أسَّس عبد القاهر الجرجاني أنّه لا يجوز أن نقول التقديم جيء به للأهمية ، فلا بدّ من البحث العميق ، للكشف عن مواطن هذه الأهمية .

الغاية الأولى التي خُلِقَ البشر من أجلها هي الإيمان بالله أولاً ، وترك كل ما كانوا يعبدون ، متوجهين بقلب صادق مؤمن بوحداية الله ، لا شريك له في هذا الكون .

ولأن الله يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به ، أراد الحق أن يلفت نظرهم إلى ما يترتب على الإيمان بالله ، أو عدمه ؛ ولأن الإيمان بالله هو الأصل والأساس في هذا الكون ، وما يأتي بعده فرع له ، قدّم الإيمان على عمل الخير ، ذلك أنّ عمل الخير لا يكون بمكان ، ولا يكون له أيّ أجر أو معنى ، إن لم يكن صاحبه مؤمن بالله ، فعمل الخير مرتبط بالإيمان بالله ، ومن هنا قُدِّمَ الإيمان على عمل الخير .

ويلاحظ أيضاً تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى : " لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ " وهذا يدل على أهمية المتقدم ، فالحديث عنهم (هم) وعن أجرهم الذي ينتظرهم لقاء إيمانهم ، وعملهم الصالحات ، ولذلك قدم الله عز وجل الضمير الدال عليهم وهو (لهم) على الأجر ، لأن الأساس هو الاهتمام بهم ، وبيان أحقيتهم بهذا الأجر .

3 _____ قال تعالى : " ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ

كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ " (فصلت : 11) .

الضمير في " لها " عائد على السماء وهذا يعني أن الحق تبارك وتعالى ، قدّم السماء على الأرض في هذا المقام ، والمعلوم أن التقديم لا بدّ أن يكون لغاية بيانية ، فما الغاية البيانية من ذلك ؟
المقام مقام امتثال للأوامر ، ومقام طاعة دون عصيان ، وعليه فإن السماء بما شملت من صفات، وما احتوت من مخلوقات ، أكثر امتثالاً وطاعة من الأرض ، لأن السماء في دوام حركتها على نهج واحد لا يختلف ، تشبه حيواناً مطيعاً لله تعالى بخلاف الأرض فإنها مختلفة الأحوال ، تارة

تكون في السكون وأخرى في الحركات المضطربة ، كذلك أهل السماء ليس لهم إلا الطاعة ، قال تعالى: " تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ " (النحل : 50) ، وأما أهل الأرض فليس الأمر في حقهم كذلك ، أخيراً السماء موصوفة بكمال الحال في جميع الأمور ، قالوا إنها أفضل الألوان وهي المستتيرة ، وأشكالها أفضل الأشكال وهي المستديرة ، ومكانها أفضل الأمكنة وهو الجو العالي ، وأجرامها أفضل الأجرام وهي الكواكب المتلألئة ، بخلاف الأرض فإنها مكان الظلمة والكثافة واختلاف الأحوال وتغير الذوات والصفات .¹

7 — التعريف والتكبير :

التعريف لغة : " هو الإعلام ، والتعريف أيضاً إنشاد الضالة ، وعرّف الضالة : نَشَدَهَا " .²
التعريف اصطلاحاً : " هو كل اسم معروف بنفسه ، مختص لا يشكّل بغيره " .³
وعكس التعريف التكبير ، أمّا أهميتهما فتكمن في أنهما من الأساليب البلاغية التي من حقّ البليغ أن يراعيها في الكلام ، إذ لكل منهما موضعه الذي يتطلبه ، ولا يحسن فيه غيره ، فقد يحسن تعريف الكلمة في موضع ، ولا يحسن فيه تكبيرها ، بينما نرى العكس هو الصحيح في موضع آخر ؛ ذلك لأن ما يفيد التعريف ، والأسباب التي تدعو إلى تكبير الكلمة مخالفة لتلك التي تدعو إلى تعريفها.⁴
وسيكثف الباحث بالحديث عن التعريف بآل ، لأنها تتعلق بهذا البحث .
التعريف بآل :

وهو : " ما أحدثت فيه عموماً أو خصوصاً " .⁵

ويقسم العلماء " آل " إلى قسمين : فهي " إمّا للعهد ، وإمّا للجنس ، والفرق بينهما أن لام العهد هي الداخلة على أمر يشعر بمعرفة السامع له ، لتقدمه في الذكر صراحةً أو كناية . أمّا (آل) التي للجنس فليس فيها ما يشعر بذلك ، إنها تدخل على ماهية الشيء مما لم يسبق للسامع عهد به " .⁶
والجنس هو الذي يشتمل على أفراد كثيرين كالرجل ، والمرأة والإنسان والدينار . وكل منهما (آل العهدية وآل الجنسية) تنقسم إلى أقسام .⁷

¹ انظر: الفخر الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، 55 / 23 .

² ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عرف) .

³ الحيدرة ، علي بن سليمان ، (دت) . كشف المشكل في علم النحو ، (د.ط) ، موقع مجالس آل محمد (ع) ، 539 / 2 .

www.almajalis.org/forums/viewtopic.php

⁴ عن الدراويش ، النظم القرآني في سورة البقرة ، ص 61 .

⁵ ابن مالك ، محمد جمال الدين ، (1975) . شرح عمدة الحافظ وعدة اللافت ، تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي ، (ط 1) ، القاهرة ، مطبعة الأمانة ، ص 152 .

⁶ عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ص 239 .

⁷ للوقوف على هذه الأقسام انظر : المرجع السابق ، ص 241 .

ولـ " أل " التعريف عدة أغراض بلاغية ، فهي ترد في الأعلام للغلبة ، وترد في المسند لتوضيحه أتمّ توضيح ، وترد في لفظ الجلالة للوصف والتفخيم ، وهذا لا يعني أنه _____ سبحانه وتعالى _____ منكر فتعرف بها ، وإنما وردت دالة على الفخامة والعظمة لله _____ عز وجل _____ ، وترد دالة على عظيم العدوان وشناعته للتفجير منه وذم فاعليه ، وترد دالة على التقيح ، وترد دالة على الكمال ، إلى غير ذلك من المعاني اللطيفة التي ترد من أجلها " أل " في النظم القرآني ¹.

ومن الكلمات التي جاءت مُعرّفة في سورة فصلت :

* قال تعالى : " إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (فصلت : 14) .

جاءت كلمة "الرسُل" معرفة بـ " أل " في قوله تعالى : " إذ جاءتهم الرسل " ، وبالنظر في سياق الحديث ، نستطيع القول إنّ نوع " أل " التعريف الواردة في كلمة "الرسُل" هي أل الجنسية ؛ ذلك أن الرسل أُرسِلت إلى الأقسام الغابرة منذ خلق سيدنا آدم _____ عليه السلام _____ والقوم المخاطبون على علم ودراية بهم ، لذا أشعر المخاطبون بمعرفتهم المسبقة لهؤلاء الرسل ، وهذا من باب التفخيم والتعظيم لهم ، كذلك كلمة " الرسل " غير منحصرة بعدد معين ، وإنما تشمل أعداداً كثيرين ، وإذا ما نظرنا إلى المحور الرئيسي لدعوة كل رسول ، التي تتفق كلها على عبادة الواحد الأحد ، وربطنا ذلك بكثرة الرسل ، تبين لنا أن أل التعريف في كلمة (الرسل) تدل على هذه الصفة المشتركة بينهم جميعاً .

** قال تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ " (فصلت : 45) .

جاءت كلمة " الكتاب " معرفة لأنها خاصة بكتاب الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام .

*** قال تعالى : " لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوسُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ " (فصلت : 49) .

¹ للوقوف على الأمثلة التوضيحية لكل قسم انظر: الدراويش ، النظم القرآني في سورة البقرة ، ص 72 .

جاءت كلمة " الإنسان " مُعرّفة بـ (أ ل) الجنسية ؛ لتدل على جنس الإنسان ، لا على إنسان واحد ، وهذا من باب رحمة الله بعباده ، فطلب الرحمة والمغفرة والرزق والصحة والعلم من الله عز وجل ، لا ينفرد به إنسان على آخر ، فهذا الباب مفتوح أمام جميع جنس الإنسان .

*** قال تعالى : " سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ " (فصلت : 53) .

جاءت كلمة " الآفاق " مُعرّفة بـ (أ ل) الجنسية ؛ لتدل على جنس الآفاق ، لا على أفق واحد ، وهذا المعنى يتماشى والمعنى العام للآية ، فهي تتحدث عن الاكتشافات العلمية المستقبلية ؛ ولأن هذه الاكتشافات ممتدة إلى يوم الدين ؛ جاءت كلمة " الآفاق " مُعرّفة بـ (أ ل) الجنسية ؛ لتدل على العموم والاستغراق ، ففي كل يوم يكتشف العلماء شيئاً جديداً ، في المجالات المختلفة .

ومن الكلمات التي جاءت نكرة في سورة فصلت :

* قال تعالى : " كِتَابٌ فَصَّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ " (فصلت : 3) .

جاءت كلمة " كتاب " نكرة في الآية السابقة ، من باب التخصيم والتعظيم للقرآن الكريم ؛ ذلك أن المقام مقام شك وتكذيب بالقرآن الكريم ، فلازم ذلك إشعار المخاطبين بالمكانة العالية للقرآن الكريم عند الله عز وجل ، وللدلالة أيضاً على أنه (كتاب) من كتب الله عز وجل التي أنزلها على رسله من قبل .

** قال تعالى : " فَإِنِ اعْرَضُوا فَعَلَّ أَنْذَرْتُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ " (فصلت : 13) .

جاءت كلمة " صاعقة " نكرة في الآية السابقة ؛ لتدل على التعميم ؛ لأنها لو عُرفَت لدلت على أن كل ما لحق بالأمم السابقة التي كذبت الرسل هي صاعقة واحدة ، وهذا ليس صحيحاً .

*** قال تعالى : " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ " (فصلت : 16) .

جاءت كلمة " ريحاً صرصرأ " نكرة ؛ لتدل على العمومية في المكان والزمان ، أي إن الريح الصرصر عامة عند الله ، يرسل (ريحاً) صرصرأ عندما يلزم في المكان والزمان اللذين يحددان

من قبل الله عز وجل ، وليس الريح الصرصر شيئاً ثابتاً يرسل عندما يشاء الله ، والذي يدل على أن زمن الريح الصرصر غير مرتبط بزمن الأقوام الغابرة ، وإنما هو باق حتى يوم الدين ، قوله تعالى الذي يلي كلمة ريحاً صرصرًا ، وهو في (أيام نحسات) ، فكما قال المفسرون فإن هذه الكلمة تفيد الزمان .

**** قال تعالى : " وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٥﴾ " (فصلت : 50) .

جاءت كلمة " رحمة منا " نكرة في الآية السابقة ، من باب التعميم ، أي إن رحمت الله عديدة وهذه واحدة منها ، ولو كان التعبير بـ (الرحمة منا) ، لدل ذلك على أن الرحمة عند الله محدودة ، وهذا لا يناسب رحمة الله الواسعة ، التي شملت كل شيء .

8 — الحذف .

زخرت سورة فصلت بالعديد من المواطن التي تمّ فيها الحذف ، وهذا الحذف جاء على أنماط مختلفة ؛ منها حذف المبتدأ ، وحذف الخبر ، وحذف الفاعل ، وحذف الفعل ، وحذف المفعول به ، وحذف الجملة ؛ ولأن هذه المسألة من الظواهر البارزة في سورة فصلت ، عمدت الدراسة إلى تناولها بشيء من التفصيل ، وذلك من خلال التمثيل على كل نوع من أنواع الحذف بمثال ، وإبراز دلالاته بعد التعرض لمعنى الحذف عند العلماء ودلالاته .

الحذف لغةً : الإسقاط ، ومنه حذفُ من شعري أي أخذتُ منه ¹ . والحذف : القطع مطلقاً ، أو القطع من الطرف . ومنه قولهم : " حَذَفَ الحجام الشعر " أي : قطعه من طرفه . واصطلاحاً : إسقاط جزء من الكلام أو كلاًه لدليل يدلُّ عليه ² . أو هو إسقاط عنصر من عناصر النص سواء كان كلمة أو جملة أو أكثر ، على أن يكون الإسقاط لغرض من الأغراض البيانية مع وجود قرينة تدل على ذلك ³ .

وباب الحذف من الأبواب البلاغية التي ناقشها علماء البلاغة العربية ، ومن أوائل هؤلاء العلماء عبد القاهر الجرجاني ، إذ أفرد في كتابه دلائل الإعجاز باباً تحدث فيه عن الدلالة البلاغية للحذف ،

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حذف) .

² الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 3 / 102 .

³ خلوف ، مصطفى شاهر ، (2009) . أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، (د.ط.) ، عمان ، دار الفكر ، ص 23 .

إذ قال : "هو بابٌ دقيق المسلك ، لطيفُ المأخذ ، عجيبُ الأمر ، شبيهٌ بالسَّحر ، فإنَّكَ ترى به تَرَكَ الذَّكَرَ أفصحَ من الذَّكَرِ ، والصَّمْتَ عن الإفادة ، أزيدَ للإفادة ، وتجذُّكَ أنطقَ ما تكون إذا لم تَتَطَّقْ ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تَبُنْ¹ .

فالجرجاني يؤكد وجود الحذف في كلام العرب ، ويرى أنَّ الحاجة إليه ملحةٌ وضروريةٌ ، وذهب إلى أنَّ المتكلم يستخدمه لغايةً بيانيةً أو دلاليةً يرغب في التعبير عنها . والحذف لا يقتصر على حذف اسم أو حرف وإنما يشمل حذف جملة ، قال ابن جني : " قد حذفت العربُ الجملةَ ، والمفردَ ، والحرفَ ، والحركةَ ، وليس شيءٌ من ذلك إلا عن دليل عليه ، وإلا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته² .

وقد وضَّح الزركشي أنَّ القرآن الكريم يجري على أنواع من الإيجاز منها إيجاز الحذف بالاستغناء عن كلمة أو جملة ؛ لأنَّ في الكلام المذكور ما يدلُّ على المحذوف لفظاً أو سياقاً فلا خفاء في معرفة المحذوف ، ولا إخلال بالفهم ؛ ولهذا اشترطوا أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى³ .
لقد اتَّفَق علماء البلاغة على أنَّه يوجد دافعٌ بلاغي يحكمُ المتحدثَ ويدفعه لأن يحذف بعضَ كلامه ، ويعطيه فضيلةً التخفيف من كثيرٍ من الكلام الذي يُذهبُ بعضه رونق بعض بسبب تكراره أو ثقله لعدم الحاجة إليه ، وبهذا يسمو الكلام من تتابع الألفاظ وتدافعها على المعنى ، قال ابن الأثير : " ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنَّه متى أظهر صار الكلامُ إلى شيءٍ غثٍّ لا يُناسبُ ما كان عليه أوَّلاً من الطلاوة والحسن " ⁴ .

يقول سيبويه : " وأعلم أنه ليس كل حرف يظهر بعده الفعل يحذف منه الفعل ، ولكنك تضرر بعدما أضمرت منه العرب من الحروف والمواضع وتظهر ما أظهرها ، وتجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام ومما هو في الكلام على ما أجروا ، فليس كل حرف يحذف منه شيء ويثبت فيه نحو يكُ ويكنُ ولم يحملهم ذاك على أن يفعلوه بمثله ولم يحملهم إذا كانوا يثنون فيقولون في مرٍّ أو مرُّ أن يقولوا خذ أو خذُ وفي كلٍّ أو كلٍّ أو كلُّ⁵ .

ويرى عبده الراجحي أنَّ الحذف ضرورةٌ لغويةٌ تشترك فيها جميع اللغات ، فقال : " وهي ظاهرة مشتركة في اللغات الإنسانية حيث يميل المتكلم إلى حذف العناصر المكررة أو التي يمكن فهمها من

¹ الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 146 .

² ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، (1952) . الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 2 / 360 .

³ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 3 / 111 .

⁴ ابن الأثير ، المثل السائر ، 2 / 8 .

⁵ سيبويه ، الكتاب ، ص 151 .

السياق ، والطريقة التي يقدمها المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف هي التي قدمها النحو العربي ، وقد التفت النحاة القدماء إلى ظواهر الحذف ووضعوا لها قواعد مبنية على إدراك الاستعمال العربي ، وليس مجرد التقدير المتعسف " 1 .

أمّا فضل عباس فذهب إلى أنّ الحذف أمرٌ لا مناص منه ويزيد الكلام جمالاً ، فقال : " فمن الخصائص الأولى للعربية الإيجاز ، وما دام الأمر كذلك فإنّ كل كلمة أو جملة يمكن أن يفهم المعنى بدونها ؛ لوجود قرائن تدلُّ على الحذف حريّاً بها أن تُحذف ، فإن الحذف ——— إذن ——— أمرٌ لا مناص منه ، فما بالك إذا كان الحذف مزيةً أُخرى يزدانُ بها الكلام حسناً ، ويجمل رونقاً ، ويكون أكثر رواءً ؟ إن لم نقل يوجبه " 2 .

والحذف فائدة بلاغية تحدّث عنها الزركشي فقال : " فائدته زيادةٌ لذّةٍ بسبب استتباط الذهن للمحذوف ، وكلّما كان الشعور بالمحذوف أعمر كان الالتذاذُ به أشدّ وأحسن " 3 . فالغرض من هذا الحذف إثارة انتباه المخاطب وإثارة شوقه إلى إدراك المعنى ، فيعظّم في نفسه شأنه حينما يدركه ، كما أنّه يشعر بمسرةٍ حينما يستتبط بنفسه ما حُذف من الكلام . هذا إلى ما في الحذف من تحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل ، مع الوفاء بالمعنى وتشويق المخاطبين 4 . وسيتناول هذا البحث أهمّ المحذوفات التي وردت في سورة فصلت .

• حذف المبتدأ

حذفت العرب من كلامها المبتدأ حيثما رأت ذلك مناسباً لخدمة المعنى الذي تريد ، وجاء ذلك وفق قواعد وأصول بيّنها النحاة واللغويون فيما بعد ، معتمدين في ذلك على شواهد من القرآن الكريم ، وكلام العرب ، فحدّدوا مواضع الحذف ، وبيّنوا أسبابه البلاغية ، ووضعوا لها قواعد وحدوداً ، لا يجوزُ تجاوزها ، فكانت مواضع الحذف الجوازية ، ومواضع الحذف الوجوبية ، وكانت قواعدهم شاملةً لكل ذلك .

ومن مواضع الحذف الجائز — كما بيّنها النحاة — أن يكون المبتدأ معلوماً تدلُّ عليه قرينةٌ حاليةٌ تُغني عن ذكره ، قال سيبويه : " وذلك أنّك رأيت صورة شخص فصار آيةً لك على معرفة الشخص ، فقلت : عبدُ الله وربّي ، كأنك قلت : ذاك عبدُ الله ، أو هذا عبدُ الله ، أو سمعت صوتاً فعرفت

¹ الراجحي ، عبده ، (1979) . النحو العربي والدرس الحديث ، (د.ط) ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ص 149 - 150 .

² عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ص 247 .

³ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 3 / 105 .

⁴ انظر شيخ أمين ، بكري ، (1990) . البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، (ط 1) ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1 / 126 - 127 .

صاحب الصوت فصار آيةً على معرفته ، فقلت : زيدٌ وربِّي ، أو حسستَ جسداً ، أو شممتَ ريحاً ، فقلت : زيدٌ ، أو المسكُ ، أو ذقتَ طعاماً ، فقلت : العسلُ" ¹.

ومن المواضع التي يحذف فيها المبتدأ جوازاً — كما ذكر ابن هشام — بعد فاء الجواب ². ومن المواضع التي ورد فيها حذف المبتدأ جوازاً في سورة فصلت قوله تعالى : " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ " (فصلت : 46) . أي فعله لنفسه ، وإساءته عليها ، فحذف المبتدأ (المسند إليه) لعدم الفائدة من ذكره ؛ وكأنَّ ذكره يصيرُ عبثاً ، فعندما نجدُ المحذوف لا يزيد شيئاً في المعنى ، بل فيه الخفةُ والاختصارُ من حيثُ اللفظُ ، فمن باب الأولى حذفه . كذلك قوله تعالى : " لَا يَسْعَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوِسُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ " (فصلت : 49) أي فهو يؤوس قنوط ، فالحذف هنا جاء للتخفيف على المستقبل لعلمه بالمحذوف ، بسبب شدة وضوحه وجلائه وظهوره .

وقد وقع في غير ذلك أيضاً كقوله تعالى : " لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٧﴾ " (فصلت : 42) أي هو (الكتاب) ، فالحذف جاء هنا كون السياق السابق واللاحق دالاً عليه ومرشداً إليه ، كذلك تناول الحذف العناصر المكررة أو التي يمكن فهمها من السياق ، فالمثال الأخير حذف فيه المبتدأ لأنَّ محور الحديث الرئيسي القرآن الكريم ، وهذا مفهوم من خلال السياق ، لذا نجد أنَّ المعنى المطلوب حُصِّلَ باللفظ القليل ، والحذف من أجل هذا الغرض يكسب الكلام قوة ويضفي عليه جلالاً وجمالاً .

• حذف الفعل :

تتبع النحاة قديماً مواضع حذف الفعل ، وقسموها إلى حذف جائز لا بأس في ذكره ، وآخر واجب يمتنع فيه إظهار المحذوف لما فيه من مخالفة للقواعد النحويّة . فقال ابن يعيش : " اعلم أنَّ الفاعل قد يُذكر وفعله الرفع له محذوف لأمرٍ يدلُّ عليه ، وذلك أنَّ الإنسان قد يرى مضروباً أو مقتولاً ، ولا يُعلم من أوقع به ذلك الفعل من الضرب أو القتل ، وكلُّ واحد منهما يقتضي فاعلاً في الجملة فيسأل عن الفاعل ، فيقول : مَنْ ضَرَبَهُ أو مَنْ قَتَلَهُ ؟ فيقول المسؤول : زيدٌ أو عمرو ،

¹ سيبويه ، الكتاب ، 2 / 130 .
² ابن هشام ، مغني اللبيب ، 2 / 626 .

يريد ضربه زيداً أو قتله عمرو ، فيرتفع بذلك الفعل المقدر ، وإن لم يُنطق به لأنّ السائل لم يشك في الفعل ، وإنما يشك في فاعله ، ولو أظهره فقال : ضربه زيداً لكان أجود شيء وصار ذكر الفعل كالتأكيد " 1 .

قال ابن مالك في ألفيته :

(الرجز)

ويُحذفُ النَّاصِبُهَا ، إِنْ عَلِمَا وَقَدْ يَكُونُ حَذْفُهُ مُنْتَزِمًا²

ويوضح ابن عقيل هذا بقوله : " يجوز حَذْفُ ناصبِ الفِضْلَةِ إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ، نَحْوُ : أَنْ يُقَالَ : (مَنْ ضَرَبْتُ ؟) فَتَقُولُ : (زَيْدًا) ، وَالتَّقْدِيرُ : (ضَرَبْتُ زَيْدًا) فَحَذْفُ (ضَرَبْتُ) ؛ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا الْحَذْفُ جَائِزٌ ، وَقَدْ يَكُونُ وَاجِبًا نَحْوُ : (زَيْدًا ضَرَبْتُهُ) وَالتَّقْدِيرُ : (ضَرَبْتُ زَيْدًا ضَرَبْتُهُ) ، فَحَذْفُ (ضَرَبْتُ) وَجُوبًا " 3 .

كذلك بيّن ابن هشام بعض المواضع التي يُحذفُ فيها الفعل ، فقال : " يَطْرُدُ حَذْفُهُ مُفَسَّرًا نَحْوُ : " وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ " (التوبة : 6) ، وَيَكْتَرُ فِي جَوَابِ الاسْتِفْهَامِ ، نَحْوُ : " لَيَقُولَنَّ اللَّهُ " (العنكبوت : 61) ، أَي لَيَقُولَنَّ خَلْقَهُنَّ اللَّهُ " 4 .

قال مصطفى خلوف : " الحذف يفتح المجال أمام السامع أو القارئ لتذوق النصوص والاستمتاع بجمالها ، فالسعادة واللذة التي تكتسبها النفس حين اكتشاف المحذوف المجهول وهي تتدبر كتاب الله ، قد لا تعدلها سعادة أو لذة ، اللهم إلا لذة العابدين وهم وقوف بين يدي الله في صلواتهم يتلون ما تيسر من القرآن في تدبر وخشوع " 5 .

ومن المواطن التي حُذِفَ فيها الفعل في سورة فصلت ، قوله تعالى : " وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِى قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ " (فصلت : 47) ، و قوله تعالى : " وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ " (فصلت : 19) ، هذا ما قاله علماء التفسير واللغة⁶ ، ولن يخوض الباحث في دلالة الحذف هنا لأنه يرى أنه لا يوجد حذف ، وكلمة (يوم) هنا ظرف فقط ؛

¹ ابن يعيش ، شرح المفصل ، 80 / 1 .

² ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، 544 / 1 .

³ المرجع السابق ، 544 / 1 .

⁴ ابن هشام ، مغني اللبيب ، 632 / 2 .

⁵ خلوف ، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، ص 161 .

⁶ انظر : الزمخشري ، الكشاف ، 182 / 4 ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 62 / 25 .

ذلك أن الآيتين سيفتا في وصف أهوال يوم القيامة ، والمخاطب في هذه الآيات هم الكفار ، فلا يعقل أن يكون الكافر في وضع أو حالة نفسية تجعله يتذكر هذا الوعيد ، فهو في حالة جعلته لا يستغرب نطق الجلود ، هنا تكمن أهمية فهم المعنى قبل إصدار الحكم النحوي ، فالوقوف على المعنى الحقيقي القريب والبعيد ، يطلعنا على دلالات جديدة ما كانت لتكون لولا تدبر المعنى .

قال تعالى : " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً

لِلنَّاسِ أُولَئِكَ (فصلت : 10) .

فقوله تعالى : (سواءً) مفعول مطلق لفعل محذوف ، والحذف هنا جاء لغرض عقلي ، فهو يدفع السامع أو القارئ إلى التفكير والتأمل لإدراك المحذوف ، وهو إثارة للفكر والحس بالتعويل على النفس في إدراك المعنى المراد لينال بذلك أجر الاجتهاد ، وهو طريق لتقريب الفهم وتسهيل الحفظ بسبب قلة المذكور¹ .

قال الزركشي : " (ومن أغراض الحذف) زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكما كان الشعور بالمحذوف أعسر ، كان الالتئاذ به أشدّ وأحسن " ² .

• حذف المفعول به :

قال ابن عقيل : " الفضلة : خلاف العمدّة ، والعمدة : ما لا يُستغنى عنه كالفاعل ، والفضلة : ما يمكن الاستغناء عنه كالمفعول به ، فيجوز حذفُ الفضلة إن لم يضر ، كقولك في (ضربتُ زيداً) : (ضربتُ) بحذف المفعول به " ³ .

ومن المواضع التي يمنع فيها حذف المفعول به أن يكون نائباً عن الفاعل ؛ لأنه يصبح عمدةً كالفاعل⁴ .

¹ انظر : الزمخشري ، الكشاف ، 4 / 159 .

² الزركشي ، البرهان ، 3 / 105 .

³ ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، 1 / 544 .

⁴ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (د.ت) . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، (ط2) ، بيروت ، دار المعرفة ، 3 / 13 .

ومن المواضع التي ورد فيها المفعول محذوفاً في سورة فصلت قوله تعالى : " بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ " (فصلت : 4) . حيث حذف المفعول في قوله (لا يسمعون) .

من أغراض الحذف حسن الفاصلة ، والمحافظة على تناسبها وتناسقها مع غيرها من الفواصل في السورة¹ ، وهذا الغرض لا يأتي مستقلاً بنفسه ، لأن الأسلوب البياني في القرآن لا يقوم على أساس لفظي محض وإنما يكون الحذف فيه لأغراض معنوية تقويها الأغراض اللفظية دون أن تكون هي الأساس في التعبير عن المراد ، ولأن اللفظ في القرآن تابع للمعنى وليس المعنى فيه تابعاً للفظ² . إضافة إلى ذلك فإن الغرض من الحذف في هذا النص هو المطابقة بين المبنى والمعنى ، أو الملاءمة بين الشكل والمضمون أو التناسق بين الصورة البيانية والصورة الواقعة ، أو المقابلة بين الأداء البياني والحدث الواقع ، بحيث يكون الأسلوب البياني وسيلة صادقة في التعبير عن المعنى المراد³ . وإذا أنعمنا النظر في الآية الكريمة سنجد أن فيها مشهدين الأول هو إعراض المشركين وانقطاعهم عن القرآن الكريم ، والمشهد الثاني يفهم من الحذف في قوله (لا يسمعون) ، ولأن من معاني الحذف الانقطاع ، كان الانقطاع اللفظي وسيلة للتعبير عن الانقطاع المعنوي⁴ . وبذا يكون الإعجاز البياني في أجمل صورته فقد وافق بين الفاصلة القرآنية ، مع المطابقة بين المبنى والمعنى دون خلل في الأولى أو الثانية .

وقوله تعالى " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا لِنَنَا عَمَلُونَ ﴿٥﴾ " (فصلت : 5) . حذف فيه مفعول الفعل (اعمل) ، والغرض من حذف المفعول في هذا النص هو إطلاق الفعل في كل ما يسمح المقام بتصوره مفعولاً لذلك الفعل دون النص على اسم بعينه . قال ابن عاشور : " وحذف مفعولي اعمل وعاملون ليعم كل ما يمكن عمله كل مع الآخر ما يناسبه⁵ .

¹ السكاكي ، يوسف بن أبي بكر ، سراج الدين ، (1937) . مفتاح العلوم ، (ط 1) ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ص 110 .

² انظر : خلوف ، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، ص 189 .

³ انظر المرجع السابق ، ص 187 .

³ انظر بدوي ، أحمد ، (د.ت) . من بلاغة القرآن ، (د.ط) ، مصر ، دار نهضة مصر ، ص 123 .

⁵ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 235 .

وقوله تعالى " إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (فصلت : 14) .

يرى فضل عباس أن مفعول المشيئة والإرادة يحذف للبيان بعد الإبهام ولدلالة ما بعده عليه¹. فمفعول (شاء) محذوف لدلالة ما بعده عليه إذ التقدير : لو شاء ربنا أن يرسل إلينا لأنزل ملائكة من السماء مرسلين إلينا. قال ابن عاشور : " ومفعول شاء محذوف دلّ عليه السياق ، وهذا حذف خاص هو غير حذف مفعول فعل المشيئة الشائع في الكلام ؛ لأن ذلك فيما إذا كان المحذوف مدلولاً عليه بجواب لو كقوله تعالى : فلو شاء لهداكم أجمعين ، ونكتته الإبهام ثمّ البيان ، وأمّا الحذف في الآية فهو للاعتماد على قرينة السياق والإيجاز وهو حذف عزيز لمفعول فعل المشيئة².

وبالعودة إلى النصوص السابقة التي حذف فيها المفعول به ، يتّضح لنا أنه لا بدّ لحذف المفعول به من وجود إحدى القرائن الدالة عليه ، سواء لفظية أو معنوية أو حالية إلى غير ذلك من قرائن ، أمّا قول ابن عقيل : " فإن ضررَ حذفِ الفضلة لم يجزُ حذفها ، كما إذا وقع المفعول به في جواب سؤال ، نحو : أن يُقال : مَنْ ضَرَبْتَ ؟ فنقول : (ضَرَبْتُ زَيْدًا) ، أو وقع محصوراً ، نحو : ما ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا ، فلا يجوزُ حذفُ (زَيْدًا) في الموضعين ؛ إذ لا يحصل في الأوّل الجوابُ ، ويبقى الكلام في الثاني دالاً على نفي الضرب مُطلقاً ، والمقصود نفيه عن غير (زيد) ، فلا يفهم المقصود عند حذفه " ³.

ففي هذا الكلام الدليل القاطع على أهمية ذكر القرينة الدالة على الحذف ، وكذلك في حالة الإخبار الخالية من السؤال أو الاستفسار تتعدد المعاني جرّاء حذف المفعول به أو ذكره⁴ ، فيقول الجرجاني : " فاعلم أنّ أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدّية ، فهم يذكرونها تارةً ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين ، من غير أن يتعرّضوا لذكر المفعولين ، فإذا كان الأمر كذلك ، كان الفعل المتعدّي كغير المتعدّي مثلاً ، في أنك لا ترى له مفعولاً لا لفظاً ولا تقديرًا ، ومثال ذلك قول الناس : (فلان يحلُّ ويعقُدُ ، ويأمرُ وينهى ، ...) والمعنى في جميع ذلك

¹ عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، ص 285 .

² ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 253 .

³ ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، 2 / 156 .

⁴ انظر : حسين ، سورة الإسراء دراسة نحوية دلالية ، ص 175 .

على إثبات المعنى نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة ، من غير أن يُتعرَّضَ لحديث المفعول ، حتى كأنك قلت : صار إليه الحلُّ والعقدُ " ¹ .

حذف الجملة :

حذف الجملة له صور مختلفة في القرآن الكريم وهذه الصور هي : حذف الشرط ، وحذف جوابه ، وحذف القسم ، وحذف جوابه ، وحذف الاستفهام ، وحذف جوابه ، وحذوف عامة ، وفجوات القصّة ² . ومن صور هذا الحذف التي وردت في سورة فصلت قوله تعالى : " وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا

تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥٥﴾ " (فصلت : 5) . فعل الشرط في هذا النص محذوف ، والتقدير : (إن أردت الاستمرار في الدعوة فاعمل ...) ³ . والحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن نفس السامع أو القارئ تذهب في القصد من الفعل وتقديره كل مذهب ، ولو ذكر الفعل لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله أو تضمنه الذكر ⁴ .

وقوله تعالى : " فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٢٧﴾ " (فصلت : 27) . القسم في هذا النص مقدر ⁵ ، وقد حذف القسم إبهاماً ليكون أشد خوفاً للسامع والقارئ ⁶ .

وقوله تعالى : " وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ

وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ " (فصلت : 37) . جواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله أي : فاسجدوا له ⁷ . وقد حذف للتخفيف على السامع أو القارئ لعلمه بالمحذوف لتقدم ذكره ⁸ .

¹ الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 154 .

² خلوف ، أسلوب الحذف في القرآن الكريم ، ص 51 .

³ صافي ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، 24 / 286 .

⁴ انظر: الباقلائي ، محمد بن الطيب ، البصري ، (د.ت) . إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، (د.ط) ، مصر ، دار المعارف ، ص 297 - 396 .

⁵ صافي ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، 24 / 304 .

⁶ انظر: أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، (د.ت) . إرشاد العقل السليم ، الشهير بتفسير أبي السعود ، (د.ط) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ،

64 / 9 .

⁷ صافي ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، 24 / 312 .

⁸ انظر: الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 148 .

وقوله تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ أَلْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٣٨﴾ " (فصلت : 29) . فعل الشرط محذوف مقدر أي : إن ترنا اللذين... نجعلهما ...¹ . يحذف العنصر من النص لقصد احتقار مدلوله وإهانته وإهماله ؛ لأنه قد وصل في الخسة والحقارة إلى موصل يتنزه عن ذكره اللسان ، لصونه وتطهيره من المرور عليه² . وسبب الحذف في هذا الشاهد هو صيانة اللسان عن ذكر المحذوف تحقيراً له .

وقوله تعالى : " فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ " (فصلت : 38) . جواب الشرط في هذا الشاهد محذوف تقديره : إن استكبروا فدعهم ، أو لا تهتمّ بعصيانهم³ . والغرض من هذا الحذف هو التلطف في العتاب ، وفتح المجال أمام المذنب ليعود إلى الله بالتوبة والإنابة .

9 — نظرات دلالية في استخدام بعض الحروف :

• حرفا : (إلى) و (اللام) :

لاحظت أنّ الله عز وجل قال في سورة فصلت " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ " (فصلت : 6) ، وفي مواضع أخرى في القرآن الكريم قال عز وجل : " فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاستَقِيمُوا هُمْ " (التوبة : 7) . وهذا يدل على أن الفعل (استقام) عُدِّي مرة بالحرف (إلى) ومرات أخرى بالحرف (اللام) ، ولا بدّ أن لكل من الصيغتين دلالة خاصة . فما هذه الدلالة ؟ ولم خصت سورة فصلت بالحرف (إلى) فقط ؟

قال ابن عاشور : " فلان رجل مستقيم ، أي صادق الخلق ، وإن أريد صدقه مع غيره يقال : استقام له ، أي استقام لأجله ، أي لأجل معاملته منه . وإنما عدي بحرف (إلى) لأنها كثيراً ما تعاقب اللام ، يقال : ذهب له وذهبت إليه ، والأحسن أن يثار (إلى) هنا لتضمين استقيموا معنى : توجهوا ، لأن التوحيد توجه ، أي صرف الوجه إلى الله دون غيره⁴ .

¹ صافي ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، 24 / 306 .

² انظر: الزركشي ، البرهان ، 3 / 107 ، الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 121 .

³ صافي ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، 24 / 313 .

⁴ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 237 .

لكن لو ربطنا هذه الآية الكريمة بالمقام الذي قيلت فيه ، وهو البعد الذي كان عليه المشركون بالنسبة لرب العباد من جهة ، وبالنسبة للقرآن والدعوة المحمدية من جهة أخرى ، لتبين لنا جلياً الفرق بين الجملتين موضع الدراسة ، إذ إنّ : " استقام إلى الأمر كأنه كان بعيداً عنه ، استقام للأمر معناه قريب منه ، وفي قوله تعالى : (فاستقيموا إليه) ، هذا يعني أنهم بعيدون والمطلوب أن يستقيموا ويعودوا إلى الله .

وقال الحق في موضع آخر : " كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^ط فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ^ج إِنَّ اللَّهَ تَحِبُّ الْمُتَّقِينَ

﴿التوبة : 7﴾ ، في هذه الآية الكريمة ، أنت تعاهد إنساناً أمامك ، لذا جاء قوله تعالى : " فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ " ، فيها قرب بينما الأولى فيها بعد ، وهذا النظم هو عين نظم العرب لأدبهم ، فـ (إلى) في نظامهم اللغوي غاية بعيدة ، واللام غاية قريبة " 1 .

ويرى الباحث أنّ قوله تعالى (فاستقيموا إليه) يدل على أنه أمر إليهم بالاستقامة إلى ما أمرهم الله به ، فالرسول عليه السلام يبلغهم رسالة ربه وأوامره جل شأنه لهم ليستقيموا ويعرفوا حقيقة الدين ، وفي هذا دعوة لهم للإيمان ؛ لأن (محمداً) — عليه الصلاة والسلام — لا يأمرهم بشيء من عنده ، حتى لا يأخذهم الكبر والحسد . أمّا (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) فهو أمر من الله أن يحفظ كل فريق عهده مع الفريق الآخر ، فالأمور التي اتفقوا عليها وتعاهدوا عليها هي من عند أنفسهم ، وهم الذين وضعوها ، وهذا أيضاً أدعى لقبولهم واقتناعهم . وهذا يدل أيضاً على أنّ أوامر الله عز وجل للخلق أوامر عامة ، وأنّ ما يجري بين الناس فهو عهد خاص ، وعليهم أن يحترموها .

• حرف (الفاء) :

قال تعالى : " بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ " (فصلت : 4) .

فما الحكمة في أن الله تبارك وتعالى استخدم (الفاء) في هذا الموضع ؟ في حين إنّهُ استخدم الفعل ذاته في مواضع أخرى استبدل فيها (الفاء) بـ (ثم) كما في المثال التالي :

¹ ملاحظة من برنامج لمسات بيانية ، الذي تبثه قناة الشارقة ، للدكتور فاضل السامرائي .

قال تعالى : " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٥٧﴾ " (السجدة : 22) .

وفي سورة الكهف : " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا^ط وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ " (الكهف : 57) ، وهنا في سورة فصلت قال الحق : " بِشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ " فهل هذا تكرار في القرآن الكريم ؟ وما دلالة اختلاف الحروف قبل فعل الإعراض في كل آية ؟

قوله تعالى في السجدة : " ثمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا " ، وفي فصلت " فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ " ؛ لأن¹ الفاء للتعقيب ، و" ثمَّ " للتراخي ، وما في هذه السورة (فصلت) هو حديث عن الأحياء من الكفار ، إذ ذُكِّروا فأعرضوا عقيب ما ذكروا ، ونسوا ذنوبهم وكان منتظرًا منهم أن يؤمنوا ، وأما في السجدة فهو حديث عن الأموات من الكفار ، بدليل قوله تعالى : " وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ " (السجدة : 12) أي : ذكروا مرة بعد أخرى ، وزمانًا بعد زمان ، ثم بعد ذلك كله أعرضوا عنها طوال حياتهم ، فلم يؤمنوا ، وانقطع رجاء إيمانهم ، والحديث في سورة السجدة عنهم بعد الموت ، وعند الحساب .

أما قوله تعالى في سورة الكهف : " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا^ط وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ " (الكهف : 57) ، فهو حديث عن الأحياء من الكفار أيضاً ، الذين وُعطوا بالقرآن وآياته ونُبهوا على أدلة التوحيد فأعرضوا عنها جانباً ، فأعراضهم جاء عقيب التذكير بآيات الله عز وجل ، لذا ناسب الفعل حرف (الفاء) الذي يفيد التعقيب .

¹ الكرمانى ، أسرار التكرار في القرآن الكريم ، ص 221 .

• حرف (ثَمَّ) :

قوله تعالى : " ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ " (فصلت : 11) .

استقصاء (ثَمَّ) ودورانها في آي القرآن الكريم ، أمر يحتاج إلى بحث ودراسة منفردة ، لذا سيتناول هذا البحث الحديث عن دوران ودلالة (ثَمَّ) في هذه الآية فقط .
قال المرادي صاحب الجَنَى الداني : "ثَمَّ" : حرف عطف يُشْرِكُ في الحكم ، ويفيد الترتيب بمهلة . وهذا مذهب الجمهور" ¹ .

وذكر المالقي صاحب رصف المباني أن لـ "ثَمَّ" في الكلام موضعين :

الأول : أن تكون حرف عطف ، يعطف مفرداً على مفرد ، وجملة على جملة .
والثاني : أن تكون حرف ابتداء ² .

قال ابن هشام : " ثَمَّ " : حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور : التشريك في الحكم ، والترتيب ، والمهلة ، وفي كل منهما خلاف .

قد تأتي " ثَمَّ " لترتيب الإخبار لا لترتيب الحكم ، وأنه يقال : " بَلَّغَنِي مَا صَنَعْتَ الْيَوْمَ ثُمَّ مَا صَنَعْتَ أَمْسٍ أَعْجَبُ " أي ثم أخبرك أن الذي صنَعته أمس أعجب" ³ .

وذهب الفراء إلى أن " ثَمَّ " بمنزلة الواو ، لا تُرْتَبُ . ومنه عندهم : " خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ " (الزمر : 6) ،
ومعلوم أن هذا الجعل كان قبل خلقنا ⁴ .

ومن الآراء التي قيلت حول معنى " ثَمَّ " في هذه الآية ، قول ابن عاشور ، إذ يقول : "ثم للترتيب الرتبي ، وهي تدل على أن مضمون الجملة المعطوفة أهم مرتبة من مضمون الجملة المعطوف عليها ، فإن خلق السماوات أعظم من خلق الأرض ، وعوالمها أكثر وأعظم ، فجيء بحرف الترتيب الرتبي بعد أن قضي حق الاهتمام بذكر خلق الأرض حتى يوفى المقتضيان حقهما . وليس هذا بمقتض أن

¹ المرادي ، الجَنَى الداني في حروف المعاني ، ص 426 .

² المالقي ، أحمد بن عبد النور ، (ديت) . رصف المباني في حروف المعاني ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، طبعة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ص 236 .

³ ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب 1 / 138 .

⁴ عن المرادي ، الجَنَى الداني في حروف المعاني ، ص 428 .

الإرادة تعلقت بخلق السماء بعد تمام خلق الأرض ولا مقتضياً أن خلق السماء وقع بعد خلق الأرض"¹.

قال الطبرسي (ت 548 هـ) : وقوله سبحانه " ثم استوى إلى السماء " يفيد أنه خلق السماء بعد الأرض وخلق الأقوات فيها .²

قال الإمام الرازي (ت 606 هـ) : قوله تعالى : " ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ " ،

مشعر بأنّ تخليق السماء حصل بعد تخليق الأرض ، وقوله تعالى : " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ " (النازعات : 30) مشعر بأنّ تخليق الأرض حصل بعد تخليق السماء وذلك يوجب التناقض ، واختلف العلماء في هذه المسألة ، والجواب المشهور : أن يقال إنه تعالى خلق الأرض في يومين أولاً ثم خلق بعدها السماء ، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض ، وبهذا الطريق يزول التناقض .³

والظاهر عند الباحث أن " ثم " لترتيب الإخبار لا لترتيب الحدث نفسه ، فالله عز وجل ينفرد بعلم أيهما خلق قبل السماوات أم الأرض ، ويجب عدم الخوض في مثل هذا العلم ؛ لأنه من الأمور الغيبية التي لم يخبرنا الحق بما هيته ، فإذا علمنا ذلك آمنا به ، توقفنا على دلالة " ثم " في هذه الآية وتبين لنا أن المقصود هو ترتيب الإخبار ، لذا بدأ الحق بالإخبار عن الأرض وما عليها ذلك أنها مشاهدة ومعروفة وملموسة من قبل المخاطبين ، ولأن المقام مقام شك وتكذيب ترتب عليه لفت الأنظار وشدّ الانتباه للشيء المشهود أولاً كي يكون أثره أسرع وأقوى ، بعد ذلك تمّ الإخبار عن السماوات ومتعلقاتها ، فجاء بحرف الترتيب الإخباري " ثم " للإخبار عن الخبر الثاني ، وهذا يعني أن الخبر الأول أهمّ في مقام هذه الآية ؛ لأنّ المقام تطلب ذلك .

أمّا قول ابن عاشور : "ثم" للترتيب الرتبي ومضمون الجملة المعطوفة أهم مرتبة من مضمون الجملة المعطوف عليها ، هذا قول صحيح إلا أنه لا يعمم ، نعم خلق السماوات أعظم من خلق الأرض ، لكن الذي يحكمنا هو المقام وفي هذا المقام فإنّ مضمون الجملة المعطوف عليها أهمّ من مقام مضمون الجملة المعطوفة .

• حرفا " السين " و " سوف " .

¹ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 25 / 254 .
² الطبرسي ، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن ، 13 / 133 .
³ الفخر الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، 27 / 87 .

قال تعالى : " سُنِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ " (فصلت : 53) .

تباينت آراء العلماء حول هذه القضية ، حتى أُعدت من مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين ، وفي أثناء قراءة الباحث لهذه الآراء ، لم يجد باعثاً لكل هذا الخلاف ؛ ذلك أنّ المسألة واضحة لا لبس فيها ، لو أنّ العلماء جعلوا القرآن الكريم مرجعهم الأول في استخراج الفرق بين " السين " و " سوف " ، فقد زحرت آيات القرآن الكريم باستخدام " السين " تارة و " سوف " تارة أخرى ، وفي كلّ الإستخدامات كانت " السين " تفيد وقوع الفعل وحصوله في زمن قريب ، و " سوف " تفيد وقوع الفعل وحصوله في زمن بعيد ، والذي دفع الباحث إلى هذا الرأي ، دراسة الآيات التي ورد فيها استخدام " السين " و " سوف " ، واستخراج دلالتها ، وهذا ما سنتبته الدراسة من خلال الأمثلة التي سنأتي عليها بعد عرض بعض آراء العلماء المتعلقة بهذه المسألة .

ذهب الكوفيون إلى أنّ السين التي تدخل على الفعل المستقبل ، نحو : " سأفعل " أصلها " سوف " . وحجتهم بذلك أن قالوا : " سوف " كثر استعمالها في كلامهم وجريئها على ألسنتهم ، وهم أبداً يحذفون لكثرة الاستعمال ، فحذف الواو والفاء تخفيفاً .

واستشهدوا على صحة كلامهم أنّ العرب قالوا في " سوف أفعل " : " سَوُ أفعل " ، ومنهم من قال : " سَفَ أفعل " ، وإذا جاز أن تحذف الواو تارة والفاء أخرى لكثرة الاستعمال ، جاز أن يجمع بينهما في الحذف مع تطرق الحذف إليهما في اللغتين لكثرة الاستعمال .

كذلك قالوا : إنّ السين تدلّ على ما تدلّ عليه " سوف " من الاستقبال ، فلمّا شابقتها في اللفظ والمعنى دلّ على أنّها مأخوذة منها ، وفرغ عليها .

وذهب البصريون إلى أنّها أصلٌ بنفسها ، وحجتهم أن قالوا : إنّ الأصل في كل حرف يدلّ على معنى أن لا يدخله الحذف ، وأن يكون أصلاً في نفسه ، والسين حرف يدلّ على معنى ؛ فينبغي أن يكون أصلاً في نفسه ، لا مأخوذاً من غيره¹ .

وقد ردّ ابن الأنباري على كلا القولين ، فجاء ردّه على قول الكوفيين بأنّه قول فاسد ؛ لأنّ الحذف لكثرة الاستعمال ليس بقياسٍ ليُجعل أصلاً لمحلّ الخلاف ، على أنّ الحذف لو وجد كثيراً في

¹ ابن الأنباري ، عبد الرحمن بن أبي الوفاء ، (1998) . الإنصاف في مسائل الخلاف ، قدّم له ووضع هوامشه : حسن حمد ، (ط 1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، المسألة الثانية والتسعون ، 161 / 2 - 162 .

غير الحرف من الاسم والفعل فقلماً يوجد في الحرف ، وإن وجد الحذف في الحرف في بعض المواضع فهو على خلاف القياس ؛ فلا يجعل أصلاً يقاس عليه .
وأما ما رووه عن العرب من قولهم في " سوف أفعل " : " سَوْ أَفَعَلُ " ، و " سَفَ أَفَعَلُ " فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن هذه رواية تفرّد بها بعض الكوفيين ؛ فلا يكون فيها حُجّة .
والثاني : إن صحّت هذه الرواية عن العرب فهو من الشاذّ الذي لا يُعْبَأُ به ؛ لقلته .
والثالث : أن حَذْفَ الفاء والواو على خلاف القياس ، فلا ينبغي أن يُجمع بينهما في الحذف ؛ لأن ذلك يؤدّي إلى ما لا نظير له في كلامهم .
وقال ابن الأنباري : لو أنّ السين تدلّ على الاستقبال كما أنّ " سوف " تدلّ على الاستقبال ، لكان ينبغي أن يستويا في الدلالة على الاستقبال على حدّ واحد ، ولا شكّ أنّ " سوف " أشدّ تراخياً في الاستقبال من السين ، فلما اختلفا في الدلالة دلّ على أنّ كلّ واحد منهما حرف مستقلّ بنفسه ، غير مأخوذ من صاحبه ¹ .

ونظر ابن هشام في المسألة نفسها فقال : " السين المفردة : حرف يختص بالمضارع ، ويُخلّصه للاستقبال ، وَيَنْزِلُ منه منزلة الجزء ، ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به ، وليس منقطعاً من " سوف " خلافاً للكوفيين ، ولا مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف خلافاً للبصريين ، ومعنى قول المعربين فيها " حرف تنفيس " حرف توسيع ، وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق — وهو الحال — إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال ... وزعم بعضهم أنها قد تأتي للاستمرار لا للاستقبال " ² .

وقال الزمخشري : " السين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة " ووجهه أنها تنفيد الوعد بحصول الفعل ؛ فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه ، وقد أوماً إلى ذلك في سورة البقرة فقال في " فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ " (البقرة : 137) :
ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين ، وصرح به في سورة براءة فقال في " أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٦﴾ " (التوبة : 71) : السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ؛ فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت " سأنتقم منك " .

¹ انظر: ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ص 162 .
² ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، 1 / 158 .

" سوف " مرادفة للسين ، أو أوسع منها ، وتنفرد عن السين بدخول اللام عليها نحو : " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ " (الضحى : 5) . وبأنها قد تفصل بالفعل الملغى ، كقول زهير :

(الوافر)

وما أدري وسَـوْفَ إخال أدري
حـ صـ نـ أم نـ سـ اء¹

هذه بعض آراء العلماء حول هذه المسألة ، ونقف الآن على بعض الآيات القرآنية ، التي تدعم الرأي الذي تبناه الباحث .

وردت كلمة " سوف " في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة ، وقد حملت هذه الكلمة الدلالة نفسها في جميع الآيات التي وردت فيها ، وهي الدلالة على الزمن البعيد ، وهذا ما سنتبينه من خلال استقراء بعض الآيات ومنها :

1 - قوله تعالى : " وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ " (النساء : 30) ، بالعودة إلى السياق القرآني نجده يتحدث عن نهي ، وتنبية القرآن

الكريم لأمر لم تقع بعد وهي أكل أموال المؤمنين بعضهم بعضاً بالباطل ، وقتل أنفسهم ، ويخبرهم أن مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ سوف يصلى ناراً ، لكن هذه النار التي وُعدوا بها هي في الحياة الدنيا أم في الآخرة ؟ قطعاً في الحياة الآخرة ، وهذا علم مواعده عند الله عزّ وجلّ ، لذا ناسب الإخبار عن هذا الموعد البعيد بـ " سوف " . وما يندرج على الآية السابقة من حيث المعنى الذي أفادته " سوف "

ودلالاتها ، يندرج على قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ " (النساء : 56) ، وقوله

تعالى : " فَسَوْفَ تُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ " (الانشقاق : 8) ، وقوله تعالى : " خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ

خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ " (مريم : 59) .

¹ أبو سلمى ، زهير ، (1988) . ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق : علي حسن فاعور ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ص 17 .

2 - قوله تعالى : " فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ " (النساء : 74) ، وعد الله الشهداء دخول الجنة ، وهذا يعني أن هذا الأجر مؤجل إلى الحياة الآخرة ؛ لذا جاء التعبير بـ " سوف " لإفادة أن هذا الموعد لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ ، وهذا القول يندرج على قوله تعالى : " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ " (النساء : 114) ، وقوله تعالى : " إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ " (النساء : 146) .

3 - قوله تعالى : " وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ " (مريم : 66) ، الفترة التي يقضيها الإنسان بعد موته إلى أن يبعث حياً يوم القيامة لا يعلمها إلا الله ، إلا أن المؤكّد أنّها ليست فوريّة حاليّة ، بل مدتها بعيدة ، وهذا المعنى ناسبه التعبير بـ " سوف " .

4 - قوله تعالى : " قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾ " (يوسف : 98) ، المتكلم هو سيدنا يعقوب عليه السلام ، والمخاطب هم أبناؤه باستثناء سيدنا يوسف عليه السلام ، وبسبب ما فعله أبناؤه بأخيهم سيدنا يوسف ، فقد أحدث ذلك عنده شيئاً من الرفض والعتب الشديد عليهم ، لذلك عندما ندم أبناؤه على فعلتهم وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم عند الله ، لم يجب دعوتهم مباشرة بسبب عدم رضاه عنهم ، ورغبته في ترك أمرهم لله ، وعليه فقد جاء التعبير بـ " سوف " كي لا يفهم أن سيدنا يعقوب أجاب طلبهم مباشرة .

5 - قوله تعالى : " ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ " (الحجر : 3) ، المقام مقام شكٍ وتكذيب بالرسول الكريم والقرآن المجيد ، فجاء الحق ليخبر رسوله الكريم أن هؤلاء الكفار سوف يأتي يوم يندمون فيه على ما كانوا يصنعون ، ويعلمون أنك يا محمد كنت على حق ، لكن هذا اليوم يوم الندم لا يكون في الحياة الدنيا وإنما في الحياة الآخرة ، أي بعد زمن بعيد ، لذا جاء

التعبير عن هذا المعنى بـ " سوف " ، وهذا يندرج على قوله تعالى : " الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون " (الحجر : 96) .

6 . قوله تعالى : " قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿١٧٦﴾ " .

(الكهف : 87) ، قال الزمخشري : " كانوا كفرة فخيره الله ————— يعني ذا القرنين ————— بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام ، فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال : أَمَّا مَنْ دَعَوْتَهُ فَأَبَىٰ إِلَّا الْبَقَاءَ عَلَى الظلم العظيم الذي هو الشرك : فذلك هو المعذب في الدارين " ¹ ، الذي يفهم من قول الزمخشري أن ذا القرنين لم يباشر العذاب مباشرة بهؤلاء القوم ، وإنما دعاهم أولاً ، وترك لهم مجالاً للتفكير والتأمل للعودة إلى الحق ، وهذا يحتاج إلى فترة زمنية طويلة نسبياً ، لذا جاء التعبير عن هذا المعنى بـ " سوف " .

7 — قوله تعالى : " وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ " (الصافات : 175) ، قال الزمخشري :

" ... فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصر والتأييد والثواب في العاقبة . والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة : الدلالة على أنها واقعة لا محالة " ² ، هذا القول يفيد أن الإبصار المقصود هو إبصار الحالة المنتظرة الموعودة ، وهذه الحالة في الحياة الآخرة ، لذا ناسب التعبير عنها بـ " سوف " .

أما السين فقد وردت في مواقع عدة في القرآن الكريم ، وكلها تفيد الدلالة على الزمن القريب ، وهذه الدلالة ستبرز من خلال المواضع التي سنقف عليها ومنها :

1— قوله تعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٢﴾ " (الكهف

: 83) ، المقام مقام امتحان للرسول الكريم من قبل المشركين ، لذا لزم الموقف أن تكون إجابة الرسول الكريم فورية وحالية ليدحض تكذيبهم وافتراءهم ، لذا لزم التعبير عن هذا الموقف بـ " السين " بدلاً من " سوف " وهذا روعة البيان القرآني .

2 — قوله تعالى : " كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ " (النبأ : 4) ، لما أنكر المشركون البعث قيل لهم :

ألم يخلق (مَنْ يضاف إليه البعث) هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة . أو قيل لهم : ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة . والحكيم لا يفعل فعلاً عبثاً ، وما تتكرونة من البعث والجزاء مؤداه إلى

¹ الزمخشري ، الكشاف ، 2 / 716

² الزمخشري ، الكشاف ، 4 / 65

أنه عابث في كل ما فعل¹، ولنا أن نتساءل لم عبّر الحق — "السين" التي تفيد الزمن القريب أو الحالي في أن البعث الذي يتساءلون عنه بعيد جداً! والجواب هو أن الحق تبارك وتعالى أراد أن يفند سخريتهم بأن يلفت أنظارهم إلى الآيات البيّنات الظاهرة أمام أعينهم، التي لا تقل أهمية عن البعث وهي خلق الأرض والجبّال والذكر والأنثى؛ ولأنّ علمهم بهذه الآيات حاصل استخدم الحق تبارك وتعالى "السين" لتفيد حتمية علمهم الفوريّة بهذه الآيات، التي يترتب عليها علمهم بالبعث.

3 — قوله تعالى: " سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوا إِلَى

الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ " (النساء: 91)، في هذا المقام يُعلم الحق تبارك وتعالى المؤمنين المنهاج الذي يجب أن يتبعوه في التعامل مع المشركين، الذي يتعلّق بالقتال؛ ولأنّ المنافقين من المشركين، بيّن الحق آليّة التعامل مع كل فئة، وأخبرهم أنّ من هذه الفئات التي ستقابلهم قوم من بني أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم²، فلأنّ مجيء قوم أسد وغطفان موضع الحديث كان في بداية الدعوة، ولم يمكث مجيئهم إلا فترة زمنية قصيرة جداً، ناسب ذلك استخدام "السين"، لا كما زعم بعضهم أنّها قد تأتي في هذا المقام للاستمرار لا للاستقبال³.

4 — قوله تعالى: " سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ " (البقرة: 142)، من الأمور الأساسيّة

التي عالجها القرآن الكريم المكيّ هي تحويل قبلة المسلمين إلى قبلة خاصّة بهم، تختلف عن قبلتهم التي كانوا عليها قبل الإسلام؛ ولأنّ الحق تبارك وتعالى يعلم أنه سيوجد جماعة يعارضون هذا التحول، أخبر عنهم قبل أن يأمر المسلمين بتحويل قبلتهم، وفائدة ذلك أنّ مفاجأة المكروه أشدّ، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدّمه من توطين النفس، وأنّ الجواب العتيّد

¹ انظر: المرجع السابق، 4 / 672.

² انظر: الزمخشري، الكشاف، 1 / 536.

³ انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 1 / 158.

قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه¹؛ ولأنّ تحويل القبلة لم يستغرق من الوقت إلاّ القليل ناسب ذلك استخدام " السين " التي تفيد حصول الفعل في الزمن القريب .

من خلال الأمثلة السابقة تبرز دلالة الفرق بين " السين " و " سوف " ، لكن يبقى هذا البحث بحاجة إلى دراسة الفرق في استخدام " السين " و " سوف " ما بين القرآن الكريم والأدب العربي ؛ ذلك أنه تبيّن للباحث صحّة قول الزمخشري بحتميّة وقوع الفعل الذي يأتي بعد " السين " و " سوف " في القرآن الكريم ، فهل هذا الأمر يندرج على الشعر والنثر العربي ؟ كذلك اقترنت " سوف " في بعض المواضع بـ " اللام " فما دلالة ذلك ؟ هذه الإشارات ما زالت بحاجة للبحث ، وتنتظر من يتبيّن وجوهاً أخرى من أوجه الإعجاز القرآني .

نعود إلى الآية الكريمة موضوع الدراسة لنتبيّن دلالة استخدام " السين " بدلاً من " سوف " .

المقام مقام شكٍ وتكذيب بالرسول الكريم والقرآن المجيد ؛ لذا كان لا بدّ من حصول الفعل الذي يدحض كذبهم في أسرع وقت ، وآيات الله عزّ وجلّ في الآفاق ظاهرة لا مجال لدحضها ونفيها ، وهي على مرأى من أعينهم ، فهي حاصلة بمجرد أن يفتح الإنسان عينه ، لذا ناسب هذه الرؤية السريعة استخدام " السين " .

كذلك تفيد السين الكشوفات المستقبلية المتعددة والمستمرة ، وضمير الغيبة (سنريهم) يدل على أن الخطاب لكل الناس ، وبخاصة من غير المسلمين ، الذين سيصل إليهم الخطاب القرآني عبر العصور .

وربما يكون هذا الكشف العلمي المستمر لآيات الله في الآفاق ، معيناً أو عاملاً على إيمان هؤلاء الناس الذين قد يجذبهم العلم ، وهم لا يعرفون اللغة العربية التي هي وسيلة الإقناع الأولى .

¹ انظر : الزمخشري ، الكشاف ، 1 / 197

المبحث الثاني

بعض الحقائق العلمية في سورة فصلت

مكونات الجلد ووظائفه :

من الآيات التي يجب الوقوف أمامها طويلاً وتدبرها جيداً ذلك المشهد من مشاهد يوم القيامة ، الذي صور فيه القرآن الكريم المفاجأة المذهلة التي يواجهها هؤلاء الناس الذين يكفرون بآيات الله في الدنيا ، ولا يستمعون إلى أوامره ونواهيهِ ، ويستغرقون في شهواتهم وعنادهم فإذا بهم أمام كتاب مسجل ————— صوتاً وصورةً ————— يشهد عليهم بالحق ، ويريهم أعمالهم حيّة واضحة كما فعلوها في الدنيا.

يقول الله تبارك وتعالى متحدثاً عن موقف عظيم من مواقف يوم القيامة : " وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۗ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ " (فصلت : 19 ————— 23) .

تعامل السلف الصالح من المفسرين والعلماء العرب مع كتاب الله عز وجل وفق معطيات عصرهم ؛ لذلك نجد تفاسيرهم تكاد تخلو من الإشارات العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم ، وهذا لا ينقص من قدرهم ؛ فالقرآن صالح لكل زمان ومكان ، وأساس الإعجاز فيه هو البيان ، لذلك تعامل هؤلاء العلماء مع بيان القرآن ، كون شعوب عصرهم اشتهروا بالفصاحة والبيان .

العصر الحديث عصر الإنجازات والاكتشافات العلمية ، ففي كل يوم يظهر علينا اكتشاف جديد ، فهل قرآنا العظيم بمعزل عن العلم الحديث ؟ .

الآيات السابقة تصور لنا مشهداً سوف يتعرض له كل مَنْ كان في قلبه _____ في أثناء حياته _____ شك في هذا القرآن ، وفي رسالة الإسلام ، وفي هذا الدين الحنيف . هؤلاء سماهم القرآن (أعداء الله) فقال: "وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ" . ولكن الذي يستدعي الوقوف طويلاً في هذا النص الكريم قول الله تبارك وتعالى: " قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ " والسؤال : كيف يمكن لهذا الجلد أن ينطق ؟ ولماذا خصّ الجلد بالنطق عن السمع والبصر ؟ وهل هذا يعني أنّ السمع والبصر لا ينطقان يوم القيامة ؟ ولماذا قدّم السمع على البصر في سائر كتاب الله عز وجل إلاّ آية واحدة ؟ ولماذا جاءت كلمة السمع بالمفرد والأبصار بالجمع ؟ ولماذا جاءت كلمة (جلود بالجمع لا بالمفرد ؟ وأخيراً لماذا خصّت هذه الحواس الثلاث بالشهادة واستثنيت حاستنا الشم والذوق ؟ كلّ هذه الأسئلة تحتاج لبحث معمّق للإجابة عنهما ، والله أسأل أن أوفق في الإجابة عن هذه الأسئلة ولو بالشيء القليل .

في البداية لا بدّ من التعرف على الجلد ووظائفه ، كما بينها لنا العلماء.

الجلد أكبر عضو من أعضاء الجسم ، ويمثل سدس وزن الإنسان ويعمل كغلاف وقائي يقوي الإنسان من شر المؤثرات المحيطة به والضارة؛ مثل الحرارة والبرودة والأوساخ والبكتريا والتلوث ، وهو يعزل الجسد عن مختلف أنواع الصدمات والتآكل ، ويبقي الماء والجراثيم خارج الجسد ويمنعها من الدخول.¹

يفرز الجلد الدهون والزيوت ليبقى في حالة مرنة وناعمة ويقاوم الجفاف ، ويحوي الغدد الخاصة بإفراز العرق فتكون هذه الغدد بمثابة أداة لتصريف السموم والمواد الكيميائية غير الضرورية إلى خارج الجسم .

¹ عيد ، محمد السقا ، (دب). مقال حقيقة نطق الجلد ، منتديات أهل العرب ، ص 2 . <http://ahlal3rb.yoo7.com>



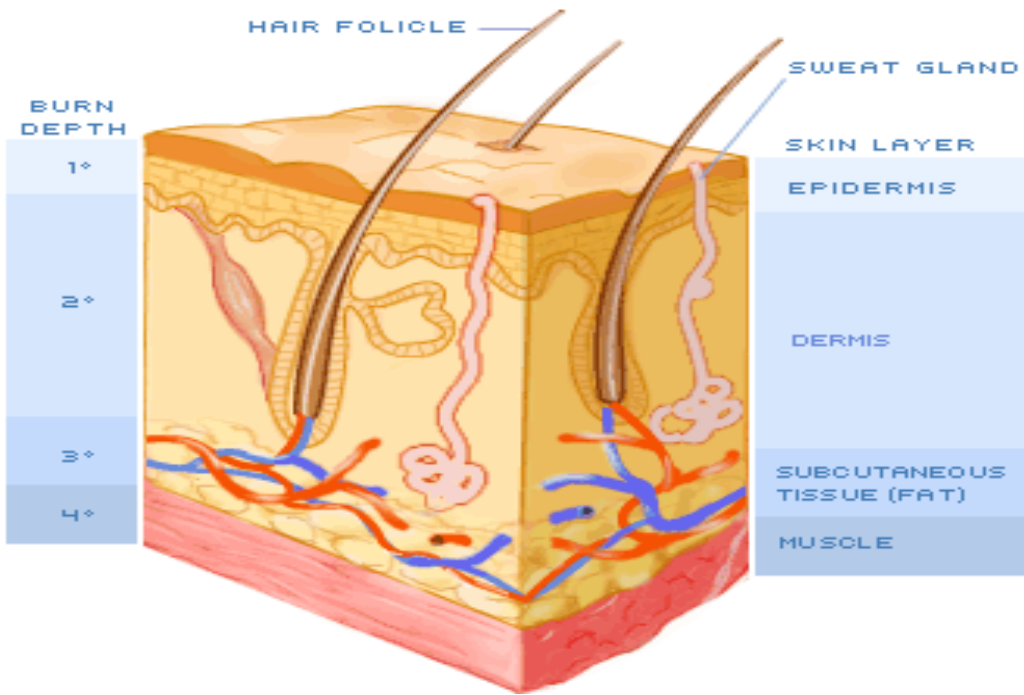
الرسم السابق يظهر لنا عدداً ضخماً من البكتيريا والأوساخ والغبار الذي تظهر على سطح الجلد ، ومن هنا ندرك لماذا حرص الإسلام على طهارة البدن وعلى الاغتسال والوضوء .

يتركب الجلد كما توصلت إليه البحوث الحديثة من ثلاث طبقات ؛ الخارجية (السطحية) الرقيقة وتسمى البشرة Epidermis ، والوسطى (المتوسطة) وتسمى الأدمة Dermis ، وهي الجلد الحقيقي، والداخلية (السفلى) وتسمى النسيج تحت الجلد Subcutaneous tissue ، وأما البشرة فهي طبقة خالية من الأوعية الدموية ، وتقوم بحماية الجسم من التأثيرات الخارجية والصدمات ، وهي أرق طبقات الجلد ، وإن كانت تتألف من أربع طبقات ثانوية ، بالإضافة إلى طبقة خامسة في مناطق مثل راحة اليد وباطن القدم ، وتسمى (الطبقة الصافية) أي: الطبقة الرائقة.¹

¹ عيد ، مقال حقيقة نطق الجلد ، ص 3 .

أما الأدمة فتحتوي أوعية دموية ، وغدداً عرقية ، وبصيلات الشعر، والنهايات العصبية المستقبلية للألم والشعور بالحرارة والبرودة واللمس وخلافه ، كما أنها هي التي تحدد ثخانة الجلد في مناطق مثل: راحة اليد وباطن القدم ، وتتراوح ثخانة الجلد بين 0.5 — 5 ملليمترات ، حسب مناطق الجسم .¹

رسم رقم (2) : يبين لنا طبقات الجلد .



حقيقة نطق الجلد :

الجلد في حالة حركة دائمة ، فالخلايا تنمو وتتحرك من الطبقات الداخلية إلى السطح الخارجي ثم تموت وتتبديل ، ويبدل الجلد كل دقيقة بحدود 40 ألف خلية جلدية ! وخلال شهر تتبدل كل خلايا الجلد، أي إن كل واحد منا يغير جلده كل شهر تقريباً دون أن يشعر. و 95 بالمئة من خلايا الجلد لها مهمة واحدة هي العمل على تجديد الخلايا ، و 5 بالمئة تعمل على تلوين الجلد باللون المناسب ، أي تعمل على صنع مادة melanin التي تعطي البشرة لونها ، وقد وجد الباحثون أن تعريض الجلد

¹ المرجع السابق ، ص3 .

للشمس لفترات طويلة يؤدي إلى الإصابة بسرطان الجلد ، وتكون النسبة أكبر لدى النساء .
تبلغ مساحة سطح الجلد الذي يغطي الإنسان بحدود مترين مربعين ، والجلد الذي نراه نظيفاً
وناعماً وأملساً ، يحوي على سطحه ملايين البكتيريا والجراثيم . وهو يساعد على بقاء الجسم عند
درجة الحرارة الصحيحة ¹.

إذاً نحن أمام جهاز تتعدد وظائفه مما يبعث على الانبهار والإعجاب ، ومن هذه الوظائف التي لم
تذكر سابقاً:

_____ تمثل البشرة درعاً واقياً يمنع وصول الجراثيم إلى الجسم .

_____ في الجلد يتم صنع الفيتامين " D " بتأثير أشعة الشمس .

_____ الجلد هو الرسول الأمين والحارس اليقظ الذي يستقبل الحس .

_____ الجلد يحفظ درجة حرارة الجسم ثابتة بواسطة الغدد العرقية .

_____ يخرج مع العرق جزء من الفضلات السامة التي تطرحها الأنسجة في الدم ، والتي يعتمد
الجسم في خلاصه منها على الكليتين والرتئين .

_____ يشارك الجلد في عملية التنفس ولو بقدر ضئيل بواسطة المسام المنتشرة فيه .

وبعد هذا الشرح الطويل نسبياً عن الجلد ووظائفه نأتي للإجابة عن الأسئلة التي تم طرحها سابقاً
:

لاحظ العلماء في السنوات القليلة الماضية أنه يوجد ذاكرة لخلايا الجلد ، ولكن كيف بدأت قصة
هذا الاكتشاف ؟

قام الدكتور كلارك أوتلي ، بمئات العمليات لزراعة الجلد ، فكان يأخذ قطعة من جلد شخص
ويزرعها لشخص آخر احترق جلده مثلاً ، ولكن كانت النتيجة أن المريض الجديد صاحب الجلد
المحروق الذي تم استبدال جلده ، غالباً ما يصاب جلده بالسرطان ، ولا يتقبل هذا الجلد .

وبعد بحث طويل لعلاج هذه المشكلة تبين أن هنالك ذاكرة طويلة لهذا الجلد ، ولذلك قال هذا
العالم : ربما يكون أكثر أجزاء الجسم الذي تملك ذاكرة طويلة هو الجلد ، فالأحداث التي تمرّ على
الإنسان والأشياء التي يقوم بها الإنسان جميعها تختزن في سجلات خاصة داخل خلايا جلد الإنسان ،

¹ عيد ، مقال حقيقة نطق الجلد ، ص 3 .

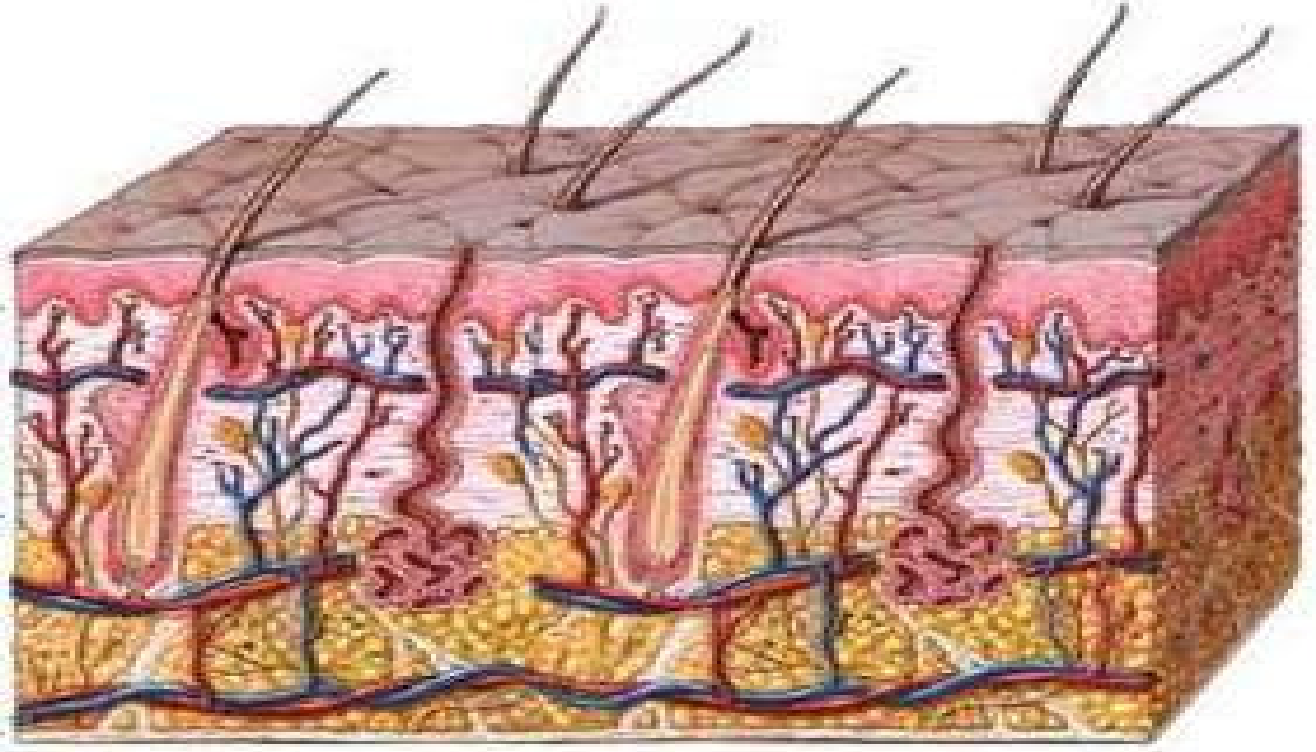
لأن هذا الجهاز (جهاز الجلد) يغطي تقريباً كل مساحة جسم الإنسان ، لذلك فهو مثل الرادار يستقبل هذه المعلومات (يستقبل البيانات) ويخزنها ، حتى إن الإنسان يموت وتبقى هذه الذاكرة موجودة في خلايا جلده.

وعندما حلل العلماء هذا الجلد وجدوا أنه يتألف من طبقات ، وأن من مهام طبقات الجلد وخلايا الجلد ليس مجرد الحفاظ على الجسد ، أو التعرق أو حماية الجسم من المؤثرات الخارجية ، بل هنالك عمل آخر وهو أن هذا الجلد يقوم بتخزين هذه المعلومات وإبقائها لفترات طويلة ، ووجدوا أيضاً أن هذه الخلايا تتأثر بالترددات الصوتية ، بل إن خلايا الجلد تصدر ترددات صوتية أيضاً ، وهنا ربما ندرك كيف أن الله تبارك وتعالى جعل هذه الميزة في الجلود لتكون دليلاً لأولئك المشككين على صدق كلام الله تبارك وتعالى: فـ (خلايا الجلد) تختزن المعلومات وهي في حالة اهتزاز دائم ، وتتأثر بالأصوات بل وتصدر الترددات الصوتية ولكن هذه الترددات لا نسمعها ؛ لأنها تحتاج إلى أجهزة حساسة جداً لالتقاط هذه الذبذبات الصوتية.¹

رسم رقم (3) : يمثل مقطعاً في الجلد البشري ، حيث نلاحظ أن الجلد يتألف من طبقات ، وهذه الطبقات تتألف من خلايا ، وهذه الخلايا لديها القدرة على تخزين المعلومات لفترات طويلة ، ولذلك يقول العلماء : إن للجلد ذاكرة طويلة الأمد!

¹ الصعيدي ، عادل ، (د.ت) . مقال مهام خلايا الجلد ، موقع جامعة الإيمان – منتدى التوحيد . www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=2429

رسم رقم (3) :



قام عبد الدائم كحيل بدراسة نشرها على موقعه ، تحدث فيها عن آخر ما توصل إليه العلماء حول ذاكرة الجلد ، ومما جاء في هذه الدراسة قوله : لسنوات عديدة حاول العلماء كشف أسرار الذاكرة وتوجهوا إلى أعماق الخلية بهدف الكشف عن أماكن تخزين الذكريات والمعلومات لدى الإنسان . إنهم يعلمون أن هناك ذاكرة وراثية يتم تخزينها في شريط المعلومات الوراثي المسمى DNA فماذا كانت نتائج آخر الأبحاث العلمية حول الذاكرة ؟

وجد الباحثون أن الخلايا تحوي جزيئات تسمى $CaMKII$ وهذه الجزيئات مسؤولة عن تخزين الذكريات ، وهذه النتيجة اكتشفت لأول مرة، وقد تأكد منها الباحثون من خلال مهاجمة هذه الجزيئات عند الفأر ، فكانت النتيجة أنه محيت الذاكرة تماماً ثم بعد ذلك استعادت قدرتها على التخزين، تماماً

مثل القرص الصلب في الكمبيوتر عندما يخزن المعلومات ، ويمكن أن نحورها ثم نخزن معلومات أخرى من جديد.¹

ويمكن القول إنه من المحتمل أن تكون هذه الذاكرة موجودة في جميع الخلايا للكائنات الحية . وبخاصة أن العلماء بدأوا بالفعل يتحدثون عن ذاكرة للقلب وذاكرة للخلايا وذاكرة للجلد وغير ذلك من أنواع الذاكرة

إن العلماء يؤكدون وجود صوت لخلايا الجلد تتطرق به، ولكننا لا نفقه ما تقوله!! وهذا الاكتشاف حديث لم يكن لأحد علم به زمن نزول القرآن .

يوجد في أعماق خلايا الجلد سجلات خاصة أشبه بسجلات الكمبيوتر تحفظ المعلومات والأحداث التي تدور حول الجلد ، وتحفظ كذلك الأصوات التي تُحكى والأفعال التي تقوم بها. ويقول الدكتور "كلارك أوتلي" وهو الذي أشرف على مئات العمليات الخاصة بزراعة الجلد ونقله من أشخاص لآخرين: إن الجلد يملك ذاكرة طويلة جداً، فهو لا ينسى .

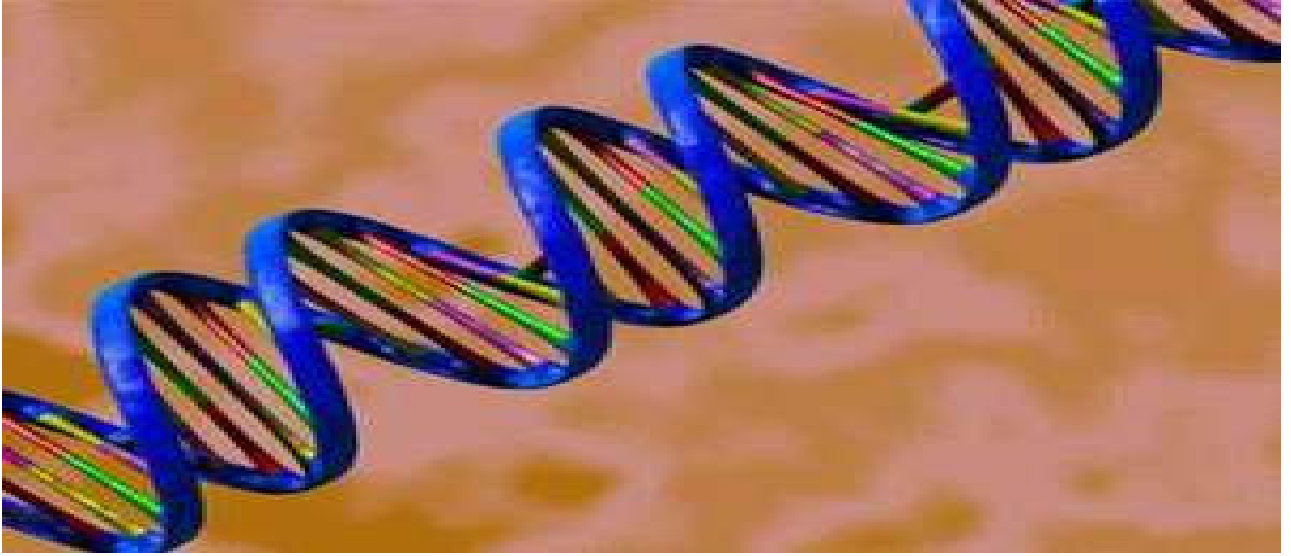
وقد وصل هذا العالم إلى هذه النتيجة بعد أن وجد أن 70 بالمئة من الذين أُجريت لهم زراعة الجلد من أشخاص آخرين قد أُصيبوا بسرطان الجلد بعد فترة قصيرة من العملية . وهذه مشكلة كبرى لم يستطع الطب أن يجد لها علاجاً ، ويقول العلماء إن جلد كل إنسان له خصوصية كبيرة فهو خزان للمعلومات ؛ لذا يحاول الباحثون اليوم تعديل الشريط الوراثي لخلايا الجلد حتى ينزعوا منها الذاكرة والمعلومات المخزنة لتصبح أكثر قابلية للزرع وتجنباً للسرطان.²

رسم رقم (4) ورسم رقم (5) : يوضح لنا فيه شريط ال "دي إن إي" :

¹ الكحيل ، عبد الدائم ، (د.ت). مقال الإعجاز العلمي في قوله تعالى : " حتى إذا ما جاوزها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون " ، موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة . [/www.kaheel7.com](http://www.kaheel7.com)

² الكحيل ، مقال الإعجاز العلمي في قوله تعالى : " حتى إذا ما جاوزها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون " .

رسم رقم (4) :



رسم رقم (5) :



يقول العلماء إن هذا الشريط الوراثي المعقد يصدرذبذبات صوتية بشكل مستمر، أي إن له لغة ينطق بها ، وهذا الشريط موجود في جميع خلايا الجسد ؛ خلايا العين وخلايا الأذن وخلايا الجلد ؛ لذلك فمن المحتمل أنه يقوم بتخزين المعلومات بطريقة ما ، ومن الممكن استرجاع هذه المعلومات في وقت آخر ويحوي 3000000000 معلومة ، وفيه كل البرامج التي تضمن سلامة عمل الخلية.

1

ماذا نعني بالشريط الوراثي ؟

إنه جزيء صغير جداً يوضع في أعماق كل خلية من خلايا الجسم ، يحوي في داخله أكثر من ثلاث آلاف مليون معلومة ، ويحوي البرامج اللازمة لتكاثر الخلية ، وفيه المعلومات التي تضمن سلامة الخلية وسلامة الجسم بشكل عام . ولكن من الأسرار التي أودعها الله في هذا الحمض النووي الذي يسمى DNA أنه لا يوجد اثنان في العالم يتشابهان في هذا الحمض . ولذلك فهو " بصمة وراثية " ممتازة للتعرف على شخصية الإنسان ، وتميزه عن غيره .²

علماء من جامعة أريزونا بالإضافة إلى بعض الباحثين مثل الدكتورة (ليندا راسك) يعتقدون أن الذاكرة مخزنة في كل خلية من خلايا جسدنا ، وهذه الطاقة تظهر تأثيراتها عندما يتم نقل عضو من شخص لآخر ، لذلك يقول العلماء اليوم : إن تاريخ كل منا مكتوب داخل كل خلية من خلايا جسده ، فنحن عندما نقوم بأي تصرف فإن خلايا العين مثلاً والخلايا المتصلة معها إلى الدماغ جميعها تمر المعلومات عبرها ، وتمر المعلومات عبر ملايين الخلايا ، في أثناء مرورها من العين إلى الدماغ ، وتخزن في سجلات دقيقة ، وبرامج أودعها الله تبارك وتعالى في داخل كل خلية.

كذلك كل صوت نسمعه أو نتكلم به ، فإن هذه الترددات الصوتية تنتقل عبر الأذن إلى الدماغ وطيلة هذه الرحلة من الأذن إلى الدماغ ، هنالك أيضاً بلايين الخلايا تمر عليها وتخزن في داخلها . وهذا يعني أن خلايا السمع تختزن المعلومات ، وخلايا البصر تختزن المعلومات ، وربما يكون أطول ذاكرة للخلايا موجودة في الجلد .³

¹ الكحيل ، مقال الإعجاز العلمي في قوله تعالى : " حتى إذا ما جاوزها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون " .

² عيد ، مقال حقيقة نطق الجلد ، ص 3 .

³ نجا ، محمود عبدالله إبراهيم ، (د.ت) . مقال الإعجاز العلمي في خلايا أعضاء الإنسان ، منتدَى التوجيه الفني لـدور القرآن الكريم .

www.dar-quran.com/vb/index.php

وتبين للعلماء أخيراً أن لكل شيء في الكون تردده الصوتي الخاص به ، ويسمى الرنين الطبيعي ، وأن هذا الجسم عندما نعرضه لذبذبات صوتية بتردد يساوي تردده الخاص ، فإنه سيبدأ بالتجاوب والاهتزاز ، ولذلك فإن جميع الأشياء في الطبيعة من إنسان أو جماد أو حيوان تتأثر بالصوت.

ثم بعدما تطورت أجهزة قياس الترددات الصوتية ، وجد العلماء أن كل شيء في الكون تقريباً يصدر ترددات صوتية ، فالخلايا تصدر هذه الترددات سواء في الإنسان أو النبات أو الحيوان . وكذلك النجوم تصدر أصواتاً ، والكون في بداية خلقه أصدر ترددات صوتية بسبب توسعه المفاجئ ، وكذلك اكتشف علماء وكالة ناسا أن الثقوب السوداء تصدر ترددات صوتية ، وأن النجوم النيوترونية تصدر ترددات صوتية تشبه صوت المطرقة ، واكتشف علماء النبات أصواتاً خفية تصدرها النباتات وتتأثر بالأصوات أيضاً ، والحشرات بجميع أنواعها لها ترددات صوتية خاصة بها ، حتى إن خلايا القلب تصدر ترددات صوتية خاصة بها ، وهكذا كل شيء ينطق في هذا الكون ¹ !

ولي أن أسجل بعد عرض هذه الحقائق العلمية ، أن الحق سبحانه وتعالى صور لنا مشهداً مرعباً من مشاهد يوم القيامة ، مشهداً يجعل أعداء الله — لهول هذا الموقف — لا يستغربون نطق الجلود وإنما يلومونها لشهادتها عليهم ، فالله عز وجل وضع أجهزة الإحساس بالحرارة والبرودة ، والإحساس بالألم في خلايا الجلد التي اختزنت هذه الفواشش والكبائر والذنوب .

لا بد ونحن نتأمل هذه الحقائق القرآنية والحقائق العلمية ، أن نزداد إيماناً وتمسكاً بديننا الحنيف ، فها هو العلم الحديث يثبت أن خلايا الجلد تخزن جميع المعلومات التي تمر بكل إنسان ، ويثبت أيضاً أن هذه الخلايا لها ترددات صوتية خاصة بها ، أي إنها تتكلم ، وهذا ما أخبرنا به الله عز وجل في كتابه العزيز ، وما هذا إلا دليل قاطع وبرهان ساطع ، لكل الملحددين والمشككين الذين ينكرون يوم القيامة ، ويقولون كيف يمكن أن يحاسب الله عباده على كل صغيرة وكبيرة ، فهم يستغربون كيف سيتم تسجيل كل شيء يفعله الإنسان في كتاب مبین ، وكيف سيعرض هذا الكتاب أمامنا يوم القيامة ، فهذا دليل على أن هذا القرآن هو من عند الله عز وجل وليس من كلام الرسول الأمين ، فإذا كان الشريط الوراثي وهو صغير لدرجة أنه لا يرى إلا بالمجاهر يحوي معلومات تحتاج لمجلدات ، فكيف بعلم الله تعالى الذي خلق البشر؟

¹ عيد ، مقال حقيقة نطق الجلد ، ص 1 .

لذا علينا أن نتذكر كيف سيشهد علينا كل شيء ، أيدينا وأرجلنا وجلودنا ، فالمعلومات مخزنة في كل خلية من خلايا أجسادنا ، والأحداث التي تجري والكلمات التي نقولها مخزنة أيضاً في هذه الخلايا ، لذا ينبغي على كل منا أن يدرك أنه ليس وحيداً في هذا الكون ، وأن الله تبارك وتعالى سخر له من يراقبه ، فخلق له خلايا الجلد وسخرها لتسجل عليه كل حركة يقوم بها ، لذا علينا أن ندرك أن هذا الجلد الذي سخره الله لنا ليكون وقاية وحماية لأجسادنا ، وهو يصاحبنا منذ أن نكون في بطون أمهاتنا ، هذا الجلد سيكون عدواً لنا يوم القيامة ، إلا إذا أكثرنا من الأعمال الصالحة ، عندئذ ستكون جلودنا شاهداً معنا لا علينا .

نعود لنتساءل من جديد هل يفهم من قوله تعالى : (قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ) ، أن الجلد فقط يتكلم يوم القيامة ؟ وأن السمع والبصر لا ينطقان ؟

قال الشوكاني : " وجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون غيرها ما ذكره الرازي أن الحواس الخمس : وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، وآلة اللمس هي الجلد فالله سبحانه ذكر هنا ثلاثة أنواع من الحواس وهي السمع والبصر واللمس ، وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم ، فالذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه ؛ لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام ، وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم ، فكانا داخلين في جنس اللمس ، وإذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكر ، عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال ؛ لأنها قد اشتملت على ثلاث حواس فكأن تأتي المعصية من جهتها أكثر . وأما على قول من فسر الجلود بالفروج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر ؛ لأن ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحاً وأجلب للخبث¹ ما ذكر في فتح القدير يبين لنا لماذا خصّ الجلد بالنطق عن سائر الأعضاء ، فحاستا الشم والذوق داخلتان ضمن حاسة اللمس التي يمثلها الجلد ، والمعاصي والآثام التي ترتكب من خلال هذه الحاسة ، أكثر بكثير من باقي الحواس ، فالزنا والكذب والسرقة والنميمة والغنى والرقص ، ... كل ذلك يدخل ضمن حاسة اللمس التي يمثلها الجلد ، وهذا لا ينفي النطق عن السمع والأبصار ، فالله عز

¹ الشوكاني ، فتح القدير ، 4 / 728 .

وجل أخبرنا أن السمع والأبصار ستشهد على أعداء الله يوم القيامة ، وهذا يعني أنها ستتكلم بما اقترفته من آثام ؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بالكلام ، وهذا الأمر ——— نطق السمع والأبصار ——— توصل إليه العلماء مؤخراً ، فكما يوجد للجلد خلايا تخزن فيها المعلومات ، كذلك يوجد للسمع والبصر خلايا لتخزين المعلومات ، وهذه الخلايا لها ترددات صوتية كباقي أعضاء الجسم .

وأقول في هذا السياق ، إن الإمام الشوكاني ، الذي يقول هذا الكلام في عصره ، ينبغي أن يعد من كبار العلماء الذين يسبقون عصرهم بسعة تفكيرهم ، وحسن تدبرهم لآيات الله . ومن المعروف أن الإنسان ——— أي إنسان ——— يتطور في تفكيره وآرائه وفق ما يجد في عصره من حقائق علمية ، ومن أساليب البحث والدراسة وتطور مناهجها .

ولقد اكتشف العلم اليوم أن العين تسجل ما تراه ، ثم يذهب ما تسجله إلى مكان ما في الجسم ليخزن هناك ، ليتم استعادته عندما يلزم الأمر . وقد صنع الإنسان هذه الهوائف الجوّالة التي تصور ما تراه ، ثم تذهب بالصورة إلى ما يسمى (ذاكرة الهاتف) ، وكذلك السمع الذي يلتقط كل ما يسمع ، ويرسله إلى مكان ما في الجسم ليلتحم بما أرسلته العين ، فيشكلان معاً ذاكرة الإنسان ، ومصدر معلوماته ، وسجل أعماله وأقواله .

لأمر ما ارتبط الحديث عن السمع والبصر في القرآن الكريم بخلق الإنسان في الأساس الأول .

مثال ذلك ——— مثلاً ——— :

قال تعالى : " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ " (النحل : 78) .

" الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٩﴾ " (السجدة : 7 — 9) .

" قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ " (الملك : 23) .

إن هذا السمع والبصر يسجل كل ما يفعله الإنسان في (كتاب) يحمله المرء في جسده ، مصداقاً لقوله تعالى : " وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَخُجِّرْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿٢٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿٢٤﴾ " (الإسراء : 13 — 14) .

وإن هذا الموضوع بحاجة إلى بحث جديد مستقل ، ولكني هنا أوجه النظر إلى الآيات الكريمة التي تصور الإنسان يستتر عن الناس عند فعل المنكرات ولكنه لا يستتر عن الله ، بل إن سمعه وبصره وجلده يشهد عليه بالتسجيل الحي على كل ما يقول أو يفعل .

أما لماذا تقدم السمع على الأبصار في كل المواقع التي وردت فيها في القرآن الكريم إلا في موقعين اثنين ، يستطيع المرء عند النظر فيهما أن يكتشف بعض وجوه الحكمة في تقدم البصر فيهما على السمع .

قال تعالى : " وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا آوَىٰ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا تَجْحَدُونَ بِغَايَتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ " (الأحقاف : 26) .

وقال تعالى : " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ " (النحل : 78) .

أما في سورة السجدة فتقدم البصر على السمع في قوله تعالى : " وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ " (السجدة : 12)

يقول علماء البيان إن من أغراض التقديم الأهمية ، وأنه لا يجب الوقوف عند هذا القول ، بل يجب البحث وتوضيح هذه الأهمية ، لذلك أذكر هنا بعض الحقائق التي أصبحت من الأمور البديهية في ثقافة الناس :

المولود يتعلم بواسطة السمع أضعاف ما يتعلمه بواسطة البصر، والأصم منذ الولادة لا يستطيع أن يتعلم اللغة أبداً فهو أبكم ، بينما المولود دون نعمة البصر يستطيع أن يتعلم اللغة بل اللغات بكل يسر .

يوجد آلاف العباقر من فاقدى نعمة البصر ، إلا أنه من العسير أن نجد العباقر من فاقدى نعمة السمع ، بخاصة إذا كان فقد السمع منذ الولادة ، أو في مرحلة الطفولة المبكرة. إن السمع أول عضو يؤدي وظيفته في الدنيا ، فالطفل ساعة الولادة يسمع ، عكس العين فإنها لا تؤدي مهمتها لحظة مجيء الطفل إلى الدنيا ، فإذا جنّت بجوار طفل ولد منذ ساعات ، وأحدثت صوتاً مزعجاً فإنه ينزعج ويبكي ، ولكنك إذا قربت يدك من عين الطفل بعد الميلاد مباشرة فإنه لا يتحرك ، ولا يحس بالخطر ، وإذا نام الإنسان ، فإن كل شيء يسكن فيه إلا سمعه ، إنك إذا أردت أن توظف النائم ووضعت يدك قرب عينيه فإنه لا يحس ، ولكنك إذا أحدثت ضجيجاً بجانب أذنه فإنه يقوم من نومه فرعاً ، " الأذن هي الصلة بين الإنسان والدنيا ، فالله - سبحانه وتعالى - حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين قال: " فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ " (الكهف: 11)

ومن هنا عندما تعطل السمع استطاعوا النوم مئات السنين دون أي إزعاج ، ذلك أن ضجيج الحركة في النهار يمنع الإنسان النوم العميق ، وسكونها بالليل يجعله ينام نوماً عميقاً ، وهي لا تنام ولا تغفل أبداً¹.

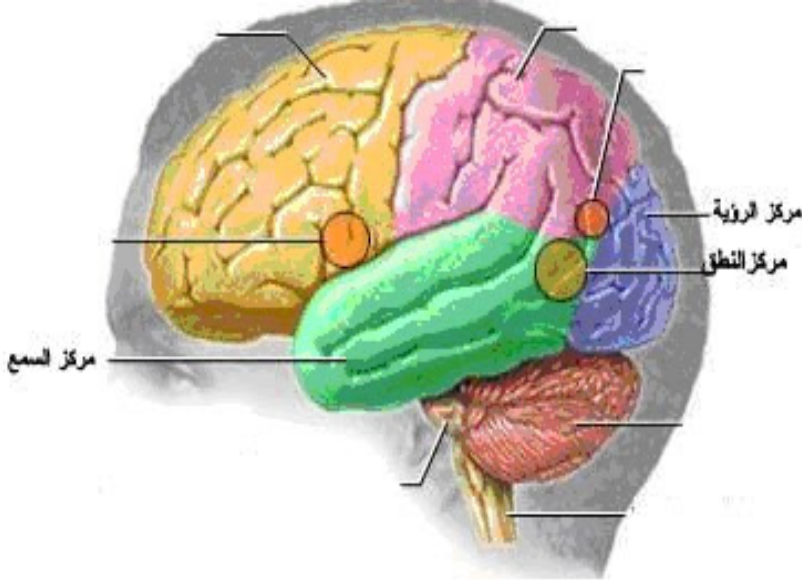
وهنا نتساءل من جديد هل يتعارض ترتيب السمع والأبصار في القرآن الكريم ، عن الترتيب المكاني لهما في جسم الإنسان ، لا سيما وأن العين تتقدم الأذن في رأس الإنسان ؟ أثبت علماء التشريح بالدليل القاطع ، أن مركز السمع يتقدم مركز الإبصار في مخ الإنسان تشريحياً ، وهنا ظهرت المعجزة العلمية الباهرة فالترتيب المكاني للسمع والبصر في الآيات يأتي وفقاً للترتيب المكاني لمراكز السمع والبصر في مخ الإنسان.

¹ نجا ، مقال الإعجاز العلمي في خلايا أعضاء الإنسان .

رسم رقم (6) : فيه تحديد للمناطق التي أشارت إليها الآيات الخاصة بالسمع والبصر .

رسم رقم (6) :

Error!



1

لماذا جاء السمع مفرداً ، والأبصار جمعاً ؟

ربما يقال إن السمع عندما يتحقق للإنسان يكون في اللحظة نفسها قادراً على النظر إلى أشياء عديدة ، فالسمع واحد ومصادر البصر كثيرة ، والناس مجتمعون في مكان واحد ،

¹ نجا ، مقال الإعجاز العلمي في خلايا أعضاء الإنسان .

يمكن أن يستمعوا جميعاً إلى شيء واحد يذاع عليهم أو يلقى على مسامعهم ، ولكنهم خلال ذلك ينظرون إلى عشرات الأشياء أمامهم ، ويتأثرون بها .

ولعل العلم يكشف حقائق أخرى في الإجابة عن هذا السؤال لم تتوفر للإنسان بعد ، في حدود ما أعلم .

لماذا ذكر جلد الإنسان في القرآن الكريم بلفظ الجمع ، ولم يذكر بلفظ المفرد ؟

جاء ذكر جلد الإنسان في القرآن الكريم في ستة مواضع ، وكل ذلك بلفظ الجمع ، قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ " (النساء : 56) .

وقال تعالى: " يُصَهِّرُ بَهْمَ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودَ ﴿٢٠﴾ " (الحج : 20) .

وقال تعالى: " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ " (الزمر : 23) .

وتكرر لفظ (الجلود) متتالياً ثلاث مرات في سورة فصلت موضع الدراسة .

كشف العلم الحديث عن إشارة علمية عظيمة تتعلق بجمع كلمة (جلود) وخالصتها :

1. خلايا الجلد أسرع انقساماً من غيرها من الخلايا.
2. خلايا الجلد أسرع تغيراً وتبدلاً من غيرها من الخلايا ، وقد يتغير الجلد في مساحة معينة منه تغيراً كاملاً في فترة وجيزة .
3. يتغير تركيب الجلد من مكان لآخر على سطح الجسم الواحد ، فجلد جفون العيون يختلف عن جلد قناة الأذن الخارجية ، ويختلف عن جلد باطن اليد ، ويختلف عن جلد باطن القدم .

4. وهكذا تكسو الإنسان مجموعة من الجلود وليس جلدًا واحدًا ، سواءً من حيث المكان (على سطح الجسم) ، أم الزمان (التبدل والتغير) ، وهكذا ، تظهر الإشارة العلمية بجلاء¹.

أخيراً ومن باب أمانة النقل العلمي ، أذكر في الهامش المراجع العلمية الأجنبية ، التي اعتمد عليها مَنْ نقلت عنهم المعلومات العلمية في هذا المبحث ؛ ذلك لمن يرغب بالمزيد من المعلومات².

هذا ، وأود أن أذكر أن في سورة فصلت آيات قرآنية أخرى تحمل حقائق علمية ، تنتظر جهود الباحثين المختصين ، وسأذكر نصوصها الآن ، وأوجه النظر إليها عسى أن ينهض إلى دراستها أصحاب الهمة والبحث العلمي والمختصون الباحثون في أسرار كتاب الله عز وجل :

1 _____ قال تعالى " قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٤٣﴾ فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤٤﴾ " (فصلت : 9 _____ (12) .

¹ نجا ، محمود عبدالله إبراهيم ، (د.ت) . منتدى التوجيه الفني لدور القرآن الكريم ، ص 3 .

1- New Research Sheds Light On Memory By Erasing It, ScienceDaily.com, May 10, 2007.²

2- The Heart Speaks, Dr. Guarneri.

, Jul 16th 2007.www.switched.com3- Cell Phones Causing Skin Infections,

4- Fetal skin cells heal burns, Nature, 2004.

5- Researchers make stem cells from skin, The Financial Times, June 6 2007.

, 09 January 2007.www.livescience.com6- Genetically Modified Skin Cells Fight Infection,

, 7 July 2007.www.bbc.co.uk8- Skin cells 'fight child cancer',

, November 26, 1998.www.bbc.co.uk9- Listen to your DNA, ,

10- Specifically activated memory T cell subsets from cancer patients recognize and reject xenotransplanted autologous tumors, American Society for Clinical Investigation, 2004.

, March, 2004 .www.findarticles.com11- Jill Neimark, Sound healing,

2 — قال تعالى " وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ " (فصلت : 36) .

3 — قال تعالى " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ " (فصلت : 39) .

4 — قال تعالى " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ " (فصلت : 53) .

الخاتمة

النتائج والتوصيات

القرآن الكريم كتاب الله عز وجل ، الذي أنزله على رسوله محمد ——— صلى الله عليه وسلم ——— قرآناً عربياً .

ومنذ نزوله اشتغلت الدنيا به ، ونشأت في ظلاله علوم ودراسات عديدة ، وظهرت نتيجة ذلك علوم كبيرة ، ألفت فيها العديد من الدراسات والكتب ، وأول تلك الدراسات تلك التي اهتمت بعلوم القرآن من جمع وتفسير وبيان أحكام وما إلى ذلك ، إضافة إلى الدراسات التي سعت إلى إبراز بيانه وإعجازه ، ورغم وفرة هذه الدراسات ، إلا أن كل بحث مهتم بمثل هذه الدراسات يجد في كتاب الله عز وجل ، الذي لا تنتهي عجائبه ، ما يمكن أن يقيم عليه دراسته وبحثه ، وهكذا سيظل القرآن الكريم ، على مرّ الأيام والسنين ، كتاب الله الذي يواكب الزمن وينتقل مع الأيام ويشهد على كل عصر بآيات الله عز وجل التي لا ينتهي القول فيها ، " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا " (الكهف : 109) ، وسيظل القرآن الكريم شاباً وإن شاب الزمن على حد قول الإمام بديع الزمان النورسي .

وبعد ... فهذه خلاصة بحث سورة فصلت دراسة لغوية بيانية ، أجمل أبرز نتائجه ، وأظهر أهم التوصيات التي تراعت لي ضرورة من خلال البحث ، وحسبي أن أبدأ بأهم النتائج ، ثم أردف وأنتهي هذه الخاتمة ببعض التوصيات .

من أهم نتائج هذا البحث :

- 1 ——— مظاهر البيان القرآني مستمرة مع الأيام في كل سور القرآن الكريم ومنها سورة فصلت .
- 2 ——— سورة فصلت إحدى سور سبع بدأت بـ (حم) ولهذه السور خصائص مشتركة من دلالات ومعان .
- 3 ——— تتنوع في السورة الأساليب من أمر ونهي ونداء
- 4 ——— تحدثت الآيات عن السمع والبصر حديثاً علمياً ، يدل على أنهما أساس المعرفة الإنسانية ، وهما مقياس العمل ، ولذلك فهما بحاجة إلى جهود علماء السمع والبصر والإدراك ،

وعلماء النفس والاجتماع لبيان هذه الحقيقة التي مثلتها آيات السورة ببيان معجز ، يدعو الناس للنظر والبحث .

5 ————— الدلالات والمعاني تتصف بالعمومية في الموضوعات الإنسانية ، حتى تكون موافقة لكل حياة الإنسان في الأزمان كلها .

6 ————— تتعدد في هذه السورة أنماط التركيب اللغوي وتتسع لكل ما في الآيات من دلالات وأفكار .

7 ————— ظهر لي أن هذه السورة ————— وغيرها بكل تأكيد ————— تبين أنه لا ترادف في القرآن الكريم ، وأن كل كلمة تحمل دلالة خاصة ، وترافقها هذه الدلالة حيثما وردت في القرآن الكريم ، وهذا مظهر واضح من مظاهر البيان القرآني المتعددة .

8 ————— بينت هذه الدراسة أن العلاقة وثيقة بين تنوع الصيغ الصرفية والتراكيب اللغوية ، وبين الدلالات والمعاني والأفكار التي تظهر فيها .

من أهم التوصيات :

1 ————— الاهتمام بمثل هذه الدراسات التي تتعلق بالقرآن الكريم ، وبخاصة عندما ترتبط بأساليب البحث الجديدة ، والاكتشافات العلمية المتطورة .

2 ————— النقاط الإشارات العلمية التي تشتمل عليها بعض الآيات الكريمة ، وإقامة بحوث جادة متخصصة حولها مثل البحث في النفس الإنسانية ، والجسم الإنساني وما أودعه الله عز وجل من أسرار في الخلق ، مصداقاً لقوله تعالى : " سُنُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ " (فصلت : 53) .

3 ————— إقامة دراسات حول الإعجاز القرآني في الدلالة على المعاني الكبيرة في إطار من أسلوب التعبير المعجز ، لتكون أمثلة على التحام اللفظ والمعنى .

4 ————— توجيه وزارة التربية والتعليم ، وواضعي مناهج التعليم العام ، إلى الاستفادة من الدراسات القرآنية ؛ حتى يقترب الطلاب من لغة القرآن الكريم ، ويطلعوا على جمال البيان القرآني لأن النصوص الفصيحة هي التي تشكل لغة الطالب ، وبخاصة في الصفوف الأولى والاستماع إليها والتحدث بها ضمن مناهج معدة إعداداً تربوياً مفيداً .

وختاماً ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

_____ ابن الأثير ، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم ، (د.ت) . المثل السائر ، تقديم وتعليق : أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، (د.ط) ، مصر ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
_____ الأرنؤوطي ، مهيب ، (2007/2/9) . مقال الفرق بين العمل والفعل ، موقع أهل القرآن .

www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=1098

_____ الأسدي ، الكميت بن زيد ، (2000) . ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وشرح وتحقيق : محمد نبيل طريقي ، (ط 1) ، بيروت ، دار صادر .
_____ الأشقر ، عمر بن سليمان ، (د.ت) . الإيمان بالقضاء والقدر ، (د.ط) ، منتدى أهل السنة .

<http://alsonaa.yoo7.com>

_____ الألباني ، محمد ناصر الدين ، (2000) . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، (ط1) ، الرياض ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
_____ الألوسي ، محمود ، (د.ت) . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، (د.ط) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
_____ ابن الأنباري ، عبد الرحمن بن أبي الوفاء ، (1998) . الإنصاف في مسائل الخلاف ، قدّم له ووضع هوامشه : حسن حمد ، (ط 1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
_____ ابن الأنباري ، عبد الرحمن بن أبي الوفاء ، (1970) . البيان في غريب إعراب القرآن ، تحقيق : طه عبد الحميد ، (د.ط) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .
_____ الأندلسي ، محمد بن يوسف ، (2001) . تفسير البحر المحيط ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
_____ الأنصاري ، ابن هشام ، (1966) . أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (ط 5) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

- _____ أنيس ، إبراهيم ، (1976) . دلالة الألفاظ ، (ط3) ، (د.م) ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- _____ الباقلاني ، محمد بن الطيّب البصري البغدادي ، (د.ت) . إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، (د.ط) ، مصر ، دار المعارف .
- _____ بدوي ، أحمد ، (د.ت) . من بلاغة القرآن ، (د.ط) ، مصر ، دار نهضة مصر .
- _____ البقاعي ، إبراهيم بن عمر ، (2003) . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق المهدي ، (ط2) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- _____ بني دومي ، خالد قاسم ، (2006) . دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، (د.ط) ، إربد ، عالم الكتب الحديث .
- _____ البوطي ، محمد سعيد رمضان ، (9 نيسان 2008) . شرح الحكم العطائية ، (د.ط) ، منتديات تونيزيا سات .
- www.Tunisia-sat.com
- _____ البيضاوي ، عبدالله بن عمر بن محمد ، (1410هـ) . تفسير البيضاوي ، (ط1) ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي .
- _____ البيهقي ، أحمد بن الحسين ، (د.ت) . الأسماء والصفات ، تحقيق : عبدالله بن محمد الحاشدي ، (ط1) ، جدة ، مكتبة السوادي .
- _____ البيهقي ، أحمد بن الحسين ، (2003) . الجامع لشعب الإيمان ، تحقيق : مختار أحمد الندوي ، عبد العلي عبد الحميد حامد ، (ط1) ، (د.م) ، مكتبة الرشيد .
- _____ التغلبي ، عمير بن الأبهام ، (2001) . ديوان القطامي ، تحقيق : محمود الربيعي ، (ط1) ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- _____ ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم ، (1980) . مقدمة في أصول التفسير ، (د.ط) ، لبنان ، دار مكتبة الحياة .
- _____ الجاربردي ، أحمد بن الحسين ، (1988) . مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط ، (ط1) ، (د.م) ، مكتبة المنتبي للطباعة والنشر والتوزيع .
- _____ الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، (1992) . دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، (ط3) ، القاهرة ، مطبعة المدني .

- _____ الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، (1405 هـ) . التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (ط 1) ، بيروت ، دار الكتاب العربي .
- _____ الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد ، (1979) . **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، (د.ط) ، بيروت ، المكتبة العلمية .
- _____ ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ، (1998) . **النشر في القراءات العشر** ، قدم له الأستاذ علي محمد الصباغ ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- _____ ابن جعفر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، (1963) . **نقد الشعر** ، تحقيق : كمال مصطفى ، (ط 1) ، مصر ، مكتبة الخانجي .
- _____ ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، (1952) . **الخصائص** ، تحقيق : محمد علي النجار ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتاب العربي .
- _____ الجوهرى ، إسماعيل بن حماد ، (1979) . **الصاحح ، تاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، (ط 2) ، بيروت ، دار العلم للملايين .
- _____ أبو جيب ، سعدي ، (د.ت) . **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً** ، (ط 2) ، دمشق ، دار الفكر .
- _____ جرير ، جرير بن عطية بن حذيفة ، (1992) . **ديوان جرير** ، شرح : يوسف عيد ، (ط1) ، بيروت ، دار الجيل .
- _____ ابن الحجاج ، مسلم ، (1999) . **صحيح مسلم** ، حقق أصوله وخرّج أحاديثه على الكتب الستة ، الشيخ خليل مأمون شيحا ، (ط6) ، بيروت ، دار المعرفة .
- _____ الحريري ، جمال الدين أبو محمد القاسم بن علي ، (2006) . **درة الغواص في أوهام الخواص** ، (د.ط) ، (د.م) ، المكتبة الأزهرية .
- _____ الحسنوي ، محمد ، (2000) . **الفاصلة في القرآن** ، (ط2) ، عمان ، دار عمار .
- _____ حسين ، مجدي معزوز أحمد ، (2004) . **سورة الإسراء دراسة نحوية دلالية** ، "رسالة ماجستير ، غير منشورة " إشراف : أ.د أحمد حسن حامد ، نابلس ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا .

موقع أهل التأويل ، <http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=11832>

- _____ الحمد ، غانم قدوري ، (2007) . الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، (ط 2) ، عمان ، دار عمار للنشر والتوزيع .
- _____ الحملاوي ، أحمد بن محمد بن أحمد ، (1982) . شذا العرف في فن الصرف ، (ط 16) ، (د.م) ، (د.ن) .
- _____ الحنبلي ، محمد بن أبي الفتح ، (1981) . المطلع على أبواب الفقه ، تحقيق : محمد بشير الإدلبي ، (د.ط) ، بيروت ، (د.ن) .
- _____ الحيدرة ، علي بن سليمان ، (د.ت) . كشف المشكل في علم النحو ، (د.ط) ، موقع مجالس آل محمد (ع) . www.almajalis.org/forums/viewtopic.php
- _____ الخفاجي ، ابن سنان ، (1932) . سر الفصاحة ، تحقيق : علي فودة ، (ط 1) ، (د.م) ، مكتبة الخانجي .
- _____ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (2004) . مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الإسكندراني ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتاب العربي .
- _____ خلوف ، مصطفى شاهر ، (2009) . أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، (د.ط) ، عمان ، دار الفكر .
- _____ أبو داود ، (د.ت) . سنن أبي داود (مع أحكام الألباني) ، تحقيق : ناصر الدين الألباني ، (د.ط) ، (د.م) ، المكتبة الوقفية .
- _____ الداية ، فايز ، (1985) . علم الدلالة العربي _____ النظرية والتطبيق ، (ط 1) ، دمشق ، دار الفكر .
- _____ الدجني ، فتحي عبد الفتاح ، (1984) . الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ، (ط 1) ، الكويت ، مكتبة الفلاح .
- _____ الدراويش ، حسين أحمد علي ، (د.ت) . النظم القرآني في سورة البقرة ، " أطروحة دكتوراه ، غير منشورة" إشراف : أ.د إبراهيم السامرائي ، الجامعة الأردنية ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية . موقع مكتبة الجامعة الأردنية .
- _____ الدرويش ، محيي الدين ، (2006) . إعراب القرآن الكريم وبيانه ، (ط 1) ، (د.م) ، دار ابن كثير .

_____ الراجحي ، عبده ، (1979) . النحو العربي والدرس الحديث ، (د.ط) ، بيروت ، دار النهضة العربية .

_____ الرازي ، أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار ، (د.ت) . حجج القرآن ، (د.ط) ، موقع
شبكة ده _____ شة

<http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=>

_____ الراجحي الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، (2008) . المفردات في غريب القرآن ، ضبط : هيثم طعيمة ، (ط 1) ، بيروت ، دار احياء التراث العربي .

_____ الرماني ، والخطابي ، وعبد القاهر الجرجاني ، (1968) . ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول ، (ط 2) ، مصر ، دار المعارف .

_____ الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، (د.ت) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج وآخرون ، (د.ط) ، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت .

_____ الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، (1996) . مناهل العرفان في علوم القرآن ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

_____ الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، (د.ت) . البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (د.ط) ، القاهرة ، مكتبة دار التراث .

_____ الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر بن محمد ، (2006) . تفسير الكشاف ، رتبّه وضبطه : محمد عبد السلام شاهين ، (ط 4) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

_____ السامرائي ، فاضل صالح ، (1981) . معاني الأبنية في العربية ، (ط 1) ، عمان ، دار عمار .

_____ السامرائي ، فاضل صالح ، (2006) . لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، (ط 3) ، عمان ، دار عمار .

_____ السامرائي ، مهدي صالح ، (2008) . تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ، (ط 1) ، عمان ، دار عمار للنشر والتوزيع .

_____ سعد ، أحمد محمد ، (د.ت) . مقال العمل في القرآن الكريم ، موقع نداء الإيمان .

www.al-eman.com

- _____ أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، (د.ت) . إرشاد العقل السليم ، الشهير بتفسير أبي السعود ، (د.ط) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- _____ السكاكي ، يوسف بن أبي بكر سراج الدين ، (1937) . مفتاح العلوم ، (ط 1) ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- _____ سلطان ، منير ، (1986) . البديع تأصيل وتجديد ، (د.ط) ، الإسكندرية ، منشأة المعارف .
- _____ أبو سلمى ، زهير ، (1988) . ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق : علي حسن فاعور ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- _____ السليم ، فريد بن عبد العزيز الزامل ، (1427هـ) . الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن ، (ط 1) ، الدمام ، دار ابن الجوزي .
- _____ السمين الحلبي ، شهاب الدين أحمد بن يوسف ، (1994) . تفسير الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، تحقيق : علي معوض ، (ط1) ، (د.م) ، دار الكتب العلمية .
- _____ سيويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، (1992) . الكتاب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (د.ط) ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .
- _____ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1418هـ) . الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (د.ط) ، بيروت ، المكتبة العصرية .
- _____ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (2001) . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، صححها وخرّج أحاديثها : الشيخ نجدت نجيب ، (د.ط) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- _____ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (د.ت) . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، (د.ط) ، بيروت ، دار المعرفة .
- _____ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1992) . فتح الجليل للعبد الذليل ، تحقيق : عبد القادر أحمد عبد القادر ، (ط1) ، عمان — الأردن ، دار البشر .
- _____ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1988) . معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، (ط1) ، دار الكتب العلمية .
- _____ بنت الشاطي ، عائشة عبد الرحمن ، (2004) . الإعجاز البياني للقرآن ، (ط3) ، القاهرة ، دار المعارف .

_____ الشحود ، علي بن نايف ، (د.ت) ، الخلاصة في علوم البلاغة ، (د.ط) ، موقع منتدى دار الإيمان . www.daraleman.org/forum/forum_posts.asp

_____ شكري ، أحمد خالد ورفاقه ، (2003) . المنير في أحكام التجويد ، (ط4) ، عمان ، المطابع المركزية .

_____ الشمان ، إبراهيم ، (1418هـ) . دروس في علم الصرف ، (ط 1) ، الرياض ، مكتبة الرشد.

_____ شملول ، محمد ، (17 / 5 / 2009) . تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان ، (ط 2) ، موقع منتديات الشيخ محمد صديق المنشلاوي . <http://www.alminshawy.com/vb/archive/index.php/t-6411.htm>

_____ الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار ، (1995) . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، (د.ط) ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر .

_____ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، (1305هـ) . فتح القدير ، (د.ط) ، مصر ، مصطفى البالبي الحلبي وأولاده .

_____ شيخ أمين ، بكري ، (1990) . البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، (ط 1) ، بيروت ، دار العلم للملايين .

_____ الصابوني ، محمد علي ، (د.ت) ، صفوة التفاسير ، (د.ط) ، بيروت ، دار الجيل .

_____ صافي ، محمود ، (1991) . الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، (ط 1) ، دمشق : دار الرشيد .

_____ الصالح ، صبحي ، (1982) . دراسات في فقه اللغة ، (ط 2) ، بيروت ، المكتبة الأهلية .

_____ صالح ، كمال حسين رشيد ، (2005) . صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، غير منشورة " إشراف أ.د أحمد حسن حامد ، نابلس ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، ، موقع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية .

<http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?56827>

_____ الصبان ، محمد بن علي ، (1305هـ) . حاشية الصبان على شرح العلامة الأشموني على ألفية ابن مالك في النحو . (ط 1) ، مصر ، المطبعة الخيرية .

- _____ الصعيدي ، عادل ، (د.ت) . مقال مهام خلايا الجلد ، موقع جامعة الإيمان - منتدى التوحيد . www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=2429 .
- _____ الطبرسي ، الفضل بن الحسين ، (2005) . مجمع البيان في تفسير القرآن ، (ط2) ، (د.م) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
- _____ طبل ، حسن ، (1998) . أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، (د.ط) ، (د.م) ، دار الفكر العربي .
- _____ الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ، (د.ت) . المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، (ط2) ، الموصل ، مكتبة العلوم والحكم .
- _____ أبو الطيب اللغوي ، (د.ت) . مراتب النحويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (د.ط) ، (د.م) ، دار الفكر العربي .
- _____ ظبيان ، نشأت ، (1997) . علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات ، (ط1) ، بيروت ، دار ابن حزم .
- _____ العابد ، صالح بن حسين ، (1417هـ) . نظرات لغوية في القرآن الكريم ، (ط1) ، الرياض ، دار إشبيليا .
- _____ ابن عاشور ، محمد الطاهر ، (د.ت) . تفسير التحرير والتنوير ، طبعة المكتبة الشاملة الإلكترونية ، تونس ، دار سحنون للنشر والتوزيع .
- _____ عباس ، فضل حسن (2000) . البلاغة فنونها وأفنانها ، (ط7) ، عمان ، دار الفرقان .
- _____ عبد الباقي ، محمد فؤاد عبد ، (1986) . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، (ط1) ، (د.م) ، دار الفكر .
- _____ عبد الجواد ، أحمد ، (د.ت) . الأسماء الحسنى ، (ط2) ، موقع ملتقى أهل الحديث ، <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?p=>
- _____ عبد الغني ، أحمد عبد العظيم ، (د.ت) . الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية ، (د.ط) ، القاهرة ، دار النصر .
- _____ عتيق ، عبد العزيز ، (د.ت) . المدخل إلى علم النحو والصرف ، (د.ط) ، بيروت ، دار النهضة العربية .
- _____ عتيق ، عبد العزيز ، (1985) . علم المعاني ، (د.ط) ، بيروت ، دار النهضة العربية .

- _____ العسكري ، أبو هلال ، (د.ت) . الفروق اللغوية ، (د.ط) ، موقع يعسوب .
/http://www.yasoob.com/ar
- _____ ابن عصفور ، (1407هـ) . الممتع في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، (ط 1) ، بيروت ، دار المعرفة .
- _____ العقرباوي ، زيدان محمود سلامة ، (2001) . المرشد في علم التجويد ، (ط 4) ، عمان ، دار الفرقان .
- _____ ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله العقيلي ، (د.ت) . شرح ابن عقيل ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (د.ط) ، (د.م) ، دار الخير .
- _____ ابن عقيلة المكي ، (2006) . الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، (ط1) ، الشارقة ، جامعة الشارقة ، مركز البحوث والدراسات .
- _____ العكبري ، عبدالله بن الحسين بن عبدالله ، (1979) . إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- _____ العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي اليمني ، (د.ت) . الطراز المضمن لأسرار البلاغة وعلوم خصائص الإعجاز ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتب .
- _____ عمر ، أحمد مختار ، (1997) . أسماء الله الحسنى : دراسة في البنية والدلالة ، (د.ط) ، القاهرة ، عالم الكتب .
- _____ أبو عودة ، عودة خليل ، (1998) . بحث الكتاب والقرآن دراسة دلالية في السياق القرآني ، في : جمال ، أبو حسان ، (محرر) ، دراسات اسلامية وعربية ، (ط1) ، الأردن ، دار الرازي .
- _____ أبو عودة ، عودة ، (1998) . شواهد في الإعجاز القرآني ، (ط1) ، عمان ، دار عمار للنشر .
- _____ عيد ، محمد السقا ، (د.ت) . مقال حقيقة نطق الجلد ، منتديات أهل العرب .
http://ahlal3rb.yoo7.com
- _____ ابن فارس ، أحمد ، (1979) . معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (د.ط) ، بيروت : دار الفكر .

- _____ ابن فارس ، أحمد ، (د.ت) . **الصاحبي** ، تحقيق : أحمد صقر ، (د.ط) ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- _____ ابن فارس ، أحمد ، (1986) . **مجمل اللغة** ، دراسة وتحقيق : زهير عيد المحسن سلطان ، (ط2) ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .
- _____ الفارسي ، (1419 هـ) . **التكملة** ، تحقيق : كاظم بحر المرجان ، (ط 2) ، بيروت ، عالم الكتب .
- _____ الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين ، (1933) . **تفسير الفخر الرازي** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (ط 1) ، مصر ، المطبعة المصرية .
- _____ الفراء ، يحيى بن زياد ، (1972) . **معاني القرآن** ، تحقيق : عبد الفتاح شلبي ، وعلي النجدي ناصف ، (د.ط) ، (د.م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- _____ الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، (د.ت) . **كتاب العين** ، تحقيق : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، (د.ط) ، (د.م) ، دار ومكتبة الهلال .
- _____ الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (د.ت) . **القاموس المحيط** ، (د.ط) ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاه .
- _____ الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (1964) . **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، (د.ن) .
- _____ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (د.ت) . **تفسير القرآن** ، (د.ط) ، موقع مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي / تفسير القرآن .
www.altafsir.org/IndexArabic.asp
- _____ قبطني ، فريد ، (1999) . **طلوع الشمس من مغربها علم الساعة** ، (ط2) ، (د.م) ، المركز الدولي للبحث العلمي .
- _____ ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، (د.ت) . **أدب الكاتب** ، حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (د.ط) ، القاهرة ، دار الطلائع .
- _____ القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد ، (1988) . **تفسير القرطبي المسمى " الجامع لأحكام القرآن "** ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

- _____ القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد ، (1999) . التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، تحقيق : عصام الدين الصبابي ، (ط1) ، القاهرة ، دار الحديث .
- _____ قطب ، سيد ، (1971) . في ظلال القرآن ، (ط7) ، (دم) ، دار إحياء التراث العربي .
- _____ قطب ، سيد ، (1978) . التصوير الفني في القرآن ، (ط4) ، بيروت ، دار الشروق .
- _____ القيرواني ، ابن رشيق ، (1993) . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، (د.ط) ، بيروت ، دار العلم للملايين .
- _____ ابن القيم ، شمس الدين بن عبد الله محمد بن أبي بكر ، (د.ت) . الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتب العلميّة .
- _____ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ، (1994) . تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : محمود حسن ، الطبعة الجديدة ، بيروت ، دار الفكر .
- _____ الكحيل ، عبد الدائم ، (د.ت) . مقال الإعجاز العلمي في قوله تعالى : " حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون " ، موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة . www.kaheel7.com
- _____ الكرمانى ، محمود بن حمزه ، (د.ت) . أسرار التكرار في القرآن ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، (د.ط) ، (دم) ، دار الفضيّلة .
- _____ اللالكائي ، هبة الله بن الحسن بن منصور (1402هـ—) . اعتقاد أهل السنة ، تحقيق : أحمد سعد حمدان ، (د.ط) ، الرياض ، دار طيبة .
- _____ المالقي ، أحمد بن عبد النور ، (د.ت) . رصف المباني في حروف المعاني ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، طبعة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، (د.ن) .
- _____ ابن مالك ، محمد جمال الدين ، (د.ت) . شرح الكافية الشافية ، تحقيق : عبد المنعم هريدي ، (ط1) ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى .
- _____ ابن مالك ، محمد جمال الدين ، (1975) . شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي ، (ط1) ، القاهرة ، مطبعة الأمانة .
- _____ المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، (1959) . المقتضب ، تحقيق : حسن حمد ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

- _____ المتنبّي ، أحمد بن الحسين بن الحسن ، (1992) . شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي لأبي العلاء المعري ، تحقيق ودراسة : عبد المجيد ذياب ، (ط2) ، القاهرة ، دار المعارف .
- _____ المرادي ، الحسن بن قاسم ، (1992) . الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، والأستاذ محمد نديم فاضل ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- _____ المرصفي ، عبد الفتاح السيد عجمي ، (2001) . هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، (ط1) ، المدينة المنورة ، دار الفجر الإسلامية .
- _____ مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، (د.ت) . المعجم الوسيط ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، (د.ط) ، (د.م) ، دار عودة .
- _____ المطعني ، عبد العظيم إبراهيم ، (2007) . التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ، (ط2) ، القاهرة ، مكتبة وهبة .
- _____ مطهري ، صفية ، (2003) . الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ، (د.ط) ، دمشق ، اتحاد الكتاب العربي .
- _____ المعيني ، محمد سعود ، (1982) . الصيغ الإفرادية العربية نشأتها وتطورها ، (د.ط) ، البصرة ، جامعة البصرة .
- _____ المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، (د.ت) . التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، (ط1) ، بيروت ، دار الفكر المعاصر .
- _____ منصور ، محمد خالد عبد العزيز ، (1999) . الوسيط في علم التجويد ، (ط1) ، عمان ، دار النفائس .
- _____ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (د.ت) . لسان العرب ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ، نديم مرعشلي ، (د.ط) ، بيروت ، دار لسان العرب .
- _____ أبو موسى ، محمد حسنين ، (د.ت) . البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات الحديثة ، (د.ط) ، القاهرة ، دار الفكر العربي .
- _____ نجا ، محمود عبدالله إبراهيم ، (د.ت) . مقال الإعجاز العلمي في خلايا أعضاء الإنسان ، منتدى التوجيه الفني لدور القرآن الكريم .

- _____ النحاس ، أحمد بن محمد إسماعيل ، (1988) . إعراب القرآن ، تحقيق : الدكتور زهير غازي زاهد ، (د.ط) ، بغداد ، مطبعة العاني .
- _____ نهر ، هادي ، (1998) . الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية ، (د.ط) ، إربد ، دار الأمل للنشر والتوزيع .
- _____ نوفل ، أحمد ، (2005) . تفسير سورة القصص ، (ط1) ، عمان ، مركز حراء القرآني .
- _____ نوفل ، أحمد ، (1999) . سورة يوسف دراسة تحليلية ، (ط2) ، عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع .
- _____ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (2004) . نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- _____ النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد ، (1996) . غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، (ط1) ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- _____ الهاشمي ، السيد أحمد (1999) . جواهر البلاغة ، ضبطه وعلق عليه : محمد رضوان مهني ، (ط 1) ، المنصورة ، مكتبة الإيمان .
- _____ ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله ، (2005) . مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (د.ط) ، القاهرة ، دار الطلائع .
- _____ ابن هشام ، عبد الملك بن أيوب الحميري ، (د.ت) . السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها : مصطفى السقا ، و إبراهيم الإبياري ، (د.ط) ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن .
- _____ هنداوي ، عبد الحميد ، (2005) . الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، (د.ط) ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر .
- _____ ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي ، (د.ت) . شرح المفصل ، (د.ط) ، مصر ، إدارة الطباعة المنيرية .